



الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم: اللغة العربية

الدلالة الإيحائية وتجلياتها في الخطاب النبوي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالبة

آمنة الدوس

إشراف الدكتورة

هند سحلول

2023م

شكر وتقدير:

لوجه خالص شكوي وتقديري إلى:

رئاسة جامعة دمشق.

- عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

- السادة الأساتذة أعضاء قسم اللغة العربية.

- الأستاذة المشرفة، الدكتورة هند سحلول التي تفضلت بالإشراف على رسالتي، ولجهدا معي

وتوجيهاتها الدقيقة، وملاحظاتها القيمة التي أفادتني في كتابة الرسالة.

- السادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة.

- كل من أفادني في حياتي العلمية عامة وفي هذه الرسالة خاصة، وأخص بالشكر معلمي

وأساتذتي في قسم اللغة العربية.

الطالبة آمنة الدوس.

الإهداء

إلى صاحب الفضل الأول والأخير، إلى الهادي سواء السبيل..... الله عز وجل.

إلى الرحمة المهداة، شفيعنا يوم القيامة، إلى من قاد قلوب البشرية وعقولهم إلى مرفأ الأمان، إلى معلم البشرية

الأول سيدي وحبيبي محمد ﷺ

إلى من بذكراها أعيش وبرضاها أسير، إلى مأمني وأماني، إلى من كانت أقرب إلّى من حبل الوريد فكانت تقول

لي يا ظلي، إلى من تشوّقت شغفاً لرؤية هذه الرسالة مكتملة، وسعت جاهدة لأكمل المسير غير أن قضاء الله

كان أسبق إلى روح أُمي الطاهرة رحمها الله رحمة واسعة.

إلى العقل الحكيم والقلب العطوف، إلى حبيب قلبي وداعمي وسندي، إلى من به يقوى عودي... أبي الغالي.

إلى القريبات اللاتي أستغني بهنّ عن البشر، إلى نبض القلب وحشاشته، من كنّ عوناً لي في كل ثانية.. شقيقات

روحي أخواتي الحبيبات.

إلى من أشدّ به عضدي، إلى عَكاظ الزمان وفوحة الأيام أخي الحبيب.

إلى الفواشات الصغيرات، جمال الطفولة والواعة، إلى زهوات قلبي بنات أختي.

إلى كل قريب محبّ، إلى كل شخص ساندني، إلى كل شخص أراد لي الخير ومدّ لي يد العون، إلى كل من

سقط بين حروفي سهواً، إلى أساتذتي ومعلمي، إلى صديقاتي وطالباتي، أنتم في قلبي جميعاً.

الدلالة الإيحائية وتجلياتها في الخطاب النبوي

الطالبة: آمنة الدوس

المشرفة: الدكتورة هند سحلول

ملخص الرسالة:

يهدف هذا البحث إلى بيان الإيحاء في الأحاديث النبوية الشريفة، والتركيز على مدى أهميته ووره في الدلالة على المعاني التي تخفى وراء بعض الأساليب البيانية واللغوية المتبعة، كما يسعى إلى إواز ملامح الدلالة الإيحائية في صيغ مختلفة، وإلى إظهار أسلوب الإثارة والتشويق الذي يتوصل إليه عبر التكثيف في اللفظ والعبارة، كما يهدف البحث إلى بيان أنواع الخطاب الذي يستخدمه الرسول ﷺ، وأن وسيلة الاتصال الرئيسة عند النبي لم تكن فقط اللغة المباشرة، بل كانت بالأسلوب غير المباشر أيضاً، وذلك بعرض بعض نماذج من الأحاديث النبوية المختارة من السنة النبوية، فهي دراسة تحاول أن تستطرق مكونات الخطاب النبوي في ظل الدلالة الإيحائية، ولتحقيق هذا الهدف قسم البحث إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول: التعريف بالخطاب ودلالة الإيحاء، والفصل الثاني: في مظاهر الخطاب الإيحائي في الحديث النبوي، والفصل الثالث: أثر دلالة الإيحاء في قوة التبليغ، واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل إلى جملة من النتائج، من أهمها: أن أساليب الخطاب النبوي قد تنوعت وفقاً لمقتضيات أحوال السياق ومقامات الكلام، فكان تقريراً مباشراً يعتمد التصريح، أو إيحائياً غير مباشر يعتمد التلميح، وأن الأسلوب الإيحائي هو الذي يوظف الطاقات التعبيرية التي تحملها الألفاظ، ويستنفر قوى العقل، ليرز عنصر التشويق والإثارة، حيث يتكثف الإيحاء وينقلص التصريح.

الكلمات المفتاحية: الإيحاء، الخطاب، العبارة، التلطف، الإلغاز، الدلالة.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله العلي القدير، المنزه عن التشبيه والنظير، تقدّس عن الأمثال، وتعالى عن الأشكال، وهو الكبير المتعال، رفع بالعلم درجات العاملين، ووسّع مداركهم رحمة بالعالمين، وجعل العلم النافع رجباً بين أهله، وأرشد إلى إعطاء النظير حُكم نظيره وإحاقه بمثله، والصلاة والسلام على إمام المتقين، أفصح العرب لهجةً، وأبلغهم حجةً، سيدنا محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام المخلصين، والتابعين له بإحسانٍ إلى يوم الدين أمّا بعد:

كان النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب وأفصحهم لساناً، كيف لا وقد آتاه الله جوامع الكلم، فكان كلامه منبعاً تستقى منه البلاغة، ويتمثل به على البيان والفصاحة، ولعل من أدل دلائل قوة البلاغة القدرة على إيصال المعاني إلى ذهن المتلقي، حتى تمتلك نفسه، وتهيمن على شعوره، فتسري في كيانه لتوجه فكره وتغذي يقينه، إلى أن تصبح المحرك العفوي لجوارحه.

ولا يمكن بحال الكلام عن البلاغة النبوية بعيداً عن قضية النبوة والرسالة، فقد لخص البيان الإلهي حقيقة كلامه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (النجم: آية ٣-٤). وحين ندرك أن البلاغة رسالة لغوية بين مرسل ومستقبل تؤدي إلى عملية تواصل متممة بالتأثير الوجداني والإقناع العقلي من خلال الوسائل الأسلوبية، نلمس الأهمية البالغة للوقوف على تلك الوسائل التي يوظفها البليغ في سبيل الوصول إلى غايته من التأثير والإقناع، من خلال إيقاظ العقول الجامدة، وإثارة العواطف الهامدة، وما زال للحديث الشريف أثر بارز في حفظ الثروة اللغوية العربية.

وقد يعد هذا الأمر من الأسباب الرئيسة في قلة الدراسات اللغوية الحديثة قديماً، إذا ما قارناها بالدراسات الخاصة بالشعر والنثر العربي. كما نجد أنّ أهمية الإيحاء في تأويل الخطاب النبوي وفهمه لم ينل حظه من الدراسات اللغوية، وهذا ما جعلني أرغب في تقديم دراسة عنوانها: "الدلالة الإيحائية وتجلياتها في الخطاب النبوي" لعلّي أضيف دراسة أخدم فيها مكتبة الحديث النبوي الشريف.

إشكاليةُ البَحْثِ:

رغم أنَّ الحديث النبوي من أجلِّ الكتب وأغناها لغةً ومعنى، ورغم كثرة الدراسات حوله سواء في مجال التشريع، أو في مجال الدراسات اللغوية والبلاغية، إلا أنَّها لم تكن متخصصة في أسلوب لغوي أو بلاغي أو أدبي معين، بل كانت تتناول الحديث النبوي بشكل عام، وتحاول الكشف عما فيه من خصائص لغوية أو بلاغية دون التفصيل في خاصية أو أسلوب ما، باستثناء بعض الدراسات الحديثة التي تناولت جزئيات معينة في الحديث النبوي، وأفاضت في تفصيلها والحديث عنها.

وبالرغم من أهمية الإحياء في الحديث النبوي، وأثره الكبير في إيصال المعلومة والتأثير في المتلقي، لم يُتناول هذا الأسلوب ببحث دقيق يحيط به ويستوفي قيمته العلمية.

فقد اكتفى الباحثون بالتتويه إليه، وذكره في ثنايا الكتب والأبحاث، دون الإلمام به من جميع جوانبه أو إفراده في بحث خاص، كل ذلك كان داعياً إلى كتابة هذا البحث.

تساؤلات البحث:

لعل من أهم التساؤلات التي تُعرض في هذا الموضوع هي:

- ١- ما الوسائل اللغوية والجماليات الأدبية التي أسهمت في توضيح الخطاب النبوي.
- ٢- كيف تجلّت الدلالات الإيحائية في الخطاب النبوي.
- ٣- كيف تضافرت الوسائل اللغوية والأدبية معاً للوصول بهذا الخطاب النبوي إلى أرقى مستوياته في الفصاحة والبيان.

٤- إلى أي مدى أسهم التكتيف في العبارة وفي اللفظ في إظهار الإثارة والتشويق.

٥- ما الإحياء، وما أنواعه.

٦- ما الفوائد من معرفة الإحياء في الحديث النبوي الشريف.

٧- ما الأمثلة والشواهد على الإحياء في الخطاب النبوي الشريف.

هَدَفُ الْبَحْثِ:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أهمية الدلالة الإيحائية في الحديث النبوي الشريف، وبيان مدى شيوعها، وإيضاح أنواع الإيحاء الذي استعمله ﷺ ومواطن استخدامه، وأنه إنما كان لدلالات دينية، ونفسية، واجتماعية قصدها النبي ﷺ تتفق مع مهمة التبليغ والتعليم، وإظهار أسلوب الإثارة والتشويق الذي تولد من تكثيف العبارة تارة واللفظ تارة أخرى، كل ذلك من أجل الوصول إلى أسلوب الحديث النبوي الذي ينبغي أن يحتذى به.

أَهْمِيَّةُ الْبَحْثِ:

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط الآتية:

- ١- إظهار صورة من صور جماليات اللغة في الخطاب النبوي.
- ٢- إبراز الدلالات الإيحائية في الخطاب النبوي، فهي تحمل طاقات إيحائية كثيرة توحى بدلالات تضاف إلى الدلالات المعهودة الأخرى.
- ٣- بيان مفهوم الخطاب النبوي ومقوماته ومقاصده.
- ٤- تعرّف أساليب الخطاب النبوي كدقة الوصف، التصوير في الحديث، موسيقى الحديث وما فيها من إيحاء.
- ٥- بيان أن الدلالة الإيحائية أشد تأثيراً من الخطاب الصريح المباشر.
- ٦- إبراز ملامح الدلالة الإيحائية في صيغ توحى بدلالة أكبر من مدلولها الظاهري، مما يعطي الكلمة طاقة إيحائية عالية، وقيمة فنية كبيرة.
- ٧- توضيف مسألة الدلالة الإيحائية في الحياة اليومية، لأن الإنسان يحتاجها في أي لحظة من لحظات حياته اليومية فهو مثلاً يُشرك أعضاء جسده في أثناء خطابه بل أحياناً يخاطب بها، فعليه أن يتفاعل مع رسائلها ويدرك مغزاها ومدلولاتها.
- ٨- الوقوف على كيفية استخدام النبي صلى الله عليه وسلم لمختلف أنواع الخطاب، وبيان أن وسيلة الاتصال الرئيسة عند النبي ﷺ لم تكن فقط اللغة المباشرة، بل كانت أيضاً بالإيحاء كالرمز ولغة الجسد والأحاجي...

٩-تتضح أهمية هذه الدراسة في كونها "حسب علم الباحثة "أول دراسة أدبية متخصصة بالإيحاء في الخطاب النبوي.

مسوّغات البَحْث:

الأهمية الكبيرة للخطاب النبوي الشريف، من الناحية الفنية والجمالية ومن حيث بنائه المحكم، فهو من أغنى الخطابات البشرية بالظواهر البلاغية والأسلوبية، لكونه صادراً عمّن أوتي جوامع الكلم. هذا إضافة إلى رحابة البحث فيه، وسعة أفق التناول، ففيه الجمع بين الجانبين: النظري في الفصل الأول، والعملي وهو التحليل في الفصل الثاني والثالث.

مصطلحات البحث:

● الدلالة:

لغةً: بمعنى الاهتمام إلى الطريق، والدلالة اسم مصدر من دلّ، وقيل: "دلّه على الطريق، وهو دليلُ المَفَازَةِ وهم أدِلَاؤُهَا. الدّلالة اصطلاحاً: تعني الاستدلال.

● الخطاب:

لغةً: هو الشأن أو الأمر، صَغُرَ أو عَظُمَ، والخطاب: الكلام، والخطاب: الرسالة. اصطلاحاً: اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه. وقيل: هو جملة ما يصدر عن المتكلمين من أجل الإقناع والتأثير.

● الإيحاء:

لغةً: يسمى وحياً، يقال: أوحى إليه ووَحَى بمعنى أوماً. والوحي هو الإشارة والإلهام والكتابة، والإيحاء هو الرمز والتعريض ويكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح. اصطلاحاً: إشارات توحى بمعنى يُشتمل مضموناً، فهي كلام ظاهر التكوين لكنّه خفي المعنى، غير صائت لكنّه مسموع، يدل، ويسرّ.

حدود البحث:

إنَّ الباحث في الحديث النبوي الشريف لا يملك أن يحدد الإطارَ الزمنيَّ أو المكاني للخطاب النبوي الذي يبحث فيه، فالأحاديث النبوية تصل بجذورها إلى أعماق مدى من الناحية التاريخية، فتصل إلى واقعنا اللغوي والبلاغي لتؤثر فيه، وهي أيضاً لا تحدّد بإطارٍ مكانيٍّ؛ لأنَّ الحدود الجغرافية ليس لها معنى إذا تعلّق الأمر باللسان العربي الذي تتكلم به أمّةٌ عظيمةٌ على امتداد جغرافيٍّ فسيحٍ، ولا سيما حين يكون المخاطب سيدنا محمداً ﷺ عربي الأصل واللسان، وأفصح العرب وأبلغهم، لكن هذا لم يمنع أن توضع بعضُ الحدود التّقريبية التي تُساعد في توجيه البحث، وتتماشى مع طبيعته؛ ففي أثناء البحث كان ثمة حرصٌ على تخريج الأحاديث والوقوف في التخرّيج عند القرن الرابع الهجري، وهو الوقت الذي دوّنت فيه السنّة ووصلت إلينا كتب الصحاح، لذلك لم يخرج من المصادر التي تأخرت عن هذا التاريخ مصدر إلا لغايةٍ خاصة.

أمّا من الناحية الموضوعيّة، فثمة حدود واضحة للبحث، فالبحث محدد بعلوم اللغة العربية، ثم بعلم البلاغة والأدب على وجه الخصوص، في الحديث النبوي، فالبحث محدّد بكونه دراسة عن الإيحاء في الخطاب النبوي.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع، فإنني لم أجد -حسب اطلاعي- رسالة علمية مكتوبة بهذا العنوان، وإنّما وجدت ثلاث رسائل علمية تناولت بعض جزئيات هذا البحث ضمناً دون التعمق فيها.

الدراسة الأولى: دعاء، سلامة، ٢٠١٤م، الخطاب النبوي للنساء في ضوء السنة النبوية، رسالة ماجستير، إشراف: إسماعيل رضوان، الجامعة الإسلامية-غزة: كلية أصول الدين.

اشتملت الدراسة على تمهيد وأربعة فصول، التمهيد واشتمل على حال النساء قبل الإسلام، وحال النساء في ظل الإسلام، ومراعاة طبيعة النساء وخصائصهن، وحرص النساء على التلقي والتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم. الفصل الأول كان عن تعريف الخطاب والخطاب النبوي للنساء، ومقومات الخطاب النبوي من حيث الفصاحة والبيان والصدق والرفق، ومقاصد الخطاب النبوي من توحيد وهداية ومقصد الشهود الحضاري ورعاية مصالح الأمة مراعاة الفروق الفردية. أمّا الفصل الثاني ففي الأساليب الفكرية من قدوة حسنة وحوار وقصة وموعظة

حسنة وترغيب وترهيب وضرب المثل، ثم الأساليب اللغوية، ثم خصائص الخطاب النبوي. الفصل الثالث وفيه الأحاديث الواردة في الخطاب النبوي للنساء في الأمور العقيدية والتعبدية والفقهية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية، أما الفصل الرابع فكان في المجالات المقترحة للاستفادة من الخطاب النبوي للنساء في الواقع المعاصر، في دور النساء في الأسرة والمسجد وفي بناء المجتمع.

تناولت هذه الدراسة خطاب النبي للنساء فقط، فهي على خلاف مع البحث المقدم إلا في بعض الجوانب النظرية التي قد أسهمت في إثراء هذا البحث.

الدراسة الثانية: علي، بعداش، ٢٠١٦م، **خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم**، إشراف: د. محمد بوادي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف: كلية الآداب واللغات.

اشتملت هذه الدراسة على تمهيد وأربعة فصول، الفصل الأول تطرق فيه إلى الخطاب والخطاب النبوي الشريف، والبنية والتركيب، وعالج التداولية، ومفهومها وأهميتها، وأبرز المفاهيم والمبادئ التداولية كمتضمنات القول والافتراض المسبق، والأقوال المضمرة، والاستلزام التخاطبي، ونظرية الملاءمة والفعل الكلامي والحديث عن مفهوم السياق وعناصره، والحجاج مفهومه وخصائصه. والفصل الثاني عن الخصائص البنى التركيبية في الخطاب النبوي، والذكر والحذف والتعريف والتكرير، أما الفصل الثالث فكان في جريان الخبر على مقتضى الظاهر وجريان الخبر على خلاف مقتضى الظاهر. الفصل الرابع في العدول الكمي بالزيادة داخل التركيب وأبعاده الحجاجية، والعدول الكمي بالنقصان داخل التركيب وأبعاده الحجاجية. تناولت هذه الدراسة الخطاب النبوي من ناحية اللسانيات الحديثة، ومن منظور تداولي، فهي بعيدة عن غاية هذا البحث إلا في بعض الجوانب النظرية التي تتعلق بالخطاب.

الدراسة الثالثة: كريمة، بوعزيز، سلمى، أونيس، ٢٠١٦م، **الخطاب النبوي بين الدلالة الإيحائية والدلالة المعجمية**، إشراف د. رشيد وقاص، جامعة العربي التبسي _تبسة: الجزائر.

اشتملت هذه الدراسة على مدخل وفصلين، ذكر في المدخل تعريف الخطاب واللغة والدلالة والنص، ثم مفهوم الخطاب وأفرد الحديث عن الخطاب القرآني، ثم ملامح الخطاب في الفكر اللغوي القديم والفكر الغربي. الفصل

الأول كان بين الدلالة المعجمية والدلالة الإيحائية، ونشأة علم الدلالة وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وعناصرها وأنواعها مرفقة ببعض الأشكال الإيضاحية، والحديث عن الدلالة المعجمية وتعريفها، والدلالة اللفظية والإيحائية مع بعض الأمثلة. أمّا الفصل الثاني ففي تطبيق الدلالة المعجمية والإيحائية على الأحاديث النبوية، ومراعاة المخاطب في لغة النبي صلى الله عليه وسلم، وأساليب النبي في مراعاة المخاطب وقد ذكرت الأحاديث وشرحت من الناحية النفسية والثقافية والفكرية والعلمية والاجتماعية. فهذه الدراسة وإن تشابهت في العنوان لكنها تختلف جذرياً في المضمون، باستثناء القسم النظري، فهي لم تتطرق إلى أنواع الدلالة الإيحائية ومظاهرها في الخطاب النبوي.

يأتي هذا البحث متمماً للدراسات السابقة، من خلال استدراك ما فاتها من تسليط الضوء على الإيحاء بأنواعه في الحديث النبوي الشريف، مضيفاً إلى ذلك التوسع في دراسة تلك الوسائل الأسلوبية المتبعة، والتطرق إلى الحديث عن الخطاب وأنواع إستراتيجياته ومقومات الخطاب النبوي ومقاصده.

مناهجُ البحث وأدواته:

اتبع البحث المنهج الاستقرائي لما ينطبق عليه اسم الدلالة الإيحائية، ثم المنهج التحليلي للوقوف على دلالات تلك الألفاظ والتراكيب، فالدراسة وصفية تحليلية تقوم على استقراء الدلالات الإيحائية، ثم دراستها وتحليلها في سياقاتها.

أمّا أدوات البحث فهي قليلة نسبياً، فلتخريج الأحاديث النبوية عدت إلى مصادر الرواية المتنوعة، ولبیان معنى الأحاديث النبوية كان الاعتماد على كتب الشروح، كعمدة القاري في صحيح البخاري، وشرح ابن بطال، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم.

ولتراجم الأعلام كانت العودة إلى كتب التراجم والتاريخ، كبغية الوعاة وطبقات فحول الشعراء. ولبیان المعنى اللغوي لكلمة كان الاعتماد على معاجم اللغة، ولا سيما لسان العرب لابن منظور، وصحاح العرب، وتاج العروس.

أما المراجع التي اعتمد عليها في البحث كانت لتخريج بعض المسائل البلاغية كدلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة للجرجاني، والحديث النبوي من الوجهة البلاغية لكمال عز الدين.

مكونات البحث:

تتضمن مكونات البحث مقدمة، وفصلاً تمهيدياً، وثلاثة فصول مقسمة إلى مباحث كما يأتي:

المقدمة والفصل التمهيدي: ويشتمل على إشكالية البحث، وهدف البحث، وأهمية البحث، ومصطلحات الدراسة، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومناهج البحث وأدواته، ومكونات البحث.

الفصل الأول: الخطاب ودلالة الإيحاء، وجاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عن التعريف بالدلالة وموضوعاتها ونشأتها، وفيه خمسة مطالب: **المطلب الأول:** الدلالة لغةً واصطلاحاً، **المطلب الثاني:** موضوعات علم الدلالة، **المطلب الثالث:** أنواع الدلالة في اللغة، **المطلب الرابع:** أنواع الدلالات اللفظية عند المتكلمين، **المطلب الخامس:** مجالات علم الدلالة.

المبحث الثاني: تعريف الإيحاء وأدواته، وفيه أربعة مطالب: **المطلب الأول:** الإيحاء لغةً واصطلاحاً، **المطلب الثاني:** تجليات الإيحاء في القرآن الكريم، **المطلب الثالث:** الإيحاء والتكثيف، **المطلب الرابع:** مصطلحات الإيحاء الدالة عليه.

المبحث الثالث: تعريف الخطاب وأنواعه والخطاب النبوي، وفيه ثمانية مطالب: **المطلب الأول:** الخطاب لغةً واصطلاحاً، **المطلب الثاني:** أنواع استراتيجيات الخطاب، **المطلب الثالث:** تقنيات تبليغ الخطاب الأدبي في التراث العربي، **المطلب الرابع:** أركان الخطاب، **المطلب الخامس:** أنواع الخطاب، **المطلب السادس:** مقومات الخطاب النبوي، **المطلب السابع:** دوافع الخطاب النبوي، **المطلب الثامن:** خصائص الخطاب النبوي.

الفصل الثاني: مظاهر الإيحاء في الخطاب النبوي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإيحاء اللفظي في الخطاب النبوي، وفيه سبعة مطالب: **المطلب الأول:** الإيحاء بالحذف لغةً واصطلاحاً وتجلياتها في الخطاب النبوي، **المطلب الثاني:** الإيحاء في استعمال الكلمة الغامضة، **المطلب الثالث:** الإيحاء بالعبرة، **المطلب الرابع:** الإيحاء بالتعريض، **المطلب الخامس:** الإيحاء في الاستفهام، **المطلب السادس:** الإيحاء في التكرار، **المطلب السابع:** الإيحاء في الألفاظ والأحاجي.

المبحث الثاني: الإيحاء بالصورة الفنية في الخطاب النبوي ويقسم إلى ثلاثة مطالب: **المطلب الأول:** الإيحاء في التشبيه، **المطلب الثاني:** الإيحاء في الاستعارة، **المطلب الثالث:** الإيحاء في الكناية.

المبحث الثالث: الإيحاء في الوسائل الخارجية التوضيحية ويقسم إلى مطلبين: **المطلب الأول:** الإيحاء في لغة الجسد، **المطلب الثاني:** الإيحاء في الوسائل والرسوم التوضيحية.

الفصل الثالث: أثر دلالة الإيحاء في قوة التبليغ، ويقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: حسن الإيجاز وتكثيف المعنى، ويقسم إلى ثلاثة مطالب: **المطلب الأول:** مفهوم الإيجاز لغةً واصطلاحاً، **المطلب الثاني:** أنواع الإيجاز ومكانته عند العرب، **المطلب الثالث:** الإيحاء من خلال إيجاز الحذف والقصر في الحديث النبوي.

المبحث الثاني: التلطف والتهديب في العبارة وأثرها الاجتماعي، ويقسم إلى مطلبين: **المطلب الأول:** تعريف التلطف في العبارة وحسن التهديب، **المطلب الثاني:** التلطف والتهديب اللغوي في الخطاب النبوي.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتوصيات، يليها المصادر والمراجع، وفهارس الآيات والأحاديث.

الفصل الأول: الخطاب ودلالة الإيحاء

يتشعب هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالدلالة وأنوعها ونشأتها

المبحث الثاني: أسلوب الإيحاء وأدواته

المبحث الثالث: تعريف الخطاب وأنواعه والخطاب النبوي

المبحث الأول: التعريف بالدلالة وموضوعاتها ونشأتها

المطلب الأول: الدلالة لغةً واصطلاحاً

الدلالة لغةً:

مشتقة من "د، ل، ل، ل". بمعنى الاهتداء إلى الطريق، والدلالة اسم مصدر من دلّ، وقيل: "دَلَّهُ على الطريق، وهو دَلِيلُ الْمَفَازَةِ وهم أدِلُّوْهَا، وأَدْلَلْتُ الطريقَ: اهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ، ... والدَّالُّ على الخيرِ كَفَاعِلِهِ"^١ أي بمعنى الإرشاد إلى الطريق الموصل إلى مكان ما.

- "ودَلَّهُ على الشَّيْءِ يَدُلُّهُ دَلًّا ودَلَالَةً فانْدَلَّ: سَدَّهْ إِلَيْهِ.

- والدَّلِيلُ: ما يُسْتَدَلُّ بِهِ. والدَّلِيلُ: الدَّالُّ. وقد دَلَّهْ على الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ دَلَالَةً ودِلَالَةً ودُلُولَةً، والفتح أعلى.

- والاسم: الدِّلَالَةُ والدِّلَالَةُ بالكسر والفتح، والدُّلُولَةُ والدِّلِيلِي وهي علمه بالدِّلَالَةِ ورُسُوخُهُ فِيهَا.

والدَّلِيلُ: الذي يَدُلُّكَ^٢.

ومما ذكر أن "الدِّلَالَةَ" بكسر الدال معناها: "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود والحساب، وهي جميعها علامات سيميائية دالة جعلها بعضهم رموزاً غير

١ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط١، ج١، مادة (د ل ل)، ص٢٩٥، ١٩٩٨م.

٢ ينظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: أحمد سالم الكيلاني وحسن عادل النعيمي، دار صادر: بيروت، ط١، ج٧، مادة (د ل ل)، ص١٥٢-١٥٣، ٢٠١١م.

لغوية، سواء كان ذلك بقصد مَن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كَمَنْ يَرى حَرَكَةَ إنسان فيعلم أَنَّهُ حَيّ انسجاماً مع قوله تعالى: {مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ} (سبأ: آية ١٤). وأصل الدلالة مصدر كالكناية والأمانة، والدال من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره^١

وجاءت كلمة الدلالة في وصف أصحاب الرسول ﷺ في الحديث {يُخْرِجُونَ أَدِلَّةً} بمعنى فقهاء^٢. والدال: هو حسن الهيئة، ومنه "يعجبني دَلْها"، ومنه: "هي تدل عليه أي تتجراً عليه بسبب دَلْها، ولفلان عليه دالة وتدل فهو مدل من ذلك"^٣.

الدلالة اصطلاحاً:

"الدلالة" في الاصطلاح تعني الاستدلال، فهي شقان: دال ومعنى، فالدال هو المتولد من المعنى الأصل، وأما المعنى فمتولد من:

أ - "الدلالة: على الشيء ما يمكن كل ناظر أن يستدل بها عليها كمثّل ذكر "الخالق والإبداع" دلالة على الخالق.
ب - الاستدلال: وهو الفعل الذي يقوم به المستدل.

ج - الدلالة: ما يمكن أن يستدل بها على أنها من وسائل الحقيقة.

د - والدلالة تعني إرشاد شَخْصٍ طلب معرفة^٤. وعليه يكون الدليل إرشاد إلى شيء مطلوب غير ظاهر وغير واضح لطالبه، فهو متميز بالغموض والخفاء، حتى يتم تجليته ووضوحه بما يدل عليه كما هو موضح في الآية الكريمة {وَمَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ} (سبأ: آية ١٤)، "وعليه تكون الدلالة هي تلك العلاقة القائمة بين

١ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم: بيروت، ط١، ج١، ص٢٢٨، ٢٠٠٩م.

٢ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر: الرياض، ط١، ج٨، ص٤٤٧، ١٩٩٧م.

٣ أبو العباس، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ج٢، مادة (ل د)، ص٢٠، ١٩٩٦م.

٤ ينظر: طالب محمد إسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري"، دار كنوز المعرفة: عمان، ط١، ص١٨-١٩، ٢٠١١م.

الدّال والمدلول، فغياب أحدهما لا يتصوّر، ولا يتحقّق بغياب الآخر، فهما مرتبطان ارتباطاً عضوياً لا يمكن فكّه بحال من الأحوال".^١

- ولعل أشهر التعريفات الاصطلاحية هي تلك التي قالها المناطقة، والتي تؤكد أنّ "الدّلالة هي فهم أمر من أمر آخر يدلّ عليه".^٢

ونذكر في تعريف الدلالة أنّه " معنى دلالة اللفظ: أن يكون إذا ارتسم في الخيال اسم ارتسم في النّفس معنى، فتعرف النّفس، أنّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أوردته الحسّ على النّفس التفتت إلى معناه".^٣

وقد حاول بعضهم التفريق بين جملة من المصطلحات منها: الدّليل، الدّلالة، الاستدلال، والإمارة، دلالة الكلام ودلالة البرهان، وفي ذلك قيل: " إنّ الدّلالة تكون على أربعة أوجه: أحدهما ما يمكن أن يُستدلّ به قصد فاعله ذلك أو لم يقصد، والثاني العبارة عن الدّلالة، يقال للمسؤول: أعذّ دلالتك. والثالث الشبهة يقال: دلالة المخالف كذا أي: شُبّهته، والرابع الأمارات: يقول الفقهاء: الدّلالة من القياس كذا، والدّليل فاعل الدّلالة".^٤

يحلينا هذا النص على جملة من الملاحظات نلخصها في الآتي:

- الدّلالة ذات بعدين؛ قد تكون مقصودة أو غير مقصودة.

- الدّلالة قد تكون غامضة فيتمّ توضيحها بتوظيف لفظ آخر دالّ عليها.

- الدّلالة تقوم على المنطق.

- الدّلالة " تساوي الأمارة، وعليه قد تظهر في العلامات اللسانية والعلامات غير اللسانية أي تتصل بدراسة النماذج

الصّورية مثل لغة: الرّايات، العادات والتقاليد، والإشارات، والملابس... إلخ".^٥

١ محمد بن أحمد بن عبد العزيز الحنبلي، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر، تحقيق: محمد الزحيلي، نزّه الحماد، مكتبة العبيكان: الرياض، ط٢، ج١، ص١٢٥، ١٩٩٨م. وينظر: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع: القاهرة، ط١، ص٩٣، ١٩٣٨م.

٢ محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ط١، ص١٠١، ٢٠٠٢م.

٣ ينظر: ابن سينا، الشفاء المنطق ٣- العبارة، تحقيق: محمود الخضيرى، الهيئة المصرية العامة: القاهرة، ط١، ص٤، ١٩٥٦م.

٤ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة، ص٦٨، ١٩٩٧م.

٥ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتاب: مصر، ط٥، ص١١، ١٩٩٨م.

-والدلالة هي البحث في المعنى بوجه عام، فعلم الدلالة مَعْنِي بالمعنى في المقام الأول. حتى قال بعضهم: "إنه بدون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة"^١.

نرى أن الدلالة هي الإشارة التي يتوصل من خلالها إلى معرفة المعاني، أو هي الطريق الدال إلى المعاني، وهي ذات تأثير لفظي ونفسي في آن واحد، فهي التي تؤثر في اللفظ فتغير معناه إلى جانبها، وكذا تؤثر في النفس فتجذبها إليها، قال تعالى: {قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ} (طه: آية ١٢٠).

المطلب الثاني: موضوعات علم الدلالة

اختلف الدارسون المحدثون في تحديد المعالم الأساسية لموضوع علم الدلالة، فمنهم من وسع من مجال موضوعات هذا العلم، ومنهم من جعلها تضيق، غير أن المتفق عليه في كل هذا أن العلم يبحث عن المعنى المرتكز في العقل الإنساني من خلال عمليات إدراكه، والبحث في تشكيلاته الصورية، فقد يتجاوز ذلك إلى البحث في دلالات المنطوقات التي ننتجها عند الاستعمال الاتصالي للغة، فالمعرفة الدلالية ذات قيمة محورية في إيصال الأفكار والرغبات إلى الآخرين، ولأن علم الدلالة فرع في مجال اللسانيات فقد توزعت موضوعاته في الآتي:

١- "علم الدلالة علم معرفي: فهو يهتم بدراسة النظام المعرفي المختزن في ذاكرتنا للزمن الطويل، أي إلى موضوع الدراسة في بحث لغوي، فالاتصال اللغوي بين الإنسان وأخيه الإنسان يعتمد أساساً ولو بشكل تقريبي على معان متماثلة في ذاكرة الزمن الطويل، أي إيضاح المعرفة الدلالة الضمنية"^٢.

٢- "علم الدلالة علم معجمي: إلى جانب معاني الألفاظ اللغوية يبحث علم الدلالة المعجمي في العلاقات القائمة بينها، فالمعاني مرتبطة بوضوح بشكل وثيق بمعاني كلمات أخرى كما مع (شاب/ فتاة، كبير/ صغير، أم/ أب)"^٣.

١ جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، جامعة البصرة: البصرة، ط١، ص٩، ١٩٨٠م.

٢ ينظر: مونیکا شفارتس وجينيت شور، علم الدلالة، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة، ط١، ص٣١،

٢٠١٦م.

٣ المرجع نفسه

٣- "علم الدلالة علم شمولي: لأنه يدرس كل شيء صالح لأن يقوم بدور العلامة أو الرمز، لغوياً كان أو غير لغوي، يستطيع أن يؤدي مدلولاً، أو مضموناً، أو تمثيلاً، أو تصوّراً، في اللغات الطبيعية، أو الاصطناعية أو الصورية"^١.

٤- "علم الدلالة علم تركيبى: إنّ هذا العالم لا يدرس البنية الدلالية للمفردات اللغوية فقط، بل يزيد عليها العلاقات الدلالية، أهمها" المشترك اللفظي، التضاد، المترادف، الاشتغال، علاقة الجزء بالكل"^٢.

٥- "علم الدلالة علم إشاري رمزي: يدرس علاقة الألفاظ اللغوية بالحقائق الخارجية التي تشير إليها، وفي هذا فإن موضوع علم الدلالة أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة والرمز، وهذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق، وقد تكون إشارة باليد، أو إيماء الرأس كما قد تكون كلمات وجملًا، وبعبارة أخرى قد تكون علامات أو رموزاً غير لغوية تحمل معنى، كما قد تكون علامات أو رموزاً لغوية"^٣.

المطلب الثالث: أنواع الدلالة في اللغة

١- الدلالة الصوتية:

هذا النوع من الدلالة يُستمد من طبيعة أصوات الكلمة "نغمها وجرسها"، حينما يكون لأصوات الكلمة دور دلالي مهم لفهم معنى الكلمة، أو أنّ صوتاً من أصواتها يكون صاحب الدور الأكبر في فهم معناها"^٤، فتوحي بوقع موسيقي خاص، يستنبط من ضم الحروف بعضها إلى بعض، "فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى"^٥، فترتبط هذه الدلالة "بظواهر

١ ينظر: بنعيسى أرابيط، الوجيز في علم الدلالة، دار الأمان: الرباط، ط١، ص١٤، ١٩٩٨م

٢ ينظر: محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة المتحدة: لبنان، ط١، ص١٢، ٢٠٠٤م.

٣ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص١١-١٢

٤ إيهاب سعد شفطر، المصطلحات الدلالية بين التراث وعلم اللغة الحديث، عالم الكتب الحديث: الأردن، ط١، ص٢٦٢م،

٢٠١٦م

٥ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية: القاهرة، ط٤، ص٤٤، ١٩٨٠م.

عدة منها النبر والتنغيم، كما يدخل تحت هذه الدلالة ما يعرف بالمحاكاة الصوتية، وتتجلى في كثير من الكلمات التي تحاكي حروفها أصوات الطبيعة كالصرير والحفيف... الخ"^١.

٢- الدلالة العاطفية:

تعني هذه الدلالة ما تحمله من إحياءات عاطفية ترتبط بها، كصياغة الكلمات بطريقة تحاول التأثير على القارئ أو المستمع بمخاطبة مشاعره بدلاً من عقله، "بكلمات وعبارات عاطفية قوية محملة بدلالات تحاول أن تولد لديه رد فعل قوي إيجابي أو سلبي يزيد على المعنى الحقيقي الحرفي للعبارات"^٢.

٣- الدلالة الصرفية:

وعرف بعضهم هذه الدلالة بأنها "تلك الدلالة التي يعرب عنها مبنى الكلمة"^٣، فهي الدلالة التي تستمد من بنية اللفظ وصيغته وقد أشار إليها أحدهم في حديثه عن تشديد عين الكلمة أنها تفيد حينئذ قوة المعنى وتكراره مثل: قطع.

٤- الدلالة النحوية:

ويقصد بها تلك الدلالة المحصلة "من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي"^٤.

- وهي "الدلالة التي تستمد من نظام الجملة وترتيبها ترتيباً خاصاً"^٥.

- وهي "الدلالة المستمدة من ارتباط الكلام ببعده ببعض بوساطة التركيب الذي تخضع له أي لغة، كالنحو الذي يعد قانون التركيب العربي، فدونه لا يمكن للكلام أن ينجح في توصيل أي رسالة من المتكلم إلى المتلقي"^٦.

١ ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، ط٣، ج٢، ص١٥٥، ١٩٥٦م.

٢ جوزيف فندريس، اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية: مصر، ط١، ص٢٨٢، ١٩٦٠م.

٣ عليان بن محمد الحازمي، علم الدلالة عند العرب، بحث في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها: مكة المكرمة، عدد ٢٧، مجلد ١٥، ص١٨٢، ١٤٢٤هـ.

٤ فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي: مصر، ط١، ص٢٠٩، ١٩٧٧م.

٥ أحمد سليمان ياقوت، الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، دار المعرفة: الإسكندرية، ط١، ص٢٨، ١٩٨٩م.

٦ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع السابق، ص٤٨.

٥- الدلالة السياقية:

"هي الدلالة التي يعينها السياق اللغوي، وهو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتُستمد أيضاً من سياق الموقف، وهو الموقف الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره من متكلم وسماع، وغير ذلك من الظروف المحيطة، والمناسبة التي قيل فيها الكلام"^١.

٦- الدلالة الإيحائية:

إن للدلالة الإيحائية أهمية بالغة وذلك في كونها تعمل على استنباط الدلالة الكامنة في المفردة اللغوية، "بحيث تستشف قدرتها على الإيحاء بناءً على ما تتميز به من شفافية معينة"^٢.

تظهر ملامح الدلالة الإيحائية في صيغ ألفاظ معينة وكلمات وأساليب بيانية مؤثرة ترمي بأكثر من مدلولها الظاهري، وتنطوي على جملة من المعاني الأخرى، "فهو المقياس الفني لتقدير قيمة اللفظ بقدر ما ينتجه ذلك اللفظ من إيحائية خاصة له، فكما كانت إيحائية الألفاظ عالية، كانت قيمة تلك الكلمة فنيا عالية والعكس بالعكس"^٣.

فكما أن الألفاظ لها دلالات على المعاني الذهنية، فلها أيضاً دلالات إيحائية تتمثل في الصور والظلال المصاحبة لها، فكل لفظ له دلالة إيحائية خاصة به لا يمكن لأي لفظ يوازيه لغة، أن يؤدي دلالاته، "هذه الدلالة توحى بالأصداء والمؤثرات، التي يكون لها وقع خاص يسيطر على النفس، فالألفاظ هي مذاق الكلام لما تحمله من قيم إيقاعية تقع في الأسماع، فتتصل بالقلوب والنفوس فتلونها بألوانها، فيغدو اللفظ بجرسه موحياً بالمعنى"^٤.

١ إيهاب سعد شقطر، مرجع سابق، ص ٢٦٦

٢ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص ٤٠

٣ تشارلتن هنري بكن، فنون الأدب تعريف وشرح وتركيب، تعريب: نجيب زكي محمود، لجنة التأليف والترجمة: القاهرة، ط ٢، ص ٥٤، ١٩٠٥م.

٤ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق: القاهرة، ط ١٦، ص ٧٦، ١٩٥٤م

ومن المعتاد أن تأخذ الألفاظ هذه الدلالة في سياق الكلام وأمكنتها فيه، ومن مجاورتها لكلمة معينة أخرى ذات جرس معين، "فتتلون الدلالات وتتنوع لتشير إلى فكرة أو تومئ إلى معنى، أو ترمز إلى صورة نفسية، أو عقلية، أو فنية، فيغدو اللفظ في سلك الأسلوب ذا نمط جديد من الألوان والظلال بعيدا عن النظم".^١

ومن الألفاظ الموحية بالحركة الحسية ما ورد في قوله تعالى: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ} (القصص: آية ١٨).

ذكر أحد الدارسين أن لفظة "يتربق" ترسم هيئة الحذر المتلفت الخائف الذي يتربق في المدينة موضع الأمن والاطمئنان مما يؤكد السياق كله.

وتقديم كلمة "خائفا" على كلمة "يتربق" يوحي بمدى الفزع الذي استولى على موسى عليه السلام فضلاً عن إحياء لفظة "يتربق" بسمته الشخصية الانفعالية المجسمة بهيئة الخائف القلق، "واللفظان معاً يوحيان بأن موسى في ذلك الوقت قد غادر القصر الفرعوني، ولم يعد من رجاله".^٢

كما يقصد بالدلالية الإيحائية: "المعنى العاطفي الزائد عن المعنى الإدراكي". وعرف المعنى الإيحائي بأنه الأصداء والعلامات الانفعالية والعقلية".^٣

المطلب الرابع: أنواع الدلالات اللفظية عند المتكلمين

اهتم علماء المتكلمين من الأصوليين بالمباحث الدلالية لأهميتها في فهم إحياءات النصوص الدينية، لذا نجدهم في كتبهم يعالجون مسائل العلاقة بين اللفظ والمعنى، والحقيقة والمجاز والصريح وغير الصريح، والإشارة والإيماء، والعام والخاص وغير ذلك.

كما نجدهم يستعرضون أنواع الدلالات، وقد قسموها إلى قسمين:

دلالات الكلام المنطوق الصريح، ودلالات الكلام المنطوق غير الصريح.

١ فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ص٦، ١٩٧٦م
٢ محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، ط١، ص٨١، ١٩١٨م
٣ عبد القادر سلامي، التفكير الدلالي عند العرب، مقالة في مجلة ديوان العرب: القاهرة، يوم الجمعة، ٢٠ آب، ص٥، ٢٠٠٤م.

١- دلالات الكلام الصريح:

يقصد به "دلالة اللفظ على المعنى المتبادر فهمه من نفس صيغته"^١، بمعنى أن إدراك المراد من ذلك اللفظ إنما يكون بمجرد سماعه، "فإن الإنسان حينما يسمع كلمة جبل مثلاً يتوارد لذهنه معنى الجبل مباشرة ويدرك معنى الكلمة دون الحاجة إلى مزيد توضيح أو قرائن تبين المراد"^٢. وقسم المتكلمون الأصوليون دلالة المنطوق الصريح بحسب تعلقها بما تدل عليه أو من حيث شمولها واستيعابها إلى:

أ- دلالة المطابقة: "دلالة اللفظ على كامل معناه، كدلالة لفظ الصلاة على سائر أفعالها وأقوالها، من قيام وركوع وسجود وقراءة. وكبيانه ﷻ هيئة الطواف بفعله، وهيئة الحج، وسميت مطابقة لتطابق الوضع والفهم، فالمفهوم من اللفظ هو عين المعنى الموضوع له اللفظ"^٣

ب- دلالة التضمن: "أي دلالة اللفظ على جزء معناه، كدلالة الصلاة على الركوع مثلاً"^٤.

ج- دلالة الالتزام: "أي دلالة اللفظ على لازم معناه، خارج عنه، كدلالة الصلاة على الطهارة"^٥.

٢- دلالات الكلام غير الصريح:

يقصد بدلالة الكلام غير الصريح "الدلالة التي ينتقل الذهن فيها من الوحدة الكلامية ومعناها إلى معنى آخر لازم لها، وهذا المعنى الآخر "الضمني" يعد طريقة من طرق الإيحاء، التي من خلالها يمكن معرفة قصد المتكلم واستنباطه"^٦.

ودلالة الكلام غير المنطوق منها البين الجلي، ومنها الخفي الذي لا يدرك إلا بطلب تأمل وإعمال فكر. وقد

قسمها المتكلمون من الأصوليين إلى أنواع هي:

١ وهبة الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه، دار الفكر المعاصر: لبنان، ط١، ص٣٥٤، ١٩٩٨م.

٢ عبد القادر شاکر عبيد، شذرات في اختصار مباحث علم الدلالات، مكتبة عين الجامعة، ط١، ص١١، ٢٠١٦م.

٣ عبد الله بن عمر الشنقيطي، مذكرة فن المنطق، المكتبة الذهبية، ص٩، ٢٠١٧م.

٤ الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية:

لبنان، ط٣، ج١، ص٣٢٦، ٢٠٠٣م

٥ عبد القادر شاکر عبيد، شذرات في اختصار مباحث علم الدلالات، مرجع سابق، ص١٤

٦ محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، المكتب الإسلامي: بيروت، ج١، ط٤، ص٥٩٤، ١٩٩٣م.

١- دلالة الاقتضاء: وهي " دلالة النص على شيء مسكوت عنه، يتوقف صدق الكلام أو صحته أو استقامته على ذلك المسكوت المقدر في الكلام"^١. ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ {لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ}^٢ فإنَّ "الصلاة من حيث الواقع يمكن أن تؤدي بغير سورة الفاتحة، فحتى يصح الكلام يقدر محذوفاً نحو: لا تصح صلاة من لم يقرأ بفاتحة الكتاب"^٣.

٢- دلالة الإشارة: وهي "دلالة اللفظ على معنى غير مقصود قصداً أصلياً من سياق الكلام وإنما يفهمه السامع من الكلام عرضاً"^٤ ومن ذلك ما رواه أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كُنْتُ سَاقِي الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: «أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ» قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَّتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ^٥. الاستدلال هنا جاء بطريق الإشارة.

٣- دلالة الإيماء: الإيماء لغة: بمعنى الإشارة مأخوذة من ومأ، يماً، ومئاً: أي أشار^٦.

وأما اصطلاحاً: هي "دلالة النص على معنى يدرك من وجود وصف في أثناء الكلام، ولو لم يكن للتعليل لكان ذكر ذلك الوصف عبثاً بغير فائدة"^٧. ومن أمثلة ذلك ما رواه عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لَيْسَ لِقَاتِلٍ مِيرَاثٌ"^٨.

-
- ١ حافظ ثناء الله الزاهدي، تلخيص الأصول، مركز المخطوطات والتراث والوثائق: الكويت، ط١، ج١، ص١٣، ١٩٩٤م.
 - ٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، رقم: ٧٥٦، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير: بيروت، ط١، ج١، ص١٥١، ٢٠٠٢م.
 - ٣ عبد القادر شاکر عبيد، شذرات في اختصار مباحث علم الدلالات، مرجع سابق، ص١٤
 - ٤ إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي: لبنان، ط١، ص٢٢٤، ١٩٩٤م
 - ٥ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب صب الخمر في الطريق، رقم: ٢٤٦٤، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٢،
 - ٦ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج١، ص٤٠٣
 - ٧ عبد القادر شاکر عبيد، شذرات في اختصار مباحث علم الدلالات، مرجع سابق، ص١٥
 - ٨ الإمام مالك بن أنس، الموطأ، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ص٣٢٠، ٢٠١٢م

المطلب الخامس: مجالات علم الدلالة:

يقوم علم الدلالة بدراسة الرموز بصفة عامة، دراسة قائمة على أسس علمية، وذلك بوصفها أدوات اتصال يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه.

وهذه الرموز والعلامات الحاملة للمعاني سواء كانت لغوية أم غير لغوية هي موضوع علم الدلالة وتقسم إلى قسمين:

أ-الرموز الألسنية: "يشترط فيها وجود طرفين للاتصال، أحدهما باث، والآخر متلقٍ، ورسالة بينهما يريد الباث إيصالها إلى المتلقي. وهذه الرسالة هي عبارة عن رموز ألسنية وعلامات اتصال اصطلاحية، ينشأ معناها عن توافق بين الذين يستخدمونها"^١.

فالعلامة اللغوية أو الرمز الألسني على هذا تكون قائمة مؤسسة على ركيزتين أساسيتين هما الدال والمدلول تربطهما علاقة هي بمثابة السبب بالمسبب. وتقسم الكلمة العلامة أو الرمز إلى قسمين:

١- "الكلمة العلامة الأحادية الدلالة: تكون العلامة المعلنة أكثر تحديداً من العلامة المضمرة، لأن فاعلية الاتصال تستوجب أن يكون الدال يدل على مدلول واحد ظاهر.

٢-الكلمة العلامة المتعددة الدلالة: تكون العلامة غير محددة وذلك لأنها تحمل علامة مضمرة غير محددة، والدال فيها يدل على دلالات متعددة"^٢.

ب-الرموز شبه الألسنية: "هي عبارة عن رموز تستخدم بموازاة الكلام"^٣، "وهو ما يسمى بمساعدات الكلام، لأنَّ الاتصال الألسني يعتمد على علامات منطوقة، غير أنَّ الخطاب يرافقه في الغالب بعض العلامات الموازية كالتنغيمات، والحركات الإيمائية التي تعد تأشيريات طبيعية وعفوية تؤدي وظيفة تعبيرية تختلف باختلاف الثقافات"^٤.

١ لبيار غيرو، السيمياء، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات: لبنان، ط١، ص ٦١، ١٩٨٤.

٢ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية: القاهرة، ط١، ص ٢٢-٢١، ١٩٨٤.

٣ لبيار غيرو، السيمياء، مرجع سابق، ص ٦١

٤ المسدي، قاموس اللسانيات، مرجع سابق، ص ٦٦

علاقة علم الدلالة بالبلاغة:

يرتبط علم الدلالة ارتباطاً وثيقاً بعلم البلاغة، ومردّ هذا الارتباط هو الانتقال من المعنى المنطقي إلى المعنى الهامشي المستمد من الاستعارات والكنائيات والصّور المجازية المختلفة، ومن المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي الذي يتشكل بالتخييل والمعاني الثواني، فيقدم لنا صورة جمالية بديعة هي من موضوعات علم البيان وهو أوثق فروع البلاغة اتّصالاً بعلم الدلالة.

فالمجاز العقلي من الصور الجمالية التي تخرجنا من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة التخيلية، مما يضيف طابعاً جمالياً للخطاب، كما "أنّه يجعل دلالة اللفظ تتطور بتطور استعمالته"^١، فالمجاز يعدّ عاملاً مؤثراً في إظهار الدلالات الجديدة التي جاء بها الحديث النبوي الشريف، واعتمد علماء العربية عليه في كل شاردة وواردة. وأما الاستعارة "فهي عملية تقود إلى تكوين الحقول الدلالية"^٢. هذا الكلام يبين لنا أهمية الاستعارة في مدّ فضاءات دلالية جديدة للتعبير في الخطاب، فهي تخرجنا من عالم الحقيقة والواقع المحدود إلى واقع متجدّد يسير نحو اللامتناهي، ولنا في الخطاب النبوي فيض من الاستعارات التي يكون دورها "تغيير معنى الكلمة التي تنتمي إلى مجال دلاليّ معيّن، عن طريق إخفاء ذلك المعنى القديم وإضفاء معنى جديد على تلك الكلمة، وانصياح اللفظ باستعاراته الجديدة إلى حقل دلاليّ جديد"^٣.

أما إذا انتقلنا إلى الكناية نجد أنّها ذات علاقة وثيقة بعلم الدلالة، فمهمة علم الدلالة لا تبحث عن المعنى الظاهر من اللفظ، بل تتعداه إلى البحث عن المعنى الثانوي في تخوم الكلمات، وهذا جوهر الكناية أيضاً، "ما دامت تمثل بنية ثنائية في الكلام تقف عند المعنى الأصلي، وكذا المعنى المجازي الذي يُكشف بطريق القرائن، ويبقى السياق هو الذي يساعد العقل على الوصول إلى هذا المعنى"^٤.

١ ينظر: جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية: دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ص٢٠٤، ٢٠٠٧م.

٢ صابر الحباشة، تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، دار مكتبة الحامد للنشر: عمان، ط١، ص٦٨، ٢٠١٠م.

٣ شهرزاد بن يونس، محاضرات في علم الدلالة، جامعة الإخوة منتوري: الجزائر، ص٧٤، ٢٠١٩م.

٤ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد الدايدة، مكتبة سعد الدين: دمشق، ط٢، ص٦٦، ١٩٨٧م.

المبحث الثاني: الإيحاء؛ تعريفه وأدواته

المطلب الأول: الإيحاء لغةً واصطلاحاً

الإيحاء لغةً:

- الإيحاء يسمى وحياً، يقال: "أوحى إليه ووَحَى بمعنى أومأ"^١. والوحي في اللغة: "الإشارة والإلهام والكتابة"^٢. وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِّئٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٍ} (الشورى: آية ٥١)، ومعناه أن يوحى إليه وحياً "فيعلمه إما إلهاماً أو رؤياً، وإما أن ينزل عليه كتاباً كما أنزل على موسى أو قرآنًا يتلى عليه كما أنزله على سيدنا ﷺ، وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسبابها والكلام فيها"^٣.
- "الإيحاء هو الرمز والتعريض ويكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح"^٤.
- وقد يأتي "الإيحاء بمعنى البكاء يقال فلان يُوحى أباه أي يبكيه، والنائحة تُوحى الميت أي تنوح عليه"^٥.
- والوَحْي "بالمد والقصر: السرعة ومنه: القتل بالسيف أوحى أي أسرع"^٦.

١ ناصر الدين المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري، مكتبة أسامة بن زيد: حلب، ط١، ج٥، ص٣٢٣، ١٩٧٩م.

٢ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة "وحي"، ج٣، ص٣٧٩.

٣ عبد الله بن مسلم بن قنبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ج١، ص٧٤، ١٩٧٣م.

٤ محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر: لبنان، ط٢، ج٢، ص٣٨٧، ١٩٩٤م.

٥ محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، دار المعرفة: لبنان، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، ج٥، مادة (وحي)، ص٣١٤، ٢٠٠١م.

٦ ناصر الدين المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، مرجع سابق، ص٣٢٣.

الإيحاء اصطلاحاً:

إشارات توحى بمعنى يُشتمل مضموناً، فهي كلام ظاهر التكوين لكنّه خفي المعنى، غير صائت لكنّه مسموع، يدل، ويسرّ، ويشير، وينبه. إنّهُ يبث المعنى بلفظ غير المنطوق، فيتيسر للعين قراءته بصرياً، وللعقل استقباله، وللنفس استيعاب مضمونه، وللفكر محاورته^١.

يعد الإيحاء وسيلة من وسائل التعبير غير المباشرة، يتخذها الكاتب في تجربته الأدبية، كما يعد أحد أساليب اللغة في التعبير شرط ألا يتحول إلى لغز، بل يجب أن يظل كرمز على شفافيته ينم عما خلفه أو يوحي بمضمونه^٢.

بمعنى أنّه يجب أن يكون استعماله فنياً ناجحاً وذلك باختيار الكلمات الموحية، التي تحقق ذلك السمو الفني بعيداً عن تلك اللغة العادية والنقيرية، لأن الكلام العادي يبدو غير قادر عن التعبير عما يفكر فيه الإنسان وعما يحس به وتفقد القارئ متعته.

والإيحاء " هو إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة"^٣، والخفاء والسرعة شرطان يحققان سرية التلقي وسرعته، أي سرية استقبال الأثر، وسرعة التفاعل معه، والانفعال به.

كما أنّ الحروف في اللغة العربية لها إيحاء. وهذا الإيحاء إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، فهو يدل دلالة اتجاه، ويثير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحى به.

فالإيحاء إذن نتاج لغوي يتجاوز الفهم الظاهري للكلمة، أو إشارتها المعرفية، وهو ذو قيمة وأهمية كبيرة في الوصول إلى تصور كامل للمعنى، بمعنى آخر إنّهُ الخيوط الخفية التي تربط نسيج النص، وتقويه وتظهره بجلته وزينته الظاهرة.

١ سعيد الصقلاوي، إيحاء المعنى ومعنى الإيحاء معمارياً وتشكيلياً، بحث في مجلة دمار للدراسات والبحوث: اليمن، عدد ٤، ٣١ كانون الثاني، ص ٣٥-٢٦، ٢٠٠٧م.

٢ محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث "السياب نازك والملائكة"، دار الكتاب الجديدة المتحدة: لبنان، ط١، ص ٥٥-٥٦، ٢٠٠٣م

٣ الجرجاني، معجم التعريفات، مرجع سابق، ص ٣٧.

المطلب الثاني: تجليات الإحياء في القرآن الكريم:

لم يرد الإحياء الذي هو مصدر أوحى في القرآن الكريم وإنما ذكر الفعل.

وجاء "أوحى" في القرآن على ثلاثة أنواع:

١- "الإحياء عن طريق الإرسال: وهو الذي يختص بالنبیین، كقوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ} (النساء: آية ١٦٣)، المقصود أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى بإرسال جبريل عليه السلام".^١

٢- الإحياء عن طريق الإلهام وهو نوعان:

أ- "إلهام بشري: وذلك مثل إلهام أم موسى عليه السلام بإرضاعه وإلقائه في صندوق في النهر، كقوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} (القصص: آية ٧)".

ب- "إلهام غير بشري: وهو الإلهام الفطري الغريزي، كالإلهام النحل وتعليمها، فإن في صنعها ولطفها في تدبّر أمرها وإصابتها فيما يصلحها، دلائل بينة شاهدة على أنّ الله أودعها علماً بذلك وفطنها، كما أولى العقول عقولهم".^٢ كقوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} (النحل: آية ٦٨).

٣- الإحياء عن طريق الإشارة: ويكون إشارة بعض أعضاء الجسم، كاليدین، والأصابع، والشففتین، والرأس، وقد ورد الإحياء بأحد هذه الرموز الإيحائية في تصوير انعقاد لسان النبي زكريا عليه السلام، حين رُزق بالولد، فكان ذلك الانعقاد علامة وبشارة من الباري سبحانه على ذلك، وقد ورد في سياقين: الأول في قوله تعالى بعد انعقاد لسانه: {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} (مريم: آية ١١)، والثاني في قوله تعالى: {قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا} (آل عمران: آية ٤١)، وهنا "جاء الوحي بمعنى الرمز فالرمز خفاء مثلما الوحي خفاء"^٣.

١ علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، التفسير البسيط، مؤسسة العكيان: السعودية، ط١، ج٥، ص٢٥٠، ٢٠٠٨م.

٢ محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة: لبنان، ط١، ج٢، ص٦١٨، ١٩٩٠م.

٣ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص٢٠٩.

٤-الإحياء عن طريق الأمر: كقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} (الزلزلة: آية ٤-٥) أي أن الله أمرها.

المطلب الثالث: الإحياء والتكثيف:

الإحياء من حيث المفهوم، "يمكن أن نعده إشارة إلى معنى غير مباشر بطريق التلميح والتعريض والكنائية والرمز، وما تحمله الكلمات من تاريخ نفسي أو دلالي، يفضي إلى معانٍ وصور في ذهن المتلقي، بطريق التذكر والتداعي، هي غير المعاني الحرفية التي تدل عليها هذه الكلمات. وقد كان للإحياء حضوره البارز في البلاغة العربية، رغم ميل البلاغيين أحياناً إلى الإعلاء من شأن التصريح والوضوح، ويتجلى احتفاء البلاغيين بالإحياء من خلال بعض تعريفات البلاغة نفسها من أنها الإيجاز، وأنها اللوحة الدالة.

كما نجد إشارات تبرز احتفاءهم بالطاقت الإيحائية للغة وأن "من مميزات لغة الخلق الفني أن تعتمد على الطاقات الإيحائية في الظاهرة اللغوية أكثر من اقتصارها على طاقتها التصريحية".^١

وأشير إلى إحياء اللغة فقل: "أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره. وقيل: ورب قليل يغني عن كثير، بل رب كلمة تغني عن خطبة بل رب كناية تربي على إفصاح. وقيل: "ومما مدحوا به الإيجاز والكلام الذي كالوحي والإشارة".^٢

فهذه النصوص تدل على وعي بما ينبغي أن تكون عليه لغة الأدب والإبداع من إيجاز وتكثيف وإحياء. كما أن للإحياء خاصية ترتبط أشد الارتباط بعلمية الإبداع، وهو مقوم من أهم المقومات الجمالية التي تنبئ إليها البلاغيون، وبرزت عندهم تنظيراً وتطبيقاً، ويبدو هذا من التعريفات التي ذكرت والتي ركزت على الإحياء والمجاز وتكثيف الدلالة.

١ عبد السلام المسدي، المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي، بحث في حوليات الجامعة التونسية: تونس، ط١٣، ص٣٣،

١٩٧٦م.

٢ ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر الليثي، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ط١، ص٦١،

١٩٩٥م.

وأبرز أشكال الإيحاء عندهم التشبيه والاستعارة والكناية، فالتشبيه يمثل شكلاً من أشكال الإيحاء، تكمن خاصيته الإيحائية فيما يمتاز به من إيجاز واختصار للمعاني، وهو ما جعل بعض البلاغيين يدرجه ضمن أنواع المجاز، وتماشياً مع البعد الإيحائي للتشبيه أعلى البلاغيون من شأن أنواعه التي تتصف بأكثر قدر من الإيحاء، كتشبيه صورة بصورة، وما انتزع وجه الشبه فيه من متعدد، حتى يحدث في المتلقين ما يرجى له من هزة وأريحية وشغف وتحريك للنفوس.

المطلب الرابع: مصطلحات الإيحاء الدالة عليه:

أول ملامح الإيحاء يتجلى في كثرة المصطلحات الدالة عليه أو الدائرة في فلكه من قبيل التلميح، والتلويح، والتخييل، والإيحاء، والتضمن، والإيهام، والإضمار، فهي مصطلحات تندرج ضمن المفهوم العام للإيحاء، وتدل على طريقة من طرائقه، أو آلية من آلياته، أو نوع من أنواعه.

١- الإيهام: لغةً: "هو الذي يحمل معنى الوعد والغلط والاتهام والظن"^١.

اصطلاحاً: "هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء ومديح، ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه"^٢.

كما أن للإيهام مصطلحات وهي التوجيه والتخييل والتورية. وقيل: "الإيهام يسمى التوجيه، وهي أن تكون الكلمة تحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله"^٣.

وعرف الإيهام: "بأنه التورية، وهو أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد، كما أن التورية فيها من المفاجأة والإثارة، وفيها ما فيها من الحرية في التعبير حيال ضغط الرقيب، وفيها ما فيها من الطرافة والرشاقة،

١ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة: مصر، ط٨، مادة (وهم)، ص ١١٦٨، ٢٠٠٥م.

٢ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: د. يوسف الصميلي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ص ٢٣٢-٢٣٣، ٢٠٠١م.

٣ ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي: لبنان، ط١، ١٩٦٣م.

وروح الفكاهة وبراعة الفن".^١ والتورية فضلاً عن ذلك بمثابة تمارين فكرية للمتلقي تعينه على إعمال الفكر والنفاد إلى أعماق الأمور، واستثارة عاطفية، كيف لا وهي تعمل على شحذ الذهن، وإثارة العقول بحثاً عن المعاني، وإدراك أبعادها، لتحديد اللفظ الذي يدل على المعنى المقصود، ومن ثم فهي لا تنفع المتكلم وحده بل والمتلقي أيضاً، لأنّها إذا وقعت في مكانها من الكلام أعطت المعاني الوارفة الظلال التي تبهر السامع وتسحره، لأنّ الناس تعارفوا على أنّ الشيء إذا نيل بعد تعب كان له وقع في النفس، ورونق في القلوب، "وهكذا التورية التي تطلع علينا بوجه تخاله المعنى المراد، وتظنه الشيء الذي يصبو إليه الفؤاد، فيكاد يقنع به غير ذي الهمة، ولكن الطموح يظل يفتش وينقب حتى يعثر على اللؤلؤ المكنون، والذهب الذي من أجله تعبت النفوس للحصول عليه".^٢

٢-الإيماء: "يفسر الإيماء باللغة بالإشارة، ولكن الإيماء أعم من الإشارة، ومن ذلك أومأت إليه إيماء. والإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس والعين والحاجب".^٣ و"كانت العرب تومئ إلى المعنى إيماءً دون التصريح"^٤، وسمي الإيماء اصطلاحاً: بدلالة الإيماء "وهي دلالة التنبيه ودلالة التفهيم، وهي دلالة اللفظ أو السياق بأداة أو حركة مقصودة للمتكلم، غايتها الإشعار بتغليب العلامة والتفهم بها، والإفادة أنّ الحكم المذكور في النص إنما وجد لسببها، ومتوقف عليها، سواء كانت وصفاً أم علة، ولولاها ما انبنى الحكم المذكور عليها".^٥

وتتضح العلاقة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي للإيماء في أنّه ليس فيهما تصريح بالمراد، فالتعريف اللغوي متعلقه حسي، بينما المدلول الاصطلاحي فمتعلقه معنوي، إذ هو من لوازم اللفظ.

١ منير سلطان، البديع، مركز الدلتا للطباعة والنشر: الإسكندرية، ط١، ص ١١، ١٩٨٦م.

٢ عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة والنشر: القاهرة، ط١، ص ٧٧، ٢٠٠٠م.

٣ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٥، مادة (ومي)، ص ٤١٥.

٤ أحمد بن فارس بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف: بيروت، ط١، ص ٢٤٦، ١٩٩٣م.

٥ محمد أوغانم، رسالة في الاستدلال وتمييز المدلول من الدال، مطابع الشويخ: تطوان، ط١، ص ٦٥، ٢٠٠٥م.

٣-التضمين: "يعد من القضايا والمسائل الهامة في البلاغة والنحو العربي، وقد أولاه علماء العربية اهتماماً خاصاً، وعناية فائقة، وذلك لكثرة وروده في كلام العرب شعراً ونثراً، كما يعد مفتاحاً من مفاتيح اللغة العربية وسراً من أسرارها، "لما فيه من توسع في المعنى بألفاظ مختصرة تأتي للدلالة على أكثر مما وضعت له، فتحمل وتتضمن أكثر من معنى وبكل سهولة ويسر ومن غير خلل، فيكون الإبداع ويكون التجويد"^١. وقيل فيه: "وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به، فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأُنس بها والفقاهة فيها"^٢.

والتعريف اللغوي للتضمنين في المعاجم "هو ما يتضمنه الشيء، وكان في حوزته أو إدخاله فيه وجعله منه أو إبداعه شيء في شيء آخر، سواء أكان هذا الإبداع حقيقياً أم مجازياً"^٣.
أما اصطلاحاً: فهو إدخال الأديب في إبداعه الأدبي أقوالاً أو أشعاراً مشهورة لغيره وقد يأتي التضمنين "لتوثيق دلالة أو تأكيد موقف أو ترسيخ معنى، أو لمؤازرة النص إما بتضمنين صريح وإما بتلميح وتلويح"^٤.
وهو نوع من أنواع اتساع العرب في أساليب كلامها، فقد جاء على عدد من المقاصد، اختلف العلماء في عددها، فهناك التضمنين البلاغي، والأدبي، والعروضي، والبياني والنحوي.
٤-التلميح:

هو نوع لطيف جليل المقدار في البديع، عظيم الفائدة في الإيصال إلى المطلوب، وبلوغ الأرب من ذوي الفهم. والتلميح في اللغة من "الفعل لَمَحَ لَمَحاً أي اِخْتَلَسَ النَّظَرَ، وَاللَّمَحُ: سُرْعَةُ إِبْصَارِ الشَّيْءِ"^٥.

١ ينظر: محمد نديم فاضل، التضمنين النحوي في القرآن الكريم، دار مكتبة الزمان للنشر والتوزيع: السعودية، ط١، ص٢٠، ٢٠٠٥م.

٢ ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص٣١٠.

٣ أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان: لبنان، ط٢، ص٦٠٠، ٢٠٠٠م.

٤ زين كامل الخويسكي وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، دار الوفاء للطباعة: الإسكندرية، ط١، ص٢٣٢، ١٩٧٥م.

٥ الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، مادة (لمح)، ج٣، ص١٠٠.

وعرف اصطلاحاً: "بأنّه استراتيجية خطابية غير مباشرة، يعبر بها المرسل عن القصد بما يغيّر معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ، مستثمراً في ذلك عناصر السياق"^١.

والتلميح أحد معايير دلالة الشكل اللغوي التي لا يتضح فيها القصد من الخطاب مباشرة، بل يُعدل به عن التعبير الحقيقي المباشر إلى الحديث بصورة بلاغية تجعل من السامع مهتماً بالخطاب في ذاته قبل أن يقف على المقصود منه، وفي ذلك حرص من المتكلم على تنبيه مخاطبه لاستغلال اللغة في ذاتها للوصول إلى مقصده ودواعيه، لأنّ التلميح يعتمد على أساليب لغوية مختلفة، تشير إلى مقاصد كلامية عميقة ومتنوعة.

٥- التلويح: وهو أن يشار إلى الشيء من بعد، وهو من أساليب العرب القديمة. "ومن روائع التلويح الإشارة إلى المعاني التي لا تُفهم إلاّ بذكاء لمّا ح"^٢.

وقيل: "التلميح هو كناية تكثر فيها الوسائط بلا تعريض، فيكون الفضاء الفاصل بين المعنى المكني عنه والمعنى الحرفي كبيراً"^٣.

٦- التخيل: عرف التخيل بأنّه عملية تصوير جمالي لمعنى ذهني أو معطى خيالي بطريقة إيحائية توهم المتلقي أنه موضوع حقيقي ماثل في الحس. ويستشف ذلك من تعريفات البلاغيين فقول: "أنّ التخيل يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته"^٤.

١ جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، ط١، ص٢٣٢، ١٩٩٥م.

٢ عبد الرحمن بن حسن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، تحقيق: محمد المجذوب، دار القلم: دمشق، ط٤، ص٩٧، ٢٠١٣م.

٣ محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"، المؤسسة الحديثة للكتاب: لبنان، ط١، ص٩٦، ٢٠٠٣م.

٤ الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٤، ص٣٨٩ - ٣٨٨.

وهذا التعريف يؤكد أن "المحتوى التمثيلي الذي تقوم عليه المعطيات التخيلية يهدف إلى تشكيل صور فنية ذات شحنة إيجابية قوية، وأن العملية التخيلية تستهدف تحريك مشاعر الإنسان وعواطفه النفسية، وهذا ما تحيل إليه كلمة "القلب"^١.

وقيل: "إن التخيل هو تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد، وأنه مما يظهر للعيان"^٢.
وقيل: "التخيل هو أن تذكر ألفاظاً لكل واحد منهما معنيين، أحدهما قريب، والآخر بعيد، فإذا سمعه الإنسان سبق فهمه إلى القريب، ومراد المتكلم فهم البعيد"^٣.

تؤكد التعريفات مجتمعة معنى واحداً مؤداه: أن التخيل نشاط ذهني يرادف التصوير ويلزمه، وأن غايته تمثيل موضوع مادي غائب عن الحس، وإثبات معناه في النفس حتى يتوهم الذهن أنه ماثل في الواقع العيني بالصورة المخيل بها.

٧-الإضمار: لغةً: "من الفعل أضمر يضمر إضماراً، فهو مضمر وهو الخفاء والستر"^٤.
اصطلاحاً: "هو رسائل غير ملفوظة ترتكز على السياق اللغوي الداخلي بالطريقة التي يكون بها معنى المعنى. وتعتمد على التلفظ بشكل كبير، لأنها من المعاني الثواني المضمّنة في الملفوظات، كما تعتمد أيضاً على المستوى النحوي في تحليل الخطاب بالدرجة الأولى"^٥.

وعرف الإضمار: "بأنه إجراء تداولي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، التي تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره"^٦. كما إن لغة التخاطب فيه ليست صريحة

١ يوسف الإدريسي، مفهوم التخيل في النقد والبلاغة العربيين الأصول والامتداد، السعودية: مكتبة الملك فهد لخدمة اللغة العربية، ط١، ص ٣٣٨ - ٣٣٩، ٢٠١٥م.

٢ ابن الزملاكي، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب، مطبعة العاني: بغداد، ط١، ص ١٧٨، ١٩٦٤م.

٣ يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، المكتبة العصرية: بيروت، ط١، ج٣، ص ٤-٥، ٢٠٠٢م.

٤ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٤، مادة "ضمر"، ص ٤٩١-٤٩٢.

٥ عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيموطيقا مورييس، دار كنوز المعرفة العلمية: الأردن، ط١، ص ٤٢٥، ٢٠٢١م.

٦ فان دايك، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق: لبنان، ط٢، ص ١٥٦، ٢٠٠٠م.

فالكلام لا يعني دائماً التصريح، بل توجد قضايا لا يمكن التعبير عنها تعبيراً مباشراً، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عبر عنها تعبيراً سليماً.

فالإضمار "يعبر عن محتوى موجود في الملفوظات بصفة غير مباشرة. وكونه دون دال يميزه فإنَّ محتواه مرتبط بالمحتوى الصريح الذي يتميز بدال، وبذلك يمكن اعتبار المحتوى الأول موجوداً ضمناً لكنه غائب عن السطح نستنتجه بواسطة الملفوظ"^١، ومن ثم فهو يعتمد على قصدية المتكلم وحس المخاطب الذي يلجأ إلى التأويلات لفك رموزها.

نجد مما سبق أنَّ الإيحاء والمصطلحات الدالة عليه هي عبارة عن كسر المعقول والانزياح باللغة، قصد تحطيم الرتبة الفنية من أجل تكثيف المعنى، وإعطاء الكلام كثيراً من الدلالات الإيحائية، وهي نوع من أنواع المخاتلة التي تروم إلى الكشف عن الأبعاد النفسية، والجمالية، والفنية للخطاب من خلال اللعب على اللغة التي تؤثر بدورها على المتلقي وذلك بإثارة عقله، واستعمال حسه للبحث عما تشير إليه المقاصد الكلامية العميقة.

١ ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل: الجزائر، ط١، ص١٧٨، ٢٠١٢م.

المبحث الثالث: تعريف الخطاب وأنواعه والخطاب النبوي

المطلب الأول: الخطاب لغةً واصطلاحاً:

تتضمن لفظة الخطاب في معاجم اللغة العربية عدة معانٍ، فقول: "هو الشأن أو الأمر، صَعُرَ أو عَظُمَ كما في قول: حَطَبَ الحَطْبُ". وقيل: هو سبب الأمر^١. والخطاب "الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام. والخطاب أو الخطبة هي الكلام المنثور المسجع ونحوه"^٢. والخطاب: "الكلام، والخطاب: الرسالة"^٣.

والخطاب: "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام. والخطاب: محاوراة وجدال"^٤.

إنَّ هذه المفاهيم اللغوية تتدخل في بنائها عناصر متعددة كالمرسل والمتلقي والرسالة، التي تحيلنا إلى الحوارية التي تجمع بينهما.

كما نجد أنَّ أصحاب المعاجم قد ذكروا دلالة أخرى للخطاب جاءت من تفسيرهم لمعنى كلمة الخطاب الواردة في القرآن، فقد وردت كلمة الخطاب في القرآن الكريم باشتقاقات كثيرة نذكر منها:

قوله عز وجل: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ} (ص: آية ٢٠). وقوله أيضاً: {قَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي

في الْخِطَابِ} (ص: آية ٢٣). وقوله تعالى: {وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا، إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ} (هود: آية ٣٧).

ففي قوله تعالى: فصل الخطاب قالوا: الخطاب: "هو أن يحكم بالبينة أو اليمين. وقيل: معناه الفصل بين الحق

والباطل، والتمييز بين الحكم وضده. وقيل: "هو الفقه في القضاء"^٥.

١ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٣٤.

٢ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة "خطب"، ص ٨١.

٣ الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧٧.

٤ حسنين محمد مخلوف، كلمات القرآن، دار المعارف: مصر، ط ١، ص ٢٧١، ١٩٩٠م.

٥ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٤، مادة: خطب، ص ١٣٥.

كما وقف المفسرون والبلاغيون على معنى الخطاب في فصل الخطاب فقالوا: إنَّه البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه".^١

اصطلاحاً: عرف الخطاب بأنَّه: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"^٢. وقيل: " هو جملة ما يصدر عن المتكلمين من أجل الإقناع والتأثير"^٣.

وقيل هو: "كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه"^٤. وهو "سلسلة من الملفوظات التي يمكن تحليلها باعتبارها وحدات أعلى من الجملة تكون خاضعة لنظام يضبط العلاقات بين الجمل أي العلاقات السياقية والنصية وذلك عن طريق النظام المعجمي الدلالي أو التركيبي الدلالي للنص أو سلسلة العلاقات المنطقية الاستعدادية التي تتجلى في الشفرة التي ترتبط ببرهان لغوي يقوم بين عدة أطراف ضمن ظروف محددة"^٥.

وقيل: "إنَّ اللغة الطبيعية هي مادة الخطاب في الغالب، إلا إنَّ استعمالها هو الذي يخرجها من حالة السكون فما يتم التبادل به ليس اللغة، بل الخطاب الذي يستلهم المعنى من الخارج، أي من السوق اللغوي وبالتالي يكتسب هذا الخطاب قيمة رمزية تتبع من التجارب الفردية ومن التضمين والإيحاء"^٦.

وقيل: "الخطاب محادثة خاصة ذات طبيعة شكلية، يشمل تعبيراً بالكلام عن الأفكار في شكل خطبة دينية أو رسالة أو بحث... إلخ"^٧.

١ حسن بن محمد النيسابوري، تفسير النيسابوري "غرائب القرآن و رغائب الفرقان"، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ص٥٨٧، ج٥، ١٩٩٦م.

٢ علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي: السعودية، ط٢، ج١، ص١٣٦، ٢٠٠٣م.

٣ نعمان علوان، الأساليب البيانية والخطاب الدعوي الواعي، الجامعة الإسلامية: فلسطين، ط١، ص١٣، ٢٠٠٥م.

٤ ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص١٧

٥ صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر: الجزائر، ط٥، ص١٩٢، ٢٠٠٩م.

٦ عبد الهادي بن طافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة: لبنان، ط١، ص٢٥، ٢٠١٤م.

٧ سارة ميلز، الخطاب، ترجمة: يوسف بغول، جامعة منتوري: الجزائر، ط١، ص ١-٢، ٢٠٠٤م.

وعرف "بأنه أحياناً يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات وأحياناً أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات وأحياناً ثلاثة ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها"^١.

المطلب الثاني: أنواع إستراتيجيات الخطاب:

إن إستراتيجيات الخطاب والتخاطب هي الأسس والمعايير التي يكون وفقها الخطاب. وتصنف إلى قسمين رئيسين هما: الأولى: الإستراتيجية المباشرة، الثانية: الإستراتيجية غير المباشرة.

الإستراتيجية المباشرة: وتنقسم إلى عدة أقسام حسب معايير محددة وهي:

" أ-المعيار الاجتماعي: ويتعلق بالعلاقة بين طرفي الخطاب، وتتأسس عليه: الإستراتيجية التضامنية، والإستراتيجية التوجيهية.

ب-معيار هدف الخطاب: وتتأسس عليه: إستراتيجية الإقناع"^٢.

الإستراتيجية غير المباشرة: "وتقوم على معيار شكل الخطاب اللغوي، للدلالة على قصد المرسل وتتأسس عليه: الإستراتيجية التلميحية"^٣.

أولاً: الإستراتيجية المباشرة: "وفيها يعتمد المرسل للتعبير عن قصده، طبقاً لشكل اللغة الدلالي مباشرة، بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهرياً دون غموض أو تأويل، ودون عمليات ذهنية للاستدلال عليه"^٤. وهي على ثلاثة أقسام:

١ سارة ميلز، الخطاب، مرجع سابق، ص ٢٩.

٢ هاتف بريهي شياح، أدب التخاطب مبادئه وقواعده وإستراتيجياته، بحث في مجلة العلوم الإنسانية "كلية التربية: بابل، مجلد ٣٣، العدد ٣، أيلول، ص ٢٢٠، ٢٢١، ٢٠١٦.

٣ إدريس مقبول، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية: المغرب، مجلد ٨، عدد ١٥، ص ٥٤٩-٥٥٠، ٢٠١٤م.

٤ هاتف بريهي، أدب التخاطب، مرجع سابق، ص ٢٢.

١- "الإستراتيجية التضامنية: أو التضامن وهو التزام الشخص ذي المكانة العالية "اجتماعياً أو وظيفياً أو تربوياً... بمخاطبة من هم أدنى درجة، مخاطبة إنسانية عاطفية أبوية"^١، فهذه الإستراتيجية يحاول فيها المرسل أن يجسد درجة علاقته بالمرسل إليه، ونوعها، ويعبر عن مدى احترامه لتلك العلاقة، "وهدفها تأسيس العلاقة الودية بين طرفي الخطاب، وتفعيل التضامن في حياة الناس، وتيسير طرق التفهيم والتعليم من طرق التأدب، وقد وردت في الحديث النبوي لمعالجة النفوس الغاضبة والتربية بالملاطفة"^٢.

٢- الإستراتيجية التوجيهية: "تستعمل هذه الإستراتيجية في العلاقات التواصلية ذات الطابع الرسمي، وحين الشعور بالتفاوت الفكري أو المجتمع الطبقي، كما تستعمل في الحفاظ على التراتبية التي تضمن استمرار الاحترام"^٣، مثل الأحاديث النبوية المرسله من النبي إلى الملوك.

٣- إستراتيجية الإقناع: "وهي الإستراتيجية المشيدة على أخلاقية المناقشة والحوار الهادئ باستخدام أساليب الإقناع والاقناع والتفاهم للوصول إلى نتائج مرضية وأهداف مشتركة، يسعى المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه بإقناع المرسل إليه بما يراه، وتتميز هذه الإستراتيجية بنتائجها الثابتة وديمومتها عند المرسل إليه"^٤. وقد استعملها رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الإسلام.

ثانياً: الإستراتيجية غير المباشرة: وهي التي تعتمد التعبير عن القصد أو المعنى المراد باطنياً، دون التصريح به. ولها قسمان:

١- "الإستراتيجية التلميحية: تعرّف بأنها الإستراتيجية التي يعبر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة، بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة، وذلك بهدف الحرص على التأدب في مخاطبة الآخرين، والرغبة في إظهار التفوق"^٥.

١ إبراهيم براهيم، إستراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة "محمد بشير الإبراهيمي"، منشورات بونة للبحوث والدراسات: الجزائر، ط١، ص١٦، ٢٠١٣م.

٢ يونس فضيلة، إستراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني "دراسة تداولية"، جامعة مولود: الجزائر، ط١، ص٨٦، ٢٠٠٠م.

٣ عبد الهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٣٢٥.

٤ حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث: الأردن، ط١، ص٤٣٥، ٢٠١٤م.

٥ عبد الهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٢٤.

٢- "الإستراتيجية الحجاجية: هي إستراتيجية يومية من ورائها المرسل والمرسل إليه، يبتغي من خلالها المرسل إقناع المرسل إليه بمختلف الوسائل بوجاهة موقفه أو رجاحة فكرته، وتتميز هذه الإستراتيجية بقوة تأثيرها في المرسل إليه".^١

المطلب الثالث: تقنيات تبليغ الخطاب الأدبي في التراث العربي:

لقد أولى علماء البلاغة والنقد عناصر العملية الإبداعية المبدع، الخطاب، المتلقي، قدراً من الأهمية والعناية، "وبينوا سنن القول وطرائقه وجيده ورديئه، واهتموا بالمتلقي وقصده، وحثوا أصناف المتكلمين على إفهامه ومراعاة أحواله، وتخيّر أجود الألفاظ وانتقاء شريفها لحمل المعاني الحسنة، وتقديمها للمتلقي ليسهل أخذه لها وتحسين موقعها منه".^٢ ومن بين تقنيات التبليغ التي حثوا عليها ما يأتي:

١- حسن اختيار الألفاظ: إنّ الخطاب الأدبي ليس رسالة فقط، ولكنه فن أي نسق من المواد التعبيرية والجمالية، التي أسهمت في توصيل الرسالة. "فلكي تسمو لغة الخطاب الأدبي إلى ذرى جمالية يجب أن تتجاوز اللغة اليومية المعيارية ذات العلاقات المنطقية العقلية، وتكسر الدلالة الخطية بين الدال والمدلول، رابطة بين الوظيفتين الأساسيتين الإبلاغية والإيحائية، فاللغة مادة الأدب وجوهره الفعلي".^٣

فالعمل الأدبي يتجدد بلغته لا بفكرته، إذ لو كان يحدد بفكرته لما كان هناك حاجة إلى نشوء لغة خاصة شعرية إيحائية، فاللغة سيرة دائمة التحول في طرائق تشكيلها، لذلك ارتبطت اللغة بالإبداع بشكل وثيق.

والخطاب الفعال هو الخطاب الذي تولد فيه الكلمة حتى إننا قد نتساءل أيهما أسبق الكلمة، أم الإيقاع أم الفكرة، "فتبدو اللغة وكأنّها تولد الفكرة والصورة والمعنى والإيقاع معاً في انسجام كلي ومتناغم، وهكذا تكتسب اللغة في أثناء فعاليتها الإبداعية، كثافة إيحائية مشكّلة من العلاقات المتداخلة والمعقدة المؤدّة لاحتتمالات تأويلية لا نهائية من الصور والرؤى والمشاعر".^٤

١ بلقاسم دفة، إستراتيجية الخطاب الحجاجي، بحث في مجلة المخبر: الجزائر، عدد: ١٠، ص ٢٠، ٢٠١٤م.

٢ الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٦.

٣ تزفيتان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري البجوت ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر: المغرب، ط ١، ص ٧٦، ١٩٨٧م.

٤ أدونيس، زمن الشعر، دار العودة: بيروت، ط ٢، ص ٢٠٠، ١٩٧٨.

٢- الإيقاع الموسيقي: "يرتبط الإيقاع بشكل وثيق بالموسيقى، لكن المغالطة أن نقصر مفهوم الإيقاع على الجانب الصوتي فقط، بل يتداخل في نسيج اللغة بمستوياتها المختلفة، بما يسمح بتخليقه عند القراءة في نشاط حر مبدع"^١.

فالموسيقى هي عنصر أساسي من عناصر الأسلوب الفني وهي ليست خاصة بالشعر وإن كانت خاصية شعرية، لأنها تعني التوافق الرائع بين التكوينات الصوتية للجملة وإيقاع الكلمات والأصوات فيها، وبين الحالة الشعورية التي يعبر الكاتب عنها، لا يختلف ذلك بين شعر ونثر، لأنها جميعاً ينبغي أن تحقق الشرط الأول للغة الفنية وهو التعبير عن خوالج إنسانية عميقة، "لن تكون إلا برعاية الدقة التعبيرية، وإذا بلغ الكاتب هذه الدقة، فإنه قد حقق الموسيقى أيضاً، لأن الامتداد الأكثر عمقاً لهذه الدقة الامتداد الذي يتجاوز اللفظ والجملة والتركيب والدلالة المعجمية إلى الدلالة النفسية"^٢.

٣- حسن الصياغة: الخطاب الأدبي سواء كان شعراً أو نثراً ليس فقط خلقاً وإنما هو صياغة، "فالألفاظ المفردة لا تكتسب لذاتها قيمة يمكن تمثيلها أو استحضارها، إلا بإخراج فني ينحرف بدلالاتها الوضعية إلى دلالات طريفة تنير الفكر والتخيّر، فالألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملائمة اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"^٣.

وإن عملية الإبداع الفني للخطاب لا تجري في اتجاه واحد ومن أجل هدف محدد الإطار وثابت، وإنما هي تتحرك وتتخذ أشكالها المختلفة بتأثير من تفاعلات نوعين تتشكل من التواصل والاتصال والتفاعل بين المبدع والمتلقي، فالمبدع ليس بينه وبين المتلقي حواجز، بل إن المتلقي نابع من ذات المبدع في أشد لحظات إشراف الفكرة ومكابدة ولادتها لتصير وجوداً حاضراً.

١ ميدلتون موري، اللغة الفنية، تعريب: محمد حسن عبد الله، دار المعارف: القاهرة، ط١، ص١٢-١٣، ١٩٨٥م.

٢ صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر: السعودية، ط١، ص٣١٤، ١٩٩٨م.

٣ الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص٣٨.

٤-اختيار الأسلوب: إنَّ الصياغة هي الأسلوب، "كذلك فكلاهما طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه، أو لنقله إلى سواه، أي هو طريقة تأليف الألفاظ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"^١. وقيل في قضية الأسلوب: "إنَّ أنبل طريقة في البلاغة هي الطريقة التي يستعملها الكاتب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً متوحشاً ولا ساقطاً سوقياً، ففي هذا القول نجد أن الأسلوب هو حسن تخير الألفاظ حيث يجب أن تكون واضحة المعاني، لأنَّ اللفظ الغريب والوحشي والنادر يصعب فهمه ويستدعي شرحاً"^٢.

فالأسلوب إيضاح للمعاني لأنها كثيرة في الذهن، بينما الألفاظ تكون رموزها مفهومة، فهي تملك القدرة والقابلية على نقل تلك المعاني الذهنية.

٢-توظيف الصورة الفنية: "الصورة الفنية عنصر مهم من عناصر نجاح التبليغ وليس الشكل الذي يقابل المضمون، فهي ليست من قبيل الزينة الطارئة على المعنى الأصلي، بل إنَّها الجوهر الثابت والدائم في العمل الأدبي، وهي التي تعطي له القدرة على الإيجاد والتأثير"^٣. "ومصطلح الصورة عند البلاغيين كان في حديثهم عن التشبيهات على ضروب مختلفة، منها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة"^٤. "ومنهم من قصر الصورة على الاستعارة، فرأوا أن عبقرية المبدع تظهر في استعاراته، مما يدل على كون الصورة أسلوباً ينتهجه المبدع يريد به إقناع المتلقي والتأثير فيه"^٥.

فمفهوم الصورة بالخطاب الأدبي أنَّها آلية من آلياته الفعالة، ومن أرقى خصائص التعبير في الخطاب، وهي تخضع في فعاليتها إلى قدرة المبدع واستيعاب المتلقي، ذلك لأنَّها تنتج عن تضافر وتساند كل الحواس والملكات والقدرات الفنية.

١ عبد المنعم خفاجي، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية: القاهرة، ط١، ص٤١، ١٩٩٢م.

٢ الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج١، ص١٣٧.

٣ محمد بن يحيى، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب للنشر والتوزيع: الأردن، ط١، ص١٤٩، ٢٠١١م.

٤ محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المنع، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ص٢٧، ٢٠٠٥م.

٥ روبرت هولب، نظرية التلقي "مقدمة نقدية"، ترجمة: رعد عبد الجليل، دار الحوار: اللاذقية، ط١، ص١٠٧، ١٩٩٢م.

٣-مطابقة الكلام لمقتضى الحال: إنَّ مطابقة الكلام لمقتضى الحال أصلٌ من الأصول البلاغية التي لا يمكن تجاهلها، وإلا ضاع من الرسالة ولم يصل إلى المخاطب. وعزّف المقتضى "بأنّه إيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى، فإن اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة مخصوصة من التعبير"^١، وسمي أيضاً "بالاعتبار المناسب فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال حتى يستطيع أن يورد كلامه على صورة خاصة تناسب غرضه، وتعد الصورة الخاصة التي يجيء عليها الكلام هي المقتضى الذي يناسب المقام"^٢. فمع كل حال وجب الإتيان بمقابلة ومناسبه ليتم الفهم والإبلاغ بالغرض المقصود، والحال ينبغي أن يلائم المخاطب، فلكل مقام مقال، فإذا كان من العامة وجب مخاطبته بما يناسب عقله، وإذا كان من الخاصة وجب له كلام خاص به فتأثر الظروف الاجتماعية والثقافية في مخاطبة كل شخص بما يناسبه ويلائمه.

المطلب الرابع: أركان الخطاب

١- المرسل المنتج: يمثل المرسل طرف الخطاب الأول، "الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية، بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير فيه، وعليه أن يختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المتلقي وفق ما يقتضيه المقام، كما أنّ مقاصد المرسل وأهدافه تتنوع بتنوع بعض العناصر السياقية، مما يفرض عليه أطراً معينة لا بد أن يستجيب لها، فإن كان هدفه الإقناع فإنّه يختار من الأدوات اللغوية والآليات الخطابية ما يبلغه مراده. ولا بد من بعض المعايير التي يُحكّمها المنتج عند بناء الخطاب وهي: أ- المعيار الاجتماعي، ب- المعيار التوجيهي، ج- معيار تحديد الهدف"^٣.

٢- المرسل إليه المتلقي: يمثل المرسل إليه طرف الخطاب الثاني الذي يشكل مع المنتج الفعل الاتصالي، "فالمتلقي لم يعد عنصراً ثانوياً بل أصبح عنصراً أساسياً يوجه المعنى ويسهم في بناء الخطاب وتفكيكه. فعلى

١ إنعام فوال عكاوي، ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الجيل: لبنان، ط٢، ص ٦٥٧، ١٩٩٦م.

٢ ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان، مرجع سابق، ص ٣١.

٣ ينظر: عبد الهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص ٢٣.

المتلقي أن يتحلى بمهارات واستراتيجيات حسن الاستماع، والقدرة على فهم الرسالة، وأن تكون لديه الملكة التي تمكنه من تذوق لغة الخطاب فيبيدي تفاعله معه"^١.

٣-السياق العام: ويضم الظروف والملابسات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تحيط بالإنتاج الكلامي. وهناك بعض الخصائص التي يتميز بها السياق وهي:

أ-الحركة المستمرة النابعة من تتابع الأحداث اللغوية

ب-التغير والتجدد تبعاً للحال الذي يكتنف الخطاب فحالات الكلام مختلفة بحسب مقامها

ج-الواقعية والمصادقية التي تضيف للسياق بعداً مهماً يرتبط بمقبولية الخطاب

٤-الهدف القصد: إنّه مرتكز أساسي من مرتكزات أركان الخطاب"^٢.

المطلب الخامس: أنواع الخطاب

للخطابات أنواع عدة، فمنها الخطاب الديني، والخطاب النبوي، والخطاب الأدبي، والخطاب السياسي، والخطاب الإشهاري، والخطاب التاريخي، والخطاب العلمي. سنتطرق إلى بعضها:

١-الخطاب العلمي: ويمتاز بالخصائص الآتية:

- "خلوه من الإيحاء والتلميح.
- موجه من حيث الدلالة، وغير قابل للاشتراك والترادف.
- تراكيب الخطاب العلمي غير مكررة، ولا تعيد نفسها، وتجنح إلى الدقة في استعمال المصطلح الخاص بالحقل العلمي الذي تغوص فيه.
- يعتمد الخطاب العملي على المنطقية في عرض موضوعه.
- يتحرى الخطاب العلمي الموضوعية، والدقة والمنهجية في وصف الظواهر التي يتناولها بالدراسة والتحليل.

١ يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ص١٢٧، ١٩٩٥م.

٢ عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المؤسسة الجامعية للنشر: لبنان، ط١، ص٤٩، ١٩٩٨م.

● يعتمد دلالة المطابقة، كونها تجسد علاقة الدال بمدلوله^١.

٢-الخطاب الأدبي:

هو نقيض للخطاب العلمي لأنه غير ثابت، ولا يقدم حقيقة علمية دقيقة، وإنما يقدم حقيقة فنية تتبع من الذات، وهو نظام إشاري دال، وهذا النظام تشكله مكونات الخطاب وعناصره: الأصوات والمعجم والتركيب والمعنى والتداول، وهو بناء لغوي، واللغة فيه متكلمة عن ذاتها، ومتكلمة عن الأشياء خارجها وفق الصورة التي ترى بها الأشياء. ولغته ملأى بالجناس والتصنيفات اللاعقلية والاعتباطية. كما تتخللها الأحداث التاريخية والذكريات والتداعيات، "فخصائص الخطاب الأدبي متأتية من خصائص جمالية وأسلوبية وبنوية وظيفية، وقد اصطلح عليها بالأدبية وهي صفة الأدب وميزته وهو مصطلح حديث لكن تطرق إليه قديماً وعرف باسم الشعرية لا الأدبية باعتبار السائد آنذاك هو الشعر الغنائي"^٢.

الخطاب النبوي:

لما كان للكلمة أهميتها وأثرها في كل زمان ومكان، تبارى الأقدمون في ابتكار الطرق المختلفة لحفظ أهم ما يريدون الاحتفاظ به لهم وللأجيال المقبلة، ولن نجد أي خطاب بياني أعظم مما روي عن الرسول ﷺ بألفاظه وعباراته في أحاديثه النبوية الشريفة بعد كلام الله عز وجل أجدر من المتابعة والحفظ. ولم تكن معجزة الهادي إلا من جنس حضارة قومه في خصوصيتها المتمثلة في بلاغة الخطاب وفصاحة القول التي كان العرب يتباهون بها كابرًا بعد كابر.

والخطاب النبوي هو "كل ما صدر عن الرسول ﷺ"^٣ من "قول لسانی محكي أو منقول أو فعل غير لسانی حركي مُشاهد أو منقول إلى المتلقي المسلم المعاین هذا الخطاب في زمنه عليه السلام، أو السامع له أو القارئ له في زمن بعده، في سياق تواصل لغوي معين، وموقف مثبت، يخضع لمعطيات ثقافية واجتماعية ونفسية ودينية، في

١ نعمان بوقرة، لسانیات الخطاب "مباحث في التأسيس والإجراء"، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ص ٢٠، ١٩٩٤م.

٢ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي "السرد، الزمن، التبئير"، بستان المعرفة للطباعة: مصر، ط١، ص ١٣-١٥، ١٩٩٧م

٣ أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة: لبنان، ط٢، ص ٣٧٠، ١٩٩٨م.

المجتمع الإسلامي خاصة أو تجارب الحياة الإنسانية عامة^١، ليخرج هذا الخطاب من نطاق النص المخصوص بزمان ومكان محددين إلى نطاق النص اللامحدود زماناً ومكاناً، ويصبح رسالة لغوية نصية خالدة لها فاعليتها وتأثيرها النموذج والمثال في متلقي الحديث النبوي، ثم كل من سار على نهج الرسول عليه السلام واتبع سنته.

المطلب السادس: مقومات الخطاب النبوي:

تميز الخطاب النبوي بصفات يتفوق بها عن الخطابات الأخرى، وهي مقومات داعمة لقبول الخطاب النبوي من جميع من تلقاه. ومن هذه المقومات:

١- الفصاحة والبيان: يتميز الخطاب النبوي بأعلى مقاييس الفصاحة والبلاغة العربية، إذ يجمع كثيراً من المعاني مع القليل من الألفاظ، وهو ما وصفه رسول الله ﷺ بجوامع الكلم، وهو مما ميز الله سبحانه وتعالى به نبيه عن سائر الأنبياء. ففصاحته وبلاغته من السمات التي لا يؤخذ فيه على حقه، ولا يتعلق بأسبابه متعلق، وكان كلامه ﷺ منزهاً عن التكلف، بعيداً عن الصنعة، استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصود في موضع القصر وغير ذلك، وقد امتاز خطابه ﷺ بالسلاسة والدقة والوضوح وخلوه من الألفاظ الوحشية، إذ ترقى البلاغة النبوية إلى أعلى مدارج الكمال البشري في حسن التأني للمعاني بأدق ما يمكن أن تؤديه المفردات والجمل من دلالات ومعان تقع في النفوس موقعاً بالغاً من التأثير ما لا تنقضي عجائبه ولا يذهب بروائه ورونقه بتقادم العهد وكثرة الترداد. ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له إلا توفيقاً من الله جل شأنه. ووصفت السيدة عائشة قوله في الحديث الشريف فقالت: أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ، جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُسَمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ، " أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ"^٢.

١ أحمد عثمان رحمانى، الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف وتطبيقاته، عالم الكتب الحديث: الأردن، ط١، ص١٨،

٢٠١١م.

٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ، رقم: ٣٥٦٨، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٠.

٢-الصدق: الصدق صفة رئيسة من صفات أي خطاب، فهي سمة القرآن الكريم، رسالة ودعوة، وسمة الرسول الكريم محمد ﷺ وسمة المجتمع الإسلامي الذي بناه. "ومن الجدير بالذكر أنَّ رسولنا كان يعرف بالصادق الأمين قبل بعثته، فلما أكرمه الله بالرسالة ازداد تمسكاً بهذه الفضيلة حتى شهد له أعداؤه بذلك"^١. وقد وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: آية ٤). فعلى المخاطب لأي فئة من الناس أن يكون صادقاً في أقواله ودعوته.

٣-شخص النبي ﷺ: إنَّ أهمية الخطاب النبوي نابعة من شخصه الكريم الذي ينطق بالوحي من الله، قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (النجم: آية ٣-٤). وما ينطق عن الهوى أي: "ما يقول قولاً عن هوى وغرض، أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان"^٢.

ومما يعزز الخطاب النبوي وجود النبي ﷺ بين الصحابة، إذ كان يشرح لهم ما يصعب عليهم فهمه، ويصحح لهم أخطاءهم، وذلك وفق ما أمر الله به نبيه، "فقد تحقق في شخصية النبي ﷺ المثل الأعلى، والنموذج الأسمى للكمال الإنساني، وهذه الشخصية المعجزة الخاتمة التي جمعت تمام القيم وعظيم المثل تظل دوماً قدوة"^٣.

٣-الرفق: إن الرفق واللين في أي خطاب له فوائد جلية، وفي خطاب النبي ﷺ أفاد في عودة الناس إلى طريق الحق والصواب، والتزام مبادئه وأحكامه، ومن ثم التفاتهم حول الدعوة، لتنتقل إلى ميادين أوسع وغايات أرحب. "وقد كان ﷺ رحيم الخطاب، ودود الكلام، رقيق القلب قال تعالى في كتابه تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (أل عمران: آية ١٥٩). فبهذه الصفات الحميدة يستطيع الداعية أن يؤثر في عواطف الناس وقلوبهم ليسير بهم في رحاب الدعوة نحو الإيمان والعمل الصالح.

١ دعاء يوسف سلامة، الخطاب النبوي للنساء في ضوء السنة النبوية "دراسة موضوعية"، الجامعة الإسلامية: غزة، ص ٧٣، ٢٠١٤م.

٢ إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: لبنان، ط ٢، ج ٧، ص ٤٤٣، ٢٠٠٠م.

٣ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تحقيق: علي بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: لبنان، ج ٢٧، ص ٩٣، ٢٠٠٠م.

المطلب السابع: دوافع الخطاب النبوي

إنَّ من دوافع أي خطاب لغوي التواصل أو التعبير عن النوازع والمشاعر، أو التأسيس لعلاقات اجتماعية أو التعارف أو تحقيق متعة الكلام أو غير ذلك، وفي الحديث عن خطاب الرسول ﷺ نجد دوافع عامة إنسانية وأخرى خاصة نبوية، "فأما الدوافع الإنسانية فهي دوافع خطابه قبل البعثة، بوصفه فرداً من الناس يتكلم معهم ويحاورهم، يؤثر فيهم ويتفاعل معهم، كما يتصف بالبلاغة والفصاحة المشهود بهما عند أفراد قبيلته، وكل من خالطه وتعامل معه وتحذث إليه"^١. "وبذلك غدا خطابه الإنساني البياني دافعاً لكل من عرفه ليأتيه وينهل من لفظه وتراكيبه وأسلوبه ومعانيه، فقد عُدَّ حجة لغوية وموثلاً أدبياً، يُرجع إليه ويُوثق به"^٢.

أما دوافع خطابه النبوي الخاصة فهي تلامس الحس، وتخطب العقل والمنطق، وتميط اللثام لتكشف وجه الحقيقة أمام أعين المتلقين عما لصق في أذهانهم وعقولهم من أوهام عقديّة واجتماعية، ارتبطت بأعراف وتقاليد باطلة، قيل: "إن النبوة إزاحة علل ذوي الألباب فيما تقصر عقولهم عنه من مصالح الدارين، ولهذا يوصف دائماً بالحجة والهداية، ليزيح بها عنهم على سبيل الهداية والتثقيف"^٣.

المطلب الثامن: خصائص الخطاب النبوي

تميز الخطاب النبوي عن غيره من الخطابات بخصائص عديدة نذكر منها:

١- الريانية: وتعني العناية الإلهية بالخطاب النبوي، "عناية توفيق وتسديد وترشيد، فهو خطاب قد صنع على عين الله عز وجل ليكون منهجاً في العقيدة والأخلاق، وموطناً للأسوة وموضعاً للقدوة، وهذه الخاصية جعلت له

١ محمد علي الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى: الجزائر، ط١، ص٣١، ٢٠٠٧م.

٢ عمر أوكان، اللغة والخطاب الأدبي، إفريقيا الشرق: الجزائر، ط١، ص٥١، ٢٠١١م.

٣ إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، المكتبة العربية: حلب، ط١، ص٣٣، ١٩٧٠م.

قدسية ميزته عن غيره من الخطابات^١، "وأوجبت على الإنسان الالتزام به وطاعته، لأنه يمثل الترجمة التفسيرية

للوحي الإلهي، والتطبيق العملي للقرآن الكريم، فهو رباني المصدر والتوجيه، وإنساني الحركة والتطبيق"^٢.

٢- الشمولية: تعني أن الخطاب النبوي جاء معبراً بشموله واتساعه عن كل الجوانب التي يحتاجها الإنسان في الحياة، كما جاء استجابة لمستجدات الحياة وتطورها، "فلا تكاد تشعر بالعوز أو الافتقار إلى ما يمكن الإنسان من الحياة وفق المنهج الإسلامي والتشريع الرباني"^٣، وهذا الاستيعاب وذلك الشمول من مظاهر الخطاب النبوي وعظمته. "ومن أقوى الأدلة على شموليته هو المواكبة والتواءم العجيب والغريب لجميع جوانب الشخصية الإنسانية من جسم وعقل وروح والذي لا يمكن أن يصدر إلا من نبي موحى إليه"^٤.

٣- العالمية: يقصد بذلك أنه خطاب عالمي يخاطب به البشر جميعاً في كل زمان ومكان على اختلاف أعراقهم وأجناسهم، فقد قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: آية ١٠٧). ولفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات، فدللت الآية "أنه رسول للخلق عامة إلى يوم القيامة"^٥.

٤- الواقعية: امتاز الخطاب النبوي بأنه واقعي لا يخلق في أجواء الخيال، فمع أنه خطاب بشري لكن الرسول ﷺ مرسل من قبل الله عز وجل، ولا يعتمد على الخرافات أو التكهّنات، كما أنه واقعي في أحكامه وتكاليفه وفي نظرته إلى المكلف، وفي نظرته إلى الحياة والتعامل معها، وفي حوله الإصلاحية.

نجد مما سبق أن الخطاب النبوي الشريف خطاب متفرد في صيغته وأسلوبه ولغته، ارتكز في قوته الأساسية على التأييد الرباني، ليكون أسمى أنواع الخطاب الإنساني، فقد اشتمل على مقومات وصفات جمالية أثرته، وارتفعت بمتلقيه إلى مدارج الرفعة في الدنيا والآخرة، فهو خطاب بلاغي مؤثر تحقق فيه الترابط والشمول والانسجام، لامتلاكه ﷺ ناصية اللغة، وصفاء النفس، ولهذا أتى بثماره على النفس والمجتمع.

١ أحمد الربيقي، الربانية خصيصة من خصائص السيرة النبوية، دار الثقافة للنشر والتوزيع: المغرب، ط ١، ص ٧، ٢٠١٨م.

٢ دعاء سلامة، الخطاب النبوي للنساء في ضوء السنة، مرجع سابق، ص ١٥٤،

٣ عبد الستار سعيد، الشمول الإسلامي حقائقه وآفاقه، مقالة في مجلة البيان: القاهرة، عدد: ٢٦٥، ص ١٢، ٢٠٠٩م.

٤ يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: عمان، ط ١، ص ٤٦-٤٧، ١٩٩١م.

٥ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر: لبنان، ط ١، ج ٢٤، ص ٤٠، ١٩٨١م.

الفصل الثاني: مظاهر الإحياء في الخطاب النبوي

ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإحياء اللفظي في الخطاب النبوي

المبحث الثاني: الإحياء بالصورة الفنية في الخطاب النبوي

المبحث الثالث: الإحياء في الوسائل الخارجية الإيضاحية

المبحث الأول: الإيحاء اللفظي في الخطاب النبوي

المطلب الأول: الإيحاء في استعمال الكلمة الغامضة

ورد في الحديث الشريف بعض الألفاظ الغامضة التي لا يعرفها إلا من استخرجها من مظانها وعُني بها، فكل لفظة وضعت وضعاً فنياً مقصوداً في مكانها المناسب، فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع هام جداً إذ الحاجة إليه ضرورية في البيان لازمة في الإيضاح، فهي الأصل في الخطاب، إذا عرفت ترتب المعاني عليها، وعرفت المقصود من الكلام.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا جُبُّ الْحَزَنِ قَالَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَدْخُلُهُ قَالَ الْفَرَّاءُ الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ^٢.

أشار الرسول ﷺ إلى مدى خطورة الرياء وضرورة الحذر منه من خلال استعماله للفظة جب الحزن، وهي كلمة غامضة غير واضحة الدلالة، وذلك لإثارة انتباه الصحابة وحثهم على السؤال. وأرى أنه ﷺ قد تعدد ذكرها ليحثهم على التفاعل ويجذب اهتمامهم، وهذا ما كان فقد سأله أصحابه "وما جب الحزن" وبعد ذلك سأله "ومن يدخله؟" فبذلك يكون المراد قد تحقق، وإثارة الانتباه قد حصلت.

ومنه أيضاً ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "كُلُّ مَخْمُومٍ^٣ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ". قَالُوا: صَدُوقِ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: "هُوَ النَّفَّيُّ النَّفَّيُّ، لَا إِنْثَمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيٍ، وَلَا غِلٍّ، وَلَا حَسَدٍ"^٤.

^١ الجُبُّ البئرُ، وقيل هي البئر لم تُطَوَّ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٤٩.

^٢ محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، رقم:

٢٣٠٥، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ١، ج ٨، ص ٣٩١، ٢٠١١ م.

^٣ مَخْمُومُ الْقَلْبِ كَأَنَّهُ قَدْ نَفَّيَ مِنَ الْغَشِّ وَالْغِلِّ، ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب

العلمية: لبنان، ج ٤، ص ١٤٧، ط ١، ٢٠٠٣ م.

^٤ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم:

٤٢١٦، دار التأسيس: القاهرة، ج ٥، ص ٢٩٩، ٢٠١٤ م.

استخدم الرسول ﷺ لفظة "مخموم" في مجال الحث على تتقية القلب من الشوائب المعنوية، فمخموم: "هُوَ مِنْ حَمَمَتِ الْبَيْتِ إِذَا كُنُسْتَهُ وَنَطَقْتَهُ"^١، وهي لفظة جديدة على الصحابة لم يكونوا قد استعملوها قبل، ولا يخفى علينا أثر الكلمة في المتلقي، فكيف إذا كانت كلمة جديدة، عندها تكون ذات تأثير مضاعف على المتلقي لا يزول بمرور الأيام، فلذلك نجد الصحابة قد سألوا الرسول ﷺ عن معناها فقالوا: فما مخموم القلب؟ ليوضح الرسول ﷺ المعنى ويبلغ الإفهام بقوله: هو التقي...

ومن الأحاديث التي نلاحظ فيها إيهاماً وتشويقاً ناتجاً عن استخدامه ﷺ اللفظ الغريب الموحى المبهم المدلول والمراد، ما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»^٢.

نجد في قول الرسول ﷺ سبق المفردون إيهاماً يثير الصحابة لمعرفة المراد، فالصحابة قد يعلمون معنى التفريد، فالتفريد هو: "التفقه واعتزال الناس، والمفرد: هو المنفرد"^٣.

ولكن إلى ماذا يشير النبي ﷺ؟ وما المعنى المقصود؟ لذا قال الصحابة: وما المفردون؟ ولم يقولوا: من المفردون؟، لأنهم فتشوا عن معرفة ما المراد منه لا تعيين المتصفين به، فأجاب الرسول ﷺ: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات، أي "أن التفريد الحقيقي المتعبد هو تفريد النفس بذكر الله تعالى"^٤ وهو المراد، وهؤلاء الذين خصصوا بكل مكرمة وسبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى.

فمن سبكه للكلام ﷺ أوحى لنا أن هناك شيئاً مهماً بدأه عندما قال "سبق المفردون" والعرب تبدأ بالمهم.

^١ محمد بن عبد الهادي التتوي، نور الدين السندي، حاشية السندي على ابن ماجه، دار الجيل: بيروت، ج٨، ص٦٩، ط١ ٢٠٠٣م.

^٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي: القاهرة، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم: ٤٨٣٤، ط١، ج١٣، ص١٦٩، ١٩٩٥م.

^٣ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص٣١٤

^٤ محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ج١٧، ص٤، ط٢، ١٩٢٩م.

ومن لطيف ما ورد في ذلك أيضاً ما رواه البراء قال: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ لَا يَتَخَلَّلُكُمْ كَأَوْلَادِ الْحَذَفِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَادُ الْحَذَفِ قَالَ سُودٌ جُرْدٌ تَكُونُ بِأَرْضِ الْيَمَنِ^١.

عبر رسول الله ﷺ في هذا الحديث عن المعنى بأسلوب يشبه اللغز، فقد دعا أصحابه إلى تسوية صفوفهم في الصلاة، وحثهم على أهميتها حتى لا يدخل الشيطان بينهم كأولاد الحذف، مما أثار فضول الصحابة وحب الاطلاع لديهم لمعرفة ما معنى ذلك، فهم لم يدركوا هذا المعنى سابقاً ولم يتطرق لأسماعهم، فبادروا إلى السؤال مباشرة لبيان مقصد الرسول منه فقالوا: وما أولاد الحذف؟ فقد تآقت نفوسهم لدرائتها، فأعرب الرسول ﷺ عن المعنى بعد أن رأى منهم اللهفة والإقبال بقوله: "سود جرد تكون بأرض اليمن" وهم غنم سود صغار، ويقال: هم أولاد الغنم^٢.

نظير ذلك ما رواه أبو هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^٣.

هذا الحديث يعكس لنا جو الحيرة الذي كان سائداً لدى الصحابة، فالنبي ﷺ يخبرهم أن من الناس من يأبى أن يدخل الجنة، إذ كيف تكون جنة الرحمن التي هي غاية كل مجتهد، ومطلب كل راغب فلا يشمر لها ولا يقدم عليها؟ يتعجب الصحابة من ذلك خصوصاً أن الرسول قد استعمل كلمة "أبى" وما يحمله هذا اللفظ من معاني الرفض الشديدة والمكابرة والإصرار، لا يصطبر الصحابة أكثر من ذلك فيسارعون في سؤال النبي: ومن يأبى؟ ليفسر لهم رسول الله ﷺ بعد أن هياً لهم مجالاً ليتساءلوا ويستوضحوا ما خفي عنهم بقوله: من عصاني فقد أبى، فكأنه يريد أن يقول أطيعوني لتدخلوا الجنة ولا تعصوني حتى لا تحجبوا عنها، وأدركوا أن الإباء بهذا المعنى

^١ أحمد بن محمد حنبل، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: لبنان، رقم: ١٧٨٧٥، ج ٣٨، ط ١، ص ٦٢، ٢٠٠١ م.

^٢ علي بن عبد الملك ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، إبراهيم الصبيحي، النبلاء للكتاب: مراكش، ط ١، ج ٢، ص ٣٤٦، ٢٠٠٧ م.

^٣ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: ٧٢٨٠، مرجع سابق، ج ٩، ص ٩٢.

ليس بمستبعد، فكثير من الناس تقع في المعصية. ولكنه ﷺ تحاشى الأمر والنهي المباشر، وسلك هذا المسلك الذي يجعل الطاعة أمراً محبباً والمعصية أمراً مكروهاً، والغاية من ترك المعصية والطاعة دخول الجنة. مثل ذلك ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا^١. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: الْمَسَاجِدُ، قُلْتُ: وَمَا الرَّتْعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ^٢.

استدعى حث الرسول ﷺ في قوله: "إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا" تساؤلاً لدى الصحابة عن تلك الرياض وهم لا يزالون في الحياة الدنيا، فأين هي وكيف يرتعون بها؟ ليظهر لهم النبي ﷺ المعنى الحقيقي الذي أراده من رياض الجنة، "وهي المساجد"^٣ فالرسول شبهها بذلك لما يحدث فيها للجالسين من راحة وطمأنينة في القلوب، لما فيها من ذكر الله.

ومن ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرة، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا طَيْرَ، وَخَيْرُهَا الْفَأَلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»^٤.

قوله ﷺ: "خيرها" ظاهر الكلام يبين أن للطيرة خيراً، وقد عُلِمَ أن الطيرة لا خير فيها، كما أن إضافة الخير إلى الطيرة مُشْعرة بأن الفأل من جملة الطيرة، لكن المعلوم أن الطيرة تستعمل في الشؤم، والفأل يستعمل في الخير، وهذا ما جعل الصحابة تدهش وتتساءل عن معنى الفأل ليوضح لهم الرسول ﷺ أن الفأل "قد يستعمل فيما يسوء وفيما يسر والغالب في السرور، وهو من طريق حسن الظن بالله"^٥.

^١ فارتعوا: كلوا واشربوا ما شاء في خصب وسعة. جلال الدين السيوطي، الجامع الكبير، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ج١، ص٣١٧٢، ٢٠١٦م.

^٢ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج٥، ص٤١٢.

^٣ ينظر: مظهر الدين الزيداني، المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر: لبنان، ط١، ج٢، ص٦٣، ٢٠١٢م.

^٤ محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، رقم: ٥٧٥٥، مرجع سابق، ج٧، ص١٣٥.

^٥ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ج٢١، ص٢٧٤، ٢٠٠١م.

ومثل ذلك ما رواه أبو هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ"، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»^١.

رغب النبي ﷺ في أن ينبهنا إلى عِظَمِ أجر المسلم الذي راعى حق أخيه حتى بعد الموت من خلال إثارة المتلقين وتحفيزهم للمعرفة، وذلك باستخدام لفظ "قيراط" الغريب في سياق الحديث، فلذلك تطلعوا لدرايته وسألوه عن حقيقته حتى يتضح لهم مقدار الأجر الذي يكون لمن قام بهذا العمل الفضيل المحبب فيه، فقالوا: وما القيراطان؟ ليجيب ﷺ "أنه يكون لمن حضر الصلاة على الميت، ثم تبع الجنازة حتى الدفن يكون له من الأجر مثل جبلين من أحد"^٢.

وهكذا نرى الدور الكبير الذي أداه الإيضاح للمفردة المبهمة، وقدرته في تقرير المعنى وتمكينه من النفوس، كما أدركنا أن الإيضاح الذي ورد في الأحاديث السابقة لا سبيل لمعرفة ما لم يأت تفصيله من المصطفى ﷺ.

المطلب الثاني: الإيحاء بالعبارة

كان النبي ﷺ في خطابه معلماً لجميع الأمة، فألفاظه وعباراته لا تختص بأشخاص معينين، بل تكون من خلال حادثة معينة أو مواقف مع أشخاص، أو رسائل أو توجيه وإن خاطب فيها شخصاً بعينه، فإنَّ الحديث هو درس للمسلمين كافة، وهذا ما نجده في عباراته ﷺ، فهي بسيطة قلَّ فيها الكلام، وكثر فيها المعنى، فالنبي يتخير اللفظة المناسبة، ويصوغ العبارة بالطريقة المناسبة ليوحى بالمعنى الذي يريد، ونرصد في الخطاب النبوي طريقة لإثارة المتلقي في تغليف العبارة بالإيحاءات.

فيأتي ﷺ بالعبارة كاملة وهي على وضوح ظاهرها عجيبة الدلالة مخالفة لبدهيات الأمور، توارى وراء ألفاظها معنىً مراداً غير مصرح به ابتداءً، فتثير في النفس رغبة في الكشف عن المقصود والتصريح به. ومنه حديث

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنازة وأتباعها، رقم: ٥٢، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٥٢.

^٢ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٤١٩.

أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»^١.

يتناول هذا الحديث المعنى بأسلوب يثير الدهشة والاستغراب، إذ أمر الرسول ﷺ أن ينصر الأخ أخاه ظالماً كان أو مظلوماً، ومثل هذا الأمر من شأنه أن يدعو إلى التساؤل عن نصره حال كونه ظالماً، وهذا ما كان من الصحابة إذ قالوا: فكيف ننصره ظالماً؟ فرد رسول الله ﷺ مبيناً لهم مفهوماً جديداً لنصر الأخ والوقوف إلى جانبه، بأنه ليس كما هو في ظاهر الكلام بأن ننصره على الرغم من ظلمه، إلا أن المقصود شيء آخر "هو الأخذ على يد الظالم ومنعه من العدوان على أخيه"^٢، وقد أخرج النبي ﷺ المعنى بأسلوب في غاية الروعة إذ جعل المظلوم أخاً والظالم أخاً، ووجه إلى ضرورة منع الأخ الظالم من ظلمه، وسمى ذلك نصراً له.

كما أننا نجد أن الرسول الكريم باستخدامه هذا الأسلوب اللطيف الغريب الدلالة سعى ﷺ إلى تصحيح "مثل قديم" كان عند العرب في الجاهلية، "ونقله من معناه الجاهلي الساقط إلى معناه الإسلامي الراقي، مع الحرص على إبقاء لفظ هذا الشعار الجاهلي الباطل الذي يبعث على الحمية في الحديث الشريف"^٣. وذلك ليمسكوا بالمعنى الإسلامي الجديد في عصر الحق والعدل كتمسكهم باللفظ الجاهلي القديم. وهنا تتجلى حكمة الإصلاح التي رسمها المنهج النبوي في الاهتمام بإيصال المعنى المقصود ولو كان بعبارة مغلفة بالباطل قد ألفها العرب في الجاهلية. وهذا ما يرشدنا إلى أن عملية تصحيح المفاهيم ينبغي ألا تعوقها الألفاظ والظواهر، بل ينبغي أن نقف كثيراً مع المعاني والحقائق، فهذه العبارة يختلط فيها الخطأ والصواب، ولذلك فمن الممكن تصحيحه مع بقاء أصله، فالتصحيح بالتلميح والإيحاء قد يكون هو الحكمة أكثر من التصريح.

^١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب عن أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم: ٢٤٤٤، مرجع سابق،

ج ٩، ص ١٠٠

^٢ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢٤، ص ١٠٧

^٣ محمد جابر العلواني، الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: سعيد محمد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: عمان، ط ١، ص ٣٥٤، ١٩٩٣م.

ونظير ذلك ما رواه أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكُفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^١.

يبدأ النبي الخطاب بعبارة تحذير لينهى الصحابة عن الجلوس في الطريق، ولكن الصحابة أجابوا رسول الله ﷺ بأنهم لا بد لهم من ذلك، فيوجههم الرسول ﷺ إلى ما ينبغي عمله بقوله: "أعطوا الطريق حقه" وهو أمر للوجوب، ومن ثم سأل الصحابة عن هذا الحق الذي أمروا به قائلين: وما حقه؟ وهم متشوقون لمعرفة هذا الحق الذي لا عهد لهم به، فروى ظمأهم ببيان ما خفي عليهم قائلًا: "غض البصر و..." فعرض لذلك المعنى المبهم. فنحن نعلم أنَّ هناك حقوقاً لكن أن يكون للطريق حق! فهذا أمر يشوقنا لمعرفة ذلك معرفة لا لبس فيها فتتعلق النفس به، فالأمر إذا جاء مبيناً ارتاحت النفس له، واطمأن القلب، وحصلت لذة العلم بالشيء بعد انتظاره.

نظير ذلك قول عائشة رضي الله عنها عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا دَبَحُوا شاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَقِيَ مِنْهَا قَالَتْ مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا^٢.

اللافت في الحديث هو تقرير الرسول ﷺ لأمر يخالف ما يبدو للمرء في ظاهر الحال، ويعكس ما هو متوقع، لذا فوجئت السيدة عائشة بالحديث بما لم تتوقع، وفي ذلك جذب للأنظار وإثارة للانتباه، فالمعنى الظاهر في الحديث أن الشاة قد نُصِّدَقَ بها كلها ولم يبق منها إلا الكتف، لكن الرسول ﷺ قد جاء بالمعنى على غير صورته الحقيقية، فالقارئ يرى أن الشاة بقيت كلها إلا الكتف، ولكن الرسول جاء بذلك للمبالغة في عظم الصدقة وما تعود به من الأجر والخير على صاحبها، فقد قصد ﷺ "أنَّ ما تصدقت به باقٍ، وما بقي عندها غير باقٍ"^٣. نجد أن معنى الحديث جاء بهذه الطريقة غير المباشرة فزاد من عمق المعنى وثرأته.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، رقم:

٥٦٨٥، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨

^٢ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب منه، رقم: ٢٣٩٤، مرجع سابق، ج ٩، ص ١٠

^٣ الإمام البغوي، شرح السنة للبغوي، المكتب الإسلامي: بيروت، ج ٣، ط ١، ص ١٧٣٣، ١٩٣٨ م.

ومن بديع ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^١.

المعنى في ظاهر الحديث مبهم، فأول ما يخطر في الذهن غرابة جعل البيوت مقابر، وهو نهْي غريب في ظاهره، جديد في معناه، أثار الفضول والحيرة لدى الصحابة ثم ما لبث ﷺ أن أوضح لهم المعنى المقصود، وهو ألا يجعلوا البيوت مثل المقابر التي لا يُصلى فيها، لأنها ليست محلاً للصلاة. فالرسول ﷺ يحثهم بذلك على أن يجعلوا لبيوتهم نصيباً من صلاتهم حتى تكون منورة عامرة بذكر الله، وألا يكونوا كالموتى في عدم الاشتغال بقراءة القرآن حتى يكونوا منفريين للشيطان، فهو ينفر ويتعد من البيت الذي يقرأ فيه القرآن^٢. هذا النهي الذي نجده من النبي في بداية الحديث يحمل في طياته كثيراً من الحث والترغيب للصحابة، ويوقف لديهم التلكؤ والتباطؤ في العمل، فمن لا يرغب بأن تحفه الملائكة ويتردد عدو الله من بيته؟.

مثيل ذلك ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو - رضى الله عنهما قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»^٣ وفي رواية: "أن يسب".

بدأ النبي بالنهي عن هذا الفعل القبيح بالإبهام، فكيف يسب الرجل والديه وهم أحب الناس إليه، فهذه الجملة المبهمة لا تفهم على ظاهرها، بل هي عبارة مغلفة بالإيحاء، وهي على وضوح ظاهرها عجيبة الدلالة، مخالفة لبدهيات الأمور، توارى وراء ألفاظها معنى مراداً غير مصرح به ابتداء، فتثير في النفس رغبة في الكشف عن المقصود والتصريح به، فكيف يلعن الرجل والديه؟ هذا أمر مستبعد وغريب، وهذا ما أثار فضول الصحابة

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، رقم: ١٨٦٠، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٨.

^٢ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٨، ص ٤٨٢، وينظر: محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تحقيق: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، دار المعرفة: لبنان، ط ١، ج ٦، ص ٣٣٦، ٢٠٠٤م.

^٣ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم: ٥٩٧٣، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ٥٧.

واستغرابهم، وجعلهم يستفسرون إذ قالوا: "وكيف يسب الرجل والديه؟" فيجيب الرسول ﷺ بالإيجاب أي إنه يحصل، ثم يفصل لهم أن هذا السب لا يقع على الوجه الذي ظنوه، ويوضح لهم: أنه يستبعد أن يقوم بسبهما مباشرة لكنه قد يتسبب فيه، "بأن يسب أبا رجل آخر فيسب هذا الرجل أباه أو يسب أمه فيسب أمه فمن فعل ذلك فكأنما سب والديه"^١ ومن هذا علم أنه من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء. وهذا التوجيه الشريف منه ﷺ جعلهم يستعظمون هذا الأمر المشين ويستبعدونه. ونجد نظير ذلك ما يزيد فهمه من القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام: آية ١٠٨).

يقول العلماء في تفسير هذه الآية الكريمة: أي "ولا تسبوا أيها المسلمون الأوثان التي يعبدونها المشركون حتى لا يتسبب ذلك في سبهم الله جهلاً واعتداءً بغير علم"^٢. فهذه الآية الكريمة هي التي تهدي إلى المراد من الحديث الشريف وهو النهي عن التسبب في سب الوالدين، إذ هو نوع من سبهما.

ويشبه ذلك أيضاً ما رواه ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُرِيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قيل: أَيْكُفَرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: "يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ"^٣.

لقد سلك الرسول ﷺ سبيل الغموض إثارةً وتشويقاً، فنجد أن كلمة "يكفرن" قد غلفت بظلال مدلولها اللغوي الذي أراده النبي ﷺ، لكن الذي يتبادر للنفس أولاً معنى الكفر المناقض للإيمان بالله، وهنا يتولد الإيحاء بالمعنى الذي تنفّر النفس منه وهو الكفر، فيبدأ المتلقون بدراسة الواقع وملاحظة كثرة الكافرات وقلة الكافرين، وحتى يكونوا على بينة من مراده ﷺ سألوهم قائلين: أيكفرن بالله؟ فيجيب عن سؤالهم بالتفصيل في شأن طبيعة الكفر الذي نسبته

^١ محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ج٥، ص٣٥١، ٢٠٠١م.

^٢ محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر: السعودية، ط١، ج١٢، ص٣٣، ٢٠٠٨م.

^٣ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير، وكفر دون كفر، رقم: ٢٩، مرجع سابق، ج١، ص١٥.

إليه، وهو كفران العشير، "والعشير الزوج قيل له عشير من المخالطة والمعاشرة"^١. ثم توسع ﷺ في بيان هذا الكفر حيث أثبت أنهم يكفرن الإحسان سواء من الزوج أو غيره، إذ إن القليل منهم من يعترف بفضل أزواجهن. ونجد في ذلك كله تحذيراً للناس كافة والنساء خاصة من كفر النعم، سواء كانت من المولى العزيز أم من بعض خلقه، للتفكير من هذا الداء القاتل، وهو الكفر الذي جاء به النبي ﷺ أولاً مجملاً، وذلك حتى تسعى العقول إلى درايته، وتتهياً القلوب لاستقبالها، ثم مفصلاً ليبقى بعد ذلك غير منسي.

ونظير ذلك حديث سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ»، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»^٢.

استهل النبي ﷺ حديثه بكلام واضح مفهوم إلى أن وصل إلى قوله: "عسله". هل أراد النبي ﷺ العسل الذي يستخرج من النحل؟ فكيف يعسل قبل الموت من أراد الله به خيراً؟ هذا ما أثار اهتمام الصحابة وجعلهم في حيرة واستغراب، فما المقصود من ذلك لأن ما يخطر بالبال لا يتناسب مع ما يقال. ليبين لهم النبي بعد ذلك المقصود أي يرزقه الله من العمل الصالح قبل موته ما يطيب ذكره بين الناس^٣.

المطلب الثالث: الإحياء بالحذف لغةً واصطلاحاً وتجلياتها في الخطاب النبوي

ابتكر الرسول ﷺ أساليب تواصلية فعالة، إذ نراه ينوع هذه الأساليب بحسب المقام والسياق، مما يجعله يتجاوب مع النفس البشرية في أبعادها المختلفة والمتنوعة، فمرة يخاطب العقل ويرشده إلى إعمال الفكر والنظر والتفكير في الخلق واستنباط السنن الكونية، ومرة يخاطب الروح بأشواقها وتطلعاتها وآمالها وآلامها، ومرة يرشده إلى الاستدلال المنطقي، ومرة يفتح عينيه على البديهيات وغيرها من الأساليب، مما جعل من الأحاديث النبوية منظومة تواصلية بالغة التأثير في المتلقي ومن هذه الأساليب الحذف.

^١ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٢

^٢ أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، رقم: ١٧٧٨٤، ج ٢٩، مرجع سابق، ص ٣٢٣

^٣ محمد المناوي، فيض القدير، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٥٦

الحذف لغةً: هو "الإسقاط، والرمي، والقطع، والطرح"^١. والأصل في كل ما يراد الإعلام به من عناصر الجملة أن يُذكر ولا يحذف منه شيء، لأن ذكره دليل إرادة الإعلام به، والإخبار عنه، أمّا حذفه فهو دليل إرادة كتمانته وتعتمد عدم الإعلام به، وإن الوصول إلى المحذوف يعني الوصول إلى البنية العميقة. كما يوجد في البيان العربي مواضع تكون بعض أجزاء الجملة واجبة الحذف أو جائزة، وذلك في مواطن يمكن أن يفهم فيها المذكور بالفطنة أو الاستنتاج من بعض المشتقات المذكورة، أو مما يسهل إدراكه وإن لم يوجد في الكلام لفظ خاص يدلّ عليه.

أما اصطلاحاً: هو "إسقاط بعض الكلام أو كله لدليل، أي أن يحذف المتكلم من كلامه حرفاً من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف"^٢. وقيل عن دقة فنّ الحذف وروعة بلاغته: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما يكون بياناً إذا لم تُبّن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنتظر"^٣.

والحذف في الحقيقة "ضرب من ضروب الإيجاز، وهو المسمّى بالإيجاز بالحذف"^٤، وأصل البلاغة في هذه الوجازة هي التي تعتمد على ذكاء القارئ والسماع، وتعول على إثارة حسّه، وبعث خياله، وتنشيط نفسه، "حتى يفهم بالقريّة ويدرك باللمحة، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير"^٥.

كما أنّه يستقرّ حسّك وملكاتك، وكلّما كان أقدر على تنشيط هذه القدرات كان أدخل في القلب، وأمسّ بسرّات النفس المشغوفة دائماً بالأشياء التي تومض ولا تتجلّى، وتتقنّع ولا تتبدّل.

^١ ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، باب الفاء فصل الحاء، مادة (حذف)، ص ١٨٦. وزين الدين محمد بن

أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد مختار، المكتبة العصرية: بيروت، ط ٥، ص ١٢٧، ١٩٩٩ م.

^٢ ينظر: أحمد مطلوب الرفاعي، أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني، وكالة المطبوعات: الكويت، ط ١، ص ١٩٠، ١٩٨٠ م.

^٣ الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ١١٢.

^٤ الإيجاز بالحذف هو ما يحذف منه المفرد، والجملة؛ لدلالة فحوى الكلام على المحذوف. ضياء الدين ابن الأثير الموصلي،

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: بيروت، ط ١، ج ١، ص ٧٤،

١٩٩٥ م.

^٥ محمد أبو موسى، خصائص التراكم دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة: مصر، ط ٢، ص ١٥٣، ١٩٨٠ م.

وفي ما ورد من حذف في أحاديث الرسول التي سنعرض بعضها ونحلّله نجد أنّ القاسم المشترك فيها ما يأتي:
أحدهما: قابليّة المقام للحذف، وهو أن يكون المتلقّي عارفاً بالمحذوف، لوجود قرينة دالة عليه.

والآخر: الداعي الموجب لرجحان الحذف على الذكر. والمحذوف يقدر بما يناسب السياق ويلائم المقام، وإذا احتمل السياق أكثر من تقدير فينظر الأنسب والأكثر موافقة للمقام. فينبغي للمتلقّي أن لا "يقدر إلاّ أفصحها وأشدّها موافقة للغرض؛ "لأنّ العرب لا يقدرّون إلاّ ما لو لفظوا به وذلك أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به"^١.

ومن ذلك ما رواه أبو قتادة بن ربعي الأنصاري، أنّه كان يحدث: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم مرّ عليه بجنّازة، فقال: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ»^٢.

مناسبة ورود هذا الحديث مرور بعض الناس بجنّازة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه، فقال مستهلاً: (مستريح ومستراح منه). أي "أن الميت لا يعدو أحد القسمين إما مستريح وإما مستراح منه"^٣، وهنا لا يصعب على الصحابة الحضور أن يتنبّهوا ويعرفوا من هذه الجملة -وهم من هم في الفصاحة والبراعة وصفاء السليقة- أنّ في الكلام حذفاً، فطبيعي أن يتطلّعوا لمعرفة هذا المحذوف، ويسعوا في تقديره، فلم يتضح المعنى في أذهانهم. فالنبي صلى الله عليه وسلم قد فاجأهم بمسند لا مسند إليه له في الظاهر، فحملهم نهمهم للمعرفة، وشغفهم بالعلم على أن يفكروا ويعتبروا في حقيقة المحذوف، فإذا بالمناسبة توجي إليهم تقدير المحذوف في إطاره العام، ويعلم منها أنّ مراده ﷺ هو أن يقول: الميت مستريح ومستراح منه، أو الذي تروونه محمولاً مستريح أو مستراح منه، أو غير ذلك من التقديرات الملائمة.

^١ عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تحقيق مزي سعد الدين دمشقي، دار البشائر الإسلامية: بيروت، ط١، ص٤، ١٩٨٧م.

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم: ٦٥١٢، مرجع سابق، ج٨، ص١٠٧.

^٣ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب دار المعرفة: بيروت، ج١١، ط١، ص٣٦٥، ٢٠١٣م.

وهذه الحركة النفسية الناتجة عن عملية البحث عن المحذوف والسعي في تقديره حسب ما يلائم السياق، هي مبعث التشويق ومثار الانتباه ومدار الاستمالة في هذا الفن، فكلماً سعت نفس المتلقي في تقدير ما حذف عُلقت بالحديث أكثر وأصبح عندها أعز معنى وأبرز مبنى، لأن في هذا النمط من الكلام اختباراً لمدى تنبّه المتلقي للكلام، وامتحاناً لقدر متابعته له.

ونرى بجانب الاستمالة الموجودة في حذفه صلى الله عليه وسلم للمبتدأ المسند إليه في الحديث السابق أسلوب تشويق آخر، وهو الإيضاح بعد الإبهام. وذلك لأن إدراكهم للمقدّر -وأثّه هو الميت، أو المحمول، أو الإنسان، أو المنظور إليه، أو غير ذلك ممّا يناسب- لم يمنعهم من أن يستشرفوا لمعرفة ما السبب الذي يجعل الإنسان مستريحاً، وما العلة التي تصيره مستراحاً منه. وقد صعب عليهم فهم إمكان اتّصاف الإنسان بهاتين الصفتين بعد موته، ولمّا لم يسعفهم النظر ولم يغنهم التفكير سألوهم ﷺ قائلين: (يا رسول الله! ما المستريح وما المستراح منه؟) "وهذا الإبهام الأولي هو حاملهم على هذا السؤال وباعثهم على هذا التطلّع"، وكان إيضاحه ﷺ لهم أن حقيقة المستريح هو المؤمن الذي بموته يستريح من نصب الدنيا وعذاب الدهر، فموته له راحة. "أمّا حقيقة المستراح منه فهو الكافر الذي يؤذي الخلق ويضرهم إنساناً كان أو حيواناً أو جماداً، فيكون موته له راحة لهذه الأصناف المتأذية منه"^٢.

ذلك فيما كانت الدلالة على المحذوف حالية، أما ما كانت الدلالة عليه لفظية فمنه ما رواه عُيَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا حَقُّ الْإِبْلِ؟ قَالَ: "حَلْبُهَا عَلَى الْمَاءِ. وَإِعَارَةُ دَلْوِهَا. وَإِعَارَةُ فَحْلِهَا. وَمَنْحِئْهَا. وَحَمْلٌ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^٣.

^١ عبدالحفيظ أحمد أديميح، أساليب التشويق البلاغية في الأحاديث النبوية من خلال الصحيحين "دراسة تطبيقية تحليلية"، رسالة علمية مقدمة لنيل الدرجة العالمية "الماجستير"، جامعة أوسوبو: نيجيريا، ص ٣٣، ٢٠١٤م.

^٢ ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٦٤.

^٣ مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسن، صحيح مسلم، كتاب الزكاة: باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٦٤٩، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٤٢.

فحال الرجل السائل التطلع إلى ما يجب عليه في إبل يملكها، ومقتضى المقام أن يُعجل له تعليم ما استعلمه. ولذا عدّد له ﷺ حقوق الخالق والخلق والإبل نفسها على صاحب الإبل، وهي أن يحلب لبنها ويسقيه للمساكين بأن يكون الحلب موضع الماء، "ليكون أقرب على المحتاج والجائع، وليسهل الوصول إليه، وهو معنى حلبها على الماء، وأن يعير إناء لمن احتاج إليه من أرباب الإبل حتى يستسقي به الماء وهو معنى وإعارة دلوها وأن يعطي ناقته لمن به حاجة إليها لينتفع بها وبوبرها وهو معنى ومنحتها"^١ إلى آخر الحديث. والمتلقي العاقل يدرك أنّ هذه الأشياء المتعددة إنما هي حقّ الإبل، فهو ما عنه سأل السائل.

ونلاحظ أنّ إثارة المتلقي واستدعاء نفسه إلى التفكير وإن كانت موجودة في الحذف الذي دلّت عليه قرينة اللفظ، فهي قليلة بالنسبة إلى وجودها في الأقوال التي يدلّ على المحذوف فيها قرينة الحال، ذلك أنّ دلالة سؤال السائل على المحذوف في مثل هذا الحديث تجعل المحذوف في حكم المذكور، فالحذف فيه كعدم وجود حذف، ولذلك ما احتملت الجملة أكثر من تقدير، خلافاً للحديث الذي حلّله أولاً، وذهبت النفس في تقدير المحذوف فيه كلّ مذهب.

ومنها أيضاً حديث أبي ذرٍّ، قال: انتهيت إلى الرسول ﷺ وهو في ظلّ الكعبة، يقول: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» قُلْتُ: مَا شَأْنِي أَيْرَى فِي شَيْءٍ، مَا شَأْنِي؟ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْكُتَ، وَتَغَشَّانِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا»^٢.

بدأ النبي ﷺ الحديث بالضمير "هم" وهو ضمير مبهم يفسره ما بعده من الخبر، ثم أتبعه بـ "الأخسرُونَ" وفيه أيضاً نوع من الإبهام، ثم أقسم بـ "رب الكعبة" ولا يخفى أثر هذه الأساليب "القسم والحصر والتخصيص" في المتلقي من إثارة لانتباهه والتشويق الممزوج بالرهبة والخوف، كما تبعث اهتمام المتلقي ليتقبل ما يأتي بعده

^١ ينظر: محمد الأمين الشافعي، الكوكب الوهاج والروض البهاج شرح صحيح مسلم، تحقيق: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج: الرياض، ط١، ج١١، ص٣٥١، ٢٠١٧م.

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم: ٦٦٣٨، مرجع سابق، ج٨، ص١٣٠.

بعناية فائقة ومن ثم يتمكن في نفسه بعد سماعه فضل تمكّن، خاصة أن النبي ﷺ ذكر شرطاً من الكلام ولم يفصح عن تمامه، فاستنفر قلب السامع ووجدانه لمعرفة المراد، فأبو ذر يقول "فما استطعت أن أسكت" فقد أحدثت العبارة في نفسه إثارة فقال: "من هم بأبي أنت وأمي؟" فصرح النبي بما أراد بعد أن أكسب المعنى قوةً وجمالاً وجلالاً فبين بقوله: هم الأكثرون أي "من كثر ماله إلا من أعمل يده في صرف ماله في الخيرات"، فنجد في الحديث التأكيد على أهمية الزكاة من خلال الترهيب والأمر.

ومن لطائف ما حذف فيه المبتدأ وأوهمنا معنى غير المعنى المراد، ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ: «عَبْدٌ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى^٢.

تعمد رسول الله ﷺ في هذا الحديث إثارة المتلقين واستمالة قلوبهم، فاستهلّ الكلام بأسلوب يوحي لنا أنه يروي قصّة، فذكر كلمة "عبد" دون أن يذكر المبتدأ، فاستدعى ذلك البحث عن خبر، ولذا رأينا أكثر الصحابة المتلقين فهموه على ظاهره فجعلوا مضمون حديثه قصّة، "وذلك بأن قدّروا المحذوف بمثل نحو: (كائن عبد ...)، وفاتهم بذلك الإلغاز الموجود في كلامه ﷺ"^٣. أمّا أبو بكر الصديق أقربهم إليه وأدراهم بأسلوبه فقد فهم المحذوف على وجه الحقيقة، وعرف أنه ﷺ يعني بالمحذوف ما تقديره: (أنا عبد خيرهُ الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده...)، ولفهمه لهذا المحذوف ساعة إلقاء الحديث بكى، ولعلمه ﷺ بإدراك أبي بكر سرّ اللغز بكى معه، ولذهاب نفوس المتلقين الآخرين إلى غير ما فهمه الصديق ما تأثروا تأثره فيه، إذ لو فهموا منه ما فهمه لفاضت عيونهم كما فاضت عيناه.

وقد يجتمع الحذف والتكرار ويؤديان وظيفة تربويّة هامة خاصة إذا اتقن المتكلم توظيفهما. فيصبح المتلقي متعطشاً لمعرفة المحذوف كي يدرك فحوى الكلام ويجني ثماره، ويتأكد -بوساطة التكرار- الكلام عنده وخير

^١ مظهر الدين الزيداني، المفاتيح في شرح المصابيح، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٢٦.

^٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، رقم: ٤٣٩٠، مرجع

سابق، ج ١٢، ص ٩٦

^٣ عبدالحفيظ أديميح، أساليب التشويق البلاغيّة، مرجع سابق، ص ٥٦

مثال على ذلك ما رواه أنس بن مالك، قال: مرَّ بجنّازةٍ فأُثنيَ عليها خيراً، فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلّم: «وَجِبْتُ، وَجِبْتُ، وَجِبْتُ»، ومرَّ بجنّازةٍ فأُثنيَ عليها شراً، فقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلّم: «وَجِبْتُ، وَجِبْتُ، وَجِبْتُ»، قال عمرُ: فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مرَّ بجنّازةٍ، فأُثنيَ عليها خيراً، فقُلْتُ: «وَجِبْتُ، وَجِبْتُ، وَجِبْتُ»، ومرَّ بجنّازةٍ، فأُثنيَ عليها شراً، فقُلْتُ: «وَجِبْتُ، وَجِبْتُ، وَجِبْتُ»؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجِبْتُ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شراً وَجِبْتُ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^١.

هياً النبي صلى الله عليه وسلم قلوب السامعين لما سيلقيه عليهم من الإرشاد والتوجيه بأن حذف الفاعل من (وجبت) مرتين، وذلك لتحنّ إليه النفوس، وتسعى إلى معرفته، فقد وجدنا المتلقين لما عجزوا عن التقدير المناسب سأل أحدهم الرسول ﷺ فيما معناه: ماذا وجبت في الأولى وفي الثانية يا رسول الله؟ ولا شك أنّ هذا الحذف له حظٌّ كبير في تشويقهم لقبول التربية النبوية. ثم إنَّ ورود كلمة (وجبت) ثلاث مرات في كلّ من الموقفين، وتكرار قوله "أنتم شهداء الله على الأرض" ثلاث مرات في نهاية الحديث تركيز لأهميّة هذا الهدى، وترسيخ لهذا التذكير، حتى لا يكون عرضة للنسيان ويكون محلّ الاعتبار.

ومن ذلك أيضاً ما رواه عمران، أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال: السّلام عليكم، فردّ عليه ثمّ جلس فقال: «عشر». ثمّ جاء آخر فقال: السّلام عليكم ورحمة الله، فردّ عليه ثمّ جلس فقال: «عشرون». ثمّ جاء آخر فقال: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردّ عليه، ثمّ جلس فقال: «ثلاثون»^٢ أي أنه استحق بكل لفظ عشر حسنات ومن زاد استحَب أن يزداد في بركاته^٣.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب فيمن يثني عليه خير أو شر من الموتى، رقم: ٦٠، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٥٥.

^٢ أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، رقم: ١٩٩٤٨، مرجع سابق، ج ٣٣، ص ١٧٠.

^٣ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: حسان عبد المنان دار إحياء التراث العربي: مصر، ط ١، ج ١٧، ص ٣٣٤، ١٩٥٨ م.

إذ نجد في الحديث إرشاداً لأهمية إفشاء السلام معبراً عن ذلك بطريقة غير مباشرة، بل استعمل الإيهام من خلال الحذف ليوحي لهم بالمعنى المراد من تفاوت درجات المثوبة على ألفاظ السلام، فقد قال للرجل الذي قال السلام عليكم "عشر" ولم يكمل، فلو لم يأت بعده الرجل والرجلان ويرد عليه الرسول ﷺ لما علمنا ما المقصود، كما أنّ المعنى مستوحى من خلال شد الانتباه ولفت النظر والتشويق وإثارة المتلقي لمعرفة المراد من تلك المفردة، فما هي "العشرون والثلاثون"؟ ولماذا كلما زاد أحد الصحابة بصيغة السلام زاد العدد، ومن ثم فإن هذا الفضل والأجر من خلال هذا الموقف لن يغيب عن أذهان الصحابة أبداً وسيتحرون الفضل بذلك قدر ما استطاعوا. وهكذا نجد الحذف وهو فن بلاغي مثير للشوق ويسهم في التربية ويعين في إنجاح وظيفتها. فلا يخفى علينا بعد هذا أنّ العلاقة بين الفن النبوي والتربية علاقة تكامل وتعاون.

المطلب الرابع: الإيحاء في الاستفهام

ننتقل إلى أسلوب آخر وهو: الاستفهام: هو أحد أنواع الطلب، استعمال، "فهو طلب الفهم"^١. ومعناه "طلب المراد على وجه الاستعلام، وهو نوعان: الأول قائم على الأصل اللغوي وهو الاستفهام الحقيقي، الذي يكون ظاهره موافقاً لباطنه، والثاني هو الاستفهام المجازي الذي يخرج عن الأصل اللغوي إلى معانٍ مجازية، وهذه المعاني كثيرة ومنها" التوبيخ والإنكار والتهديد والتعجب والاستبطاء...^٢.

وهو من أهم الأساليب البلاغية الجمالية، لأنّ به يحصل المتكلم على غايته وهي الإبانة عن المراد بكلام بسيط وظاهر، ومشتمل على ما يعين على رضى السامع له ونفوذته إلى نفسه.

وما نعرفه أن أسلوب الاستفهام في البلاغة، هو ما يعنيه علماء التربية بالحوار الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي. وهو عندهم "أن يرد سؤال من المربّي أيّا ما كان، يليه جواب، فتكون غايته لفت الأنظار إلى أمر هام، ثمّ شرح ذلك الأمر"^٣.

^١ أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

^٢ السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص ٤١٨.

^٣ عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر: بيروت، ط ١، ص ٢١٣، ٢٠٠٧م.

وقد ورد أسلوب الاستفهام في الحديث النبوي في صور متعددة، وأدوات مختلفة، وبنسبة كبيرة مقارنة بالأساليب الإنشائية الأخرى، وخرج إلى لطائف بلاغية جميلة وموحية، فهو من الأساليب الإيحائية التي تسهم في إضفاء الدلالة المحددة المطلوب إيصالها إلى المتلقي. ومن الشواهد على ذلك في الأحاديث النبوية ما رواه أبو هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^١.

صدر النبي صلى الله عليه وسلم كلامه بسؤال الصحابة "أتدرون من المفلس" وأراد بذلك إثارة انتباههم، فهو سؤال لطلب المعرفة بالشيء، حتى يختبر علمهم، وما قد يتراءى لهم فيما سألهم عنه، فأجابوه بما هو مقتضى ما يجري في عرفهم، وبلغة علمهم بقولهم "من لا درهم له ولا دينار"، وهم بعد هذه الإجابة يتطلعون إلى إخبار الرسول لحقيقة المفلس. ثم بعد أن تهيئوا للمعرفة وتشوقوا للسمع، بيّن لهم رسول الله ما هية المفلس، فليس المفلس كما كانوا يظنون من أنه المعدوم من المال الفقير، بل "هو المعدوم من الحسنات، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم ألقي في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"^٢. وهو ﷺ يريد من وراء هذا البيان تحذيرهم من الظلم والعدوان. وأفرغ هذا المعنى في إطار تعبيرى مؤكداً بأن فمن الحكمة أن يكون المفلس هو ما قرره النبي لأصحابه الكرام لا ما كانوا يعتقدون في أنفسهم من الإفلاس الدنيوي.

ومن بديع البيان النبوي أَنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم صورة من صور الحياة الدنيا الشائعة بين الناس ليطبقها على قضية من قضايا الجزاء الأخروي هي أخرى بأن تطبق عليها، "فالناس يعرفون في أسواقهم التجارية من هو المفلس، ويعرفون كيف يحدث له الإفلاس عند اجتماع الدائنين عليه وعجز أمواله عن الوفاء بحقوقهم"^٣.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٤٥٩.

^٢ ينظر: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق: الأردن، ط ١، ج ١٠، ص ٥٠، ٢٠٠٢م.

^٣ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، روائع من أقوال الرسول ﷺ، دراسات لغوية وفكرية وأدبية، دار القلم: دمشق، ص ٤٠٥، ط ٤، ١٩٨٧م.

ومع أنَّ الحديث جاء بأسلوب هادئ وألفاظ سهلة ومعنى قريب من النفوس، فإنَّه ﷺ باستخدامه الاستفهام أدى لنا فكرة مهمة رسخت في أعماق الصحابة الكرام، وفي خلد من سمع الحديث النبوي الشريف، أو صادف سمعه كلماته القليلة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَتَذَرُونَ مَا الْغِيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَيْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ»^١.

وهذا أسلوب رائع مؤثر، يضاهي أسلوب الاستجواب في المدرسة الحديثية، ويزيد عليه، ونرى السؤال والصراحة في الإجابة تجعلان هذا الحديث يتحدّى عقول السامعين، ويزوّد أفكارهم بأمر جديد لا علم لهم بها من قبل. فيثير انتباههم، ويبعثهم على الإصغاء من خلال السؤال ليشرح لهم هذه الأمور، ويوجّههم إلى الأخذ بخيرها وترك شرّها، فغايتة وجدانية سلوكية، ويثير عواطفهم وانفعالاتهم في سبيل تحقيق السلوك الطيّب، والابتعاد عن السلوك الشرير.

ومن لطيف ذلك ما روي عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى. قال: كلّ ضعيف متضعّف، لو أقسم على الله لأبره^٢.

نجد أن السؤال قد شوّق الصحابة إلى معرفة الخبر، فجاء جواب الاستفهام لإفادة تعجيل المسرة بالخبر والتشويق إلى معرفته. وبعد هذه التهيئة أراد رسول الله ﷺ أن يخبرنا عن صنف من أهل الجنة "وهم المتواضعون المتذلّلون لربهم الذين يستضعفهم الناس في الدنيا ويحتقرونهم، ويتجبرون عليهم لضعف حالهم في الدنيا"^٣.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم: ٧٠، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٠٠١

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (الأنعام ١٠٩)، رقم: ٦٦٥٧، مرجع سابق، ج ٨، ص ٥٣٠.

^٣ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ١٤٠

كما نجد النبي يخاطب الصحابة أحياناً وقد خلت أذهانهم من الإجابة، فيطرح السؤال من باب التشويق لمعرفة الجواب ومن ذلك ما جاء في حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»^١.

أراد رسول الله ﷺ أن يعلم معاذاً رضي الله عنه معنى لا يعرفه، فاتبع لذلك طريقة رائعة في أسلوب التعليم، فبدأ بسؤال طريف يشوقه به، ليلفت انتباهه ويجعله في حال إصغاء تام لما سيلقى عليه، وذلك لحرصه ﷺ على تثبيت المعلومة في أذهان الصحابة رضوان الله عليهم، لأنهم النجوم التي ستقتدي بها الأمة من بعده. ثم تلا ذلك سؤال فيه معنى غريب مثير للانتباه، وهو قوله ﷺ: "ما حق العباد على الله"، وكأنه يوحي من خلاله ﷺ بأن للعباد على الله حقاً، وليس ثمة شيء يجب على الله سبحانه. وإنما ذكره ﷺ من باب المشاكلة، إذ لا حق للعبد على مولاه إلا أن يتغمده الله برحمته^٢. وهكذا رأينا المربي الكريم يفتح لأحد أتباعه آفاق المعرفة، ويفهمه غايات لطف ربه ورحمته بهذا الأسلوب المؤثر.

ومن ذلك حديث أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «الْيَسَّ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «الْيَسَّ ذُو الْحِجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «الْيَسَّ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار، رقم ٥٠، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩

^٢ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١١، ص ١٩٥

هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، قَرَبٌ مُبْلَغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ^١.

يطرح النبي ﷺ أسئلة متتابعة متعددة في أمور معلومة لدى الصحابة الكرام ليلفت انتباههم ويستدرجهم إلى المعنى الذي يريده. وكان ﷺ بعد كل استفهام يسكت حتى يحفز الصحابة على التفكير في غير المألوف، فقد ظنوا أنه بسكوته سيغير ما يعرفون، أو سيسميه بغير اسمه، ودليل ذلك قولهم: "حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ" فإذا به ﷺ يفاجئهم بعدم تغيير أي من معلوماتهم، فأخذوا يتطلعون لمعرفة ماذا يريد الرسول أن يخبرهم به، ليدركوا بعد ذلك غايته ﷺ من هذه التوطئة، "وهي تأكيد حرمة الدماء والأموال والأعراض"^٢، من خلال تكرار السؤال.

ومن ذلك أيضاً حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعْدُونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا» قَالَ: «فَمَا تَعْدُونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: "لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"^٣ يسأل الرسول ﷺ الصحابة عن أشياء يعرفونها، وهو يريد أن يغير ما وقر في أذهانهم بشأنها، فيصحح نظرهم إليها بشكل غير مباشر، فقد ظن الصحابة أن (الرقوب) كما هو معروف في كلام العرب أنه الذي لا يعيش له ولد، "وهو المحزون المصاب بموت أولاده"^٤، وليس هذا ما قصده الرسول فقال ﷺ: "ليس بذلك"، ليتنبه السامع ويعاود التفكير والبحث عَمَّنْ يَنْصَفُ بهذه الصفة، فيتساءل في نفسه إذاً فمن يكون؟ ليوضح أنه من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبتة به وثواب صبره عليه، ويكون له فرطاً وسلفاً. كذلك أيضاً في (الصرعة) فقد أجابه الصحابة بما هو معلوم لهم عن الصرعة، بأنه الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه،

^١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، رقم: ٦٧، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٤

^٢ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٨٠

^٣ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء

يذهب الغضب، رقم: ٤٧٢٢، مرجع سابق، ج ١٣، ص ١٨

^٤ الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣٣.

ليصحح لهم مفهومهم بأنّه من يملك نفسه عند الغضب، "فهو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول"^١.

وعلى غرار ذلك يأتي حديث رواه أبو هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ: "إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلَ" قَالُوا: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي بَطْنٍ فَهُوَ شَهِيدٌ"^٢.

بدأ الرسول ﷺ كلامه بسؤال الصحابة من هو الشهيد في رأيكم؟ مدركاً ﷺ تماماً مدى معرفتهم للجواب، لكنه يريد أن يحفز أذهانهم ويشير تفكيرهم لمراجعة معلوماتهم بخصوص هذا الأمر، ليبني على معرفتهم القديمة معرفة جديدة لم تكن لديهم، وبعد التمهيد والتفكير يجيبه الصحابة بما رسخ في وجدانهم بأنّ الشهيد هو من قتل في سبيل الله، وهم في عجب واستغراب من هذا السؤال البديهي، مدركين في الوقت ذاته أنّه ﷺ يلمح لهم بأمر ما، فيكثر شوقهم ويزداد حماسهم فيبادروا بالسؤال بعجلة: "من يا رسول الله؟" ليجيبهم ﷺ أنّه إن كان الشهيد فقط هو من قتل في سبيل الله فالشهداء إذاً عددهم قليل، ولكن "من مات من مرض بطنه فهو شهيد، ومن مات في مرض الطاعون فهو شهيد"^٣، موسعاً بذلك ﷺ دائرة الشهادة لديهم فاتحاً مداركهم على أصناف من الشهداء لم تكن معلومة لديهم.

ومن ذلك أيضاً أنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ"^٤.

^١ ينظر: محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١٦، ص ١٦١.

^٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، رقم: ٥٠٥٠، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٦٤، كتاب الإمارة، الحديث ٤٩١٨.

^٣ ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٤٦.

^٤ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم: ٣٦٩، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٧.

قوله ﷺ (ألا أدلكم): هو مقدمة قول ينبه الفهم، ويوقظ الفكر، ويستدعي حسن الاستماع والجمع بين نفي وإثبات، وخفض ورفع في قوله: "ما يمحو الله .. ويرفع به الدرجات" يحثهم على طلبها، فكل أحد يسعى إلى أن يغفر الله له. لذلك أراد النبي ﷺ أن يأخذ بأيدي المؤمنين ليس إلى ما يكفر به الله به الخطايا فحسب، بل إلى ما ينالون به أعلى الدرجات، فسألهم هذا السؤال المثير قائلاً: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات)، فحينئذ حصر الرسول ﷺ ذلك في ثلاث هي: "إسباغ الوضوء، وهو تحقيقه بالقيام به كما ينبغي شرعاً، كتعميم الماء الجسد وغيره - مهما كره الإنسان ذلك لشدة برد أو غيره، ومعاودة المسجد بالمشي إليه لصلاة الجماعة، وانتظار الصلاة بعد أداء الصلاة التي قبلها"^١.

ومن ذلك أيضاً ما رواه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَجَلَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمْضَمٍ؟» قَالُوا: وَمَنْ أَبُو ضَمْضَمٍ؟ قَالَ: «رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ» بِمَعْنَاهُ قَالَ: «عَرَضِي لِمَنْ شَتَمَنِي»^٢.

يكلّم الرسول ﷺ الصحابة بما لا يعرفون ولا يفهمون المراد منه، فلا أحد منهم يعلم من هو أبو ضمضم الذي يدعوهم الرسول ﷺ إلى أن يكونوا مثله، فهو بسؤاله "أيعجز" يستثير تساؤلهم وتشويقهم ليطالبوا منه التوضيح، فيجيبهم بأنّ أبا ضمضم قد وهب عرضه لمن شتمه، أي إنه جعل الناس في حل من غيبته، ففي هذه الحال يدعو الرسول ﷺ الصحابة بأسلوب غير مباشر إلى العفو والتسامح والتجاوز عن الإساءة، فذلك من الأخلاق الحميدة التي يتحلّى بها الإنسان، ويثاب عليها الجزاء الكبير.

ومنه أيضاً قوله ﷺ "ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى. قال: "كُلُّ عُنْتٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ"^٣

^١ ينظر: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على مسلم، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٤١.

^٢ سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة: لبنان، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرجل يحل الرجل قد اغتابه، رقم: ٤٨٨٧، ط ١، ج ٤، ص ٢٧٢، ٢٠٠٩م.

^٣ قد سبق تخريجه. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، وهو تكملة لحديث: "ألا أخبركم بأهل الجنة..." المستشهد به سابقاً.

بدأ الرسول ﷺ كلامه بهذا العرض المثير بقوله " ألا أخبركم" وذلك ليهيئ الأسماع لما سيقول عن أصحاب النار ليتجنبوا أن يكونوا منهم، وقد حدد صفاتهم بالكبر والخيلاء في قوله: "عتل جواظ"^١.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُحِبُّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامٍ سَمَانٍ. قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ: فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ عِظَامٍ سَمَانٍ.^٢

شرح ﷺ كلامه بهمزة الاستفهام بقوله: "أحب" أي هل يحب أحدكم أيها الحاضرون إذا عاد إلى منزله الذي يسكن فيه أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات، وهي "الحامل من النوق كثيرة الشحم والدسم"^٣، وهي من أعز أموال العرب، وبها يستعينون في كرمهم على أعدائهم وفرهم منهم، ويعتمدون على ألبانها في اتخاذ الأطعمة والأشربة التي بها بقاء العيش، فما كان من هذا العرض الرائع إلا الموافقة منهم، ليجيبهم بعد ذلك أن قراءة ثلاث آيات من كتاب الله هي أنفع وخير لهم من الإبل التي يحبون.

فأراد ﷺ بذلك ترغيبهم في الباقيات، وحثهم على تعلم القرآن وتلاوته. وتزهيدهم في الفانيات، فذكر هذا على سبيل التمثيل والتقريب مستهلاً ذلك بسؤال، معتمداً على أعز شيء عندهم، مستمداً ذلك من حياة العرب وواقعهم. ومن خلال ما سبق يتبين لنا بلاغة الإيحاء في بعض أساليب الاستفهام، وما يضيفه على الكلام من حسن وبهاء، وما له من أثر إيجابي في جذب المتلقي إلى الكلام، يظهر لنا كثرة ورود، وتباين صيغه في الحديث الشريف.

^١ العتَل هو الغليظ الجافي والشديد في كل شيء، والجَوَاط: هو الجموع المنوع، أو الضخم المختال في مشيته. ينظر: معمر بن المثنى التيمي أبو عبدة، مجاز القرآن، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي: مصر، ط١، ج٢، ص٢٦٤، ١٩٥٤م.

وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٩، مادة: عتل، ص٣٩، والمرجع نفسه، ج٢، مادة: جوظ، ص٤٢٠.

^٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، رقم: ١٣٣٥، مرجع سابق، ج٤، ص٢٣٨.

^٣ ينظر: نور الدين ملا علي محمد الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر: لبنان، ط١، ج٧، ص١٧٣، ٢٠٠٢م.

المطلب الخامس: الإيحاء في التكرار

من الأساليب البلاغية الجمالية التي انتهجتها البلاغة النبوية "التكرار".

التكرار لغةً واصطلاحاً:

التكرار في اللغة: "أصله من الكرّ بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف. ف "كرّر" الشيء وكرره أي

أعاده مرة بعد أخرى. وقد يأتي له تصريح آخر هو التكرير"^١.

والتكرار "عبارة عن الإتيان بشيء مرّة بعد أخرى"^٢. والتكرار "مصدر ثلاثي يفيد المبالغة، كالترداد مصدر ردّ،

أو مصدر مزيد أصله التكرار، قلبت الياء ألفا عند الكوفيين"^٣.

أما اصطلاحاً: "فهو دلالة اللفظ على المعنى مردداً"^٤، وهو "أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها،

لتأكيد الوصف أو المدح أو غيره من الأغراض"^٥.

وهناك من عرف التكرار "بأنه ذكر الشيء ثانياً بعد ذكره أولاً، وكثرته بذكره ثالثاً، والمراد بالكثرة ما فوق الواحد،

وإنما شرط الكثرة، لأن التكرار بلا كثرة لا يخلّ بالفصاحة، وإلا قبح التوكيد اللفظي"^٦، "وإن حقيقة إعادة اللفظ

أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول، لطول العهد به"^٧.

^١ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٢، مادة: كرر، ص ٦٤.

^٢ الجرجاني، معجم التعريفات، مرجع سابق، ص ٦٥.

^٣ أبو البقاء الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ص ٢٩٧.

^٤ ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٠.

^٥ صفي الدين الحلبي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط ١، ص ١٣٤، ١٩٨٢م، وينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار الهلال: بيروت، ط ٣، ج ١، ص ٣٦١، ٢٠٠٤م. ود. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار الرفاعي: الرياض، ط ٣، ص ٥٧٣، ط ٣، ١٩٨٨م.

^٦ حامد عوني، الواضح للبلاغة، تحقيق: محمد محمد طاهر، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة، ط ١، ج ١، ص ٤٦، ٢٠٢١م.

^٧ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الحديث: القاهرة، ط ١، ج ١، ص ١٠، ٢٠٠٦م.

وللتكرار دواعيه البلاغية، وإن خلا عن هذه الدواعي والأغراض كان الكلام تطويلاً ممجوجاً. وفي هذا يقول ابن رشيق^١: "للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه" وبهذا يقسم ابن رشيق التكرير إلى ثلاثة أقسام هي:

- ١- التكرار في اللفظ دون المعنى كقولهم: أنت أنت، وإن كان أصل المعنى فيهما واحداً فالمراد مختلف.
 - ٢- التكرار في المعنى دون اللفظ كقول القائل: أتعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية، وعطف أحدهما على الآخر تقتضي وجود تكرار معنوي.
 - ٣- التكرار في اللفظ والمعنى معاً، ومثال هذا قولك: أسرع أسرع.
- وهذا القسم الأخير هو الذي يسقط ابن رشيق بلاغته ويصفه بالخذلان. والدواعي التي من أجلها يلجأ المتكلم إلى التكرار عديدة، "ومنها تأكيد الوصف، أو المدح، أو الذم، أو التهويل، أو الوعيد، أو الإنكار، أو التوبيخ، أو الاستبعاد، أو التلذذ أو غير ذلك من الأغراض"^٢ "وإن في التكرار تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يرام تحفظه منها. وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان"^٣.

ولكل ما سبق من أهمية التكرار وعظم شأنه، كان حرياً أن يحفل به أبلغ خطاب وهو الخطاب النبوي، إذ كثيراً ما جلب أسماع المنصتين وأذهان القارئ في كثير من الأحاديث النبوية، فقد أجاد النبي عليه الصلاة والسلام

^١ هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، لغوي مؤرخ ناقد، ولد سنة ٣٩٠ هـ وتوفي بالقيروان سنة ٤٦٣ هـ. من مؤلفاته الكثيرة: الشذور في اللغة، العمدة، تاريخ القيروان. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى: بيروت، ط ١، ج ١، ص ٥٥١، ١٩٩٣ م.

^٢ ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦١، ود. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، مرجع سابق، ص ٥٧٣، د. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين: بيروت، ج ١، ص ٢٠٢، ١٩٨٢ م.

^٣ الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٨٥.

في توظيفه، كما أجاد في عرضه، فهو لم يأت عبثاً، إنما كان إلماحاً وإيحاءاً لكثير من المعاني والأسرار التي تدهش العقول وتأسر الألباب، والتي لم تكن لتظهر لولا التكرار. ومن أمثلة ذلك ما نجده في حديث أبي شريح، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»^٢.

استهل رسول الله ﷺ حديثه بالتكرار والحذف، في قوله ﷺ: "والله لا يؤمن" فكرر القسم ثلاث مرات دون اقترانه بالمقسم عليه، وهذا ما جعل الصحابة في حالة تشوق وتطلع لمعرفة من الذي يؤكد النبي عدم إيمانه، وما هو الذنب العظيم الذي اقترفه ليباعدوا عنه، ما دفعهم لسؤال النبي ﷺ مباشرة: "من يا رسول الله" ليأتي الجواب النبوي: "الذي لا يؤمن جاره بوائقه"

نرى أَنَّ رسول الله ﷺ سلك في هذا الحديث أسلوب التصريح بعد الإيهام، ليوحى لنا مدى عظمة حق الجار، فليس المؤمن من يخاف جاره اعتداءه، ومن لا يطمئن لجواره، كما أن التكرار الصريح بـ "لا يؤمن"، المراد به كمال الإيمان، فلا شك أنه مَعْصِيَّةٌ، والعاصي لا يكون كامل الإيمان^٣.

ومن ذلك أيضاً قول عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَبِّراً فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ^٤.

افتتح رسول الله ﷺ حديثه بـ "ألا" وهو حرف تنبيه، ثم أكمل قوله بـ "أكبر" أي هناك كبيرة، ولكن ما يريد أن يخبرنا عنه هو أكبر من كل كبيرة، وهو "الإشراك بالله وعقوق الوالدين"، ثم أتم الجملة بتكرارها ثلاث مرات، وقد

^١ والبوائق جمع بانقة، وهي الداهية والشيء المهلك، والأمر الشديد الذي يوافي بغتة، ينظر: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٠

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم ٥٦٧٠، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٤٥٧.

^٣ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ١٠٩.

^٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم: ٢٦٥٣، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٧٢.

رواه الإمام البخاري في باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم^١، وكل هذا ليشد انتباه المتلقي لما يريد أن يقوله، ويتأكد من إنصاته التام له، وفي منتصف حديثه غير ﷺ هيئته، وفي هذا التصرف ما يزيد عناية المتلقي للكلام، ليختتم قوله بتكرار: "ألا وقول الزور" تكراراً كثير العدد، كثرة يصعب على الراوي الإحاطة بها، وهذا يدل على ما لهذا الفن من وظيفة مهمة في الكلام، كما يوحي بشدة النكير، وقوة التحذير من كل من هاتين المثلبتين.

ونظير ذلك ما رواه عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: " {وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ " ^٢ أعاد الرسول جملة: "ألا إن القوة الرمي" وذلك لما فيها من جذب وتنبية للسامع، فعندما يسمع المتلقي هذه الجملة للمرة الأولى يعتقد في نفسه أنه سيسمع كلاماً مختلفاً عن الذي سمعه أولاً، فإذا بالجملة تعاد نفسها، وعندما تقرر الجملة أذنه للمرة الثانية تتوق نفسه وتتلهف هذه المرة للظفر بشيء جديد، فإذا بالجملة المعهودة تتكرر عليه مرة أخرى، عندها يدرك مدى أهمية هذه الجملة، وأنها يجب أن تتقرر في ذهنه.

ومن لطيف ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه في حديث طويل يصف فيه تهجده ﷺ يقول فيه: فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَغْنِنِي نُورًا، ^٣.

نجد أن رسول الله قد كرر كلمة "نور" تسع مرات، وكلمة "اجعل" بلفظها ومعناها خمس مرات، وكان من الممكن أن يعطف ﷺ دون تكرارها كأن يقول: "اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني وفي سمعي..." ولكن نجد أن التكرار في الحديث قد أوحى لنا بوظيفة جمالية، فقد أضفى على الحديث إيقاعاً صوتياً رائعاً، يجعل من الدعاء

^١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٩، ص ١٠١.

^٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، رقم: ٤٩٢٣، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٦٦.

^٣ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ١٧٩٦، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٩٣.

ترنيمة راسخة في الذهن، قابلة للاستدعاء في أي وقت، كما أوحى بوظيفة إبلاغية حين سأل الله النور ووجهه لكل عضو، فقد أراد أن يزيد الله توفيقه لما يُحب ويرضى، وأراد أيضاً تعليم أمتة أن يسألوا الله النور لتذهب عن أعضائهم العتمة الإنسانية، والنزعة النفسانية، فالنور المطلوب لقلبه ﷺ هداية وبصيرة وانسراح، والمرغوب في اللسان منطق صدق وحكمة، وفي السمع ما يحسن من صوت، وفي البصر جمال الأشياء وحقيقتها.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذْنَا مَضْجَعَنَا أَنْ نَقُولَ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ^١.

نجد في الحديث عدة كلمات مكررة، وكل منها يوحي بشيء مختلف، فمثلاً إعادة كلمة "رب" أكثر من مرة مع إضافة الضمير إليها، توحى بالابتهاال والتضرع والتذلل لله، فكلما أعاد المتكلم لفظ "رب وربنا" أحس بربه الجليل، وجعله ذلك يقلب المعاني، ويستأنس بأسمائه الحسنى، ويأتي على معانيها، كما أن تكرار الضمير "أنت" في الحديث الشريف يفيد الحصر، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: "أَنْتَ مُخْتَصٌّ بِالْأَوَّلِيَّةِ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَعَلَى هَذَا مَا بَعْدَهُ (وَأَنْتَ الْآخِرُ) أَيِ: الْبَاقِي بِلَا انْتِهَاءٍ"^٢، فهي توحى بقصر الأولوية والأزلية لله تعالى، كما نجد أن الترادف موجود في كثير من المعاني فمثلاً في قوله: "أنت الأول"، و"ليس قبلك شيء"، وقوله: "فليس فوقك شيء"، و"فليس دونك شيء"، يجعل هذا المعنى المعاد مستقراً في الذهن ويوحى للسامع بأهمية الشيء المسموع.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم:

٦٨٢٧، مرجع سابق، ج١٧، ص٣٨.

^٢ ينظر: مظهر الدين الزيداني، المفاتيح في شرح المصابيح، مرجع سابق، ج٣، ص٢١٦. ومحبي الدين النووي، شرح صحيح

مسلم، مرجع سابق، ج١٧، ص٣٦.

ومن المعاني التي نستلهمها من التكرار ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَقَّلٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ".^١

هذا الحديث الشريف يفيض بمعاني الحب والوفاء، فالقارئ يستشعر من خلاله مدى محبة الرسول ﷺ لصحابته الكرام، خاصة عندما كرر قوله: "اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي"، فهذا التكرار يحمل كثيراً من معاني الفخر والإشادة بالصحابة الكرام، كما أنَّ اختيار لفظ الجلالة في الإعادة يوحي باستعذاب ذكر الصحابة والتلذذ بذكرهم، كيف لا وقد قال رسول الله ﷺ: (من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني)، ثم ربط ذلك بالله فقال: (ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاهم فقد آذَى الله).

ومنه قول عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الطَّيْرَةُ شِرْكُ الطَّيْرَةِ شِرْكُ ثَلَاثًا وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ.^٢

قد كرر رسول الله ﷺ قوله: "الطيرة شرك" ثلاث مرات للتهويل والتعظيم، وهذا ما جعل القارئ يقف مدركاً لخطورة الأمر، فالطيرة "هي ما يُتَشَاءُ به من الفأل الرديء"^٣، وهي عادة جاهلية، كانت موجودة قبل الإسلام بوفرة، فكثيراً ما كان يحكى عن العرب من زجر الطير، وإزعاجها عن أوكارها عند إرادة الخروج للحاجة، فإن طارت يميناً استبشرت، وإن طارت شمالاً تشاءمت وقعدت، كما كانوا يتطيرون من سماع صوت الغراب والبوم، وغير ذلك. فأراد الرسول ﷺ أن يبطل هذه العادة الجاهلية، فتعمد الإعادة "ثلاثاً" للمبالغة في الزجر عنها والتغليظ لها، وسمى ذلك بالشرك، "لأنهم باعقداهم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضرراً، فذلك إشراك بالله، لأنه وحده من ينفع ويضر، ثم إنه ﷺ يعلم ضعف النفس البشرية، وميلها إلى الأسباب"^٤، فأكمل قوله: (وما منا إلا)، فجاء الكلام مقطوعاً، لم يذكر فيه المستثنى، وتقديره: (إلا وفيه الطيرة)، أو (إلا قد يعتريه التطير)، فحذف

^١ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٣٤، ص ١٨٥. وينظر: الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٣٦٢

^٢ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، رقم: ٣٤١١، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٤١٩.

^٣ الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج ١، ص ٣١٢٠.

^٤ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١٤، ص ١٥١

اختصاراً واعتماداً على فهم السامع، وربما ليوحي للقارئ بكَراهية التلفظ بـ "الطيرة" والنفور منها، ثم أرشدنا ﷺ وطمان نفوسنا إلى ما يخلصنا من هذا الأمر المشين، ويكون بأن نتوكل على الله حق التوكل.

ومن ذلك أيضاً حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: مَرَّ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَدْعُو بِأُصْبُعِي، فَقَالَ: «أَخَذَ أَخَذَ»، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ^١.

مرَّ رسول الله ﷺ على سيدنا سعد رضي الله عنه، وهو في هيئة التشهد رافعاً إصبعين بدلاً من إصبع، فأراد الرسول ﷺ أن ينهاه عن هذا الأمر، بأسلوب غير مباشر فقال: (أَخَذَ أَخَذَ)، وأشار له بإصبع السبابة، ليوحي له عن طريق التوكيد اللفظي والإشارة على التأكيد في التوحيد، وينهاه عن الإشارة بأكثر من إصبع، فلا يصح أن نشير بأصبعين في الدعاء، لأنَّ هذا قد يدل على أننا ندعو إلهين اثنين، ونحن في الحقيقة لا ندعو سوى إله واحد.

ومنه ما رواه جابر في صفة خطبة الرسول ﷺ بعرفة فَقَالَ: " إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ أَصْعُهُ دِمَاؤُنَا: دَمٌ ". قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ..... ثُمَّ قَالَ: بِأُصْبُعِهِ السَّبَابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُبُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^٢.

إنَّ تكرار عبارة "اللهم فاشهد" يدخل في التكرار الذي يطلق عليه "تكرار التبرئة"، وهو لتأكيد النزاهة من التقصير والتهاون، ولتقرير عصمة الساحة من اللوم، وللتعرض بانتقال التبعة إلى أهلها، وتحملهم حقوقها مع الإشعار بعلو مكانتها، بقوله ﷺ: اللهم اشهد عليهم^٣.

^١ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب تقريع أبواب الوتر، باب الدعاء، رقم: ١٤٩٩، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٠.

^٢ المرجع السابق، كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ، رقم: ١٩٠٥، وبدر الدين العيني، عمدة القاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨٢.

ومنه أيضا حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ»، قيل: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^١.

كرر رسول الله ﷺ ذكر إرغام الأنف ثلاثاً، لمن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة؛ لأنه قد وُجد بوجودهما، ولعظيم فضلها الذي لا يُعدُّ ولا يحصى، فهما مفتاحه لدخول الجنة، فإذا "بلغ من الخذلان إلى أنه لم يمتثل أمر ربه في طاعة والديه، ولم يعرف لهما إحسانهما المتقدم من حقه، ولم يلحقه عليهما رافة حين ضعفهما، يماثل بها رافتهما عليه حين ضعفه"^٢، استوجب ذلك دعاء النبي عليه ثلاث مرات برغم الأنف: "وهو الذل والهوان والخزي"^٣ فكرر للمبالغة في بر الوالدين عند الكبر، وما يتركه في نفس المتلقي من شعور بالخوف والهلع، فيسارع إلى برهما وخفض الجناح لهما، كي لا يكون من الذين شملهم دعاء النبي ﷺ، وإن المحيء "بثم" في الحديث تلميح إلى مشقة المقام وإبطائه، فكأنه لذلك كالبعيد المنال، لغفلة الإنسان عن نيل مثل هذه العطية العظيمة.

نجد أنَّ استخدام الرسول ﷺ لأسلوب التكرار يعد تقنية خطابية متميزة، ينفذ بها إلى عقل المتلقي وقلبه، ويعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، فالتكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق، لذا فهو يمثل إحدى الأدوات الجمالية، التي تساعد على فهم مشهد أو موقف معين، فالنفس البشرية بطبيعتها تحتاج إلى إعادة النصح وتكرار الموعظة. وهو من أساليب التوكيد التي استخدمها رسول الله ﷺ لتبليغ الرسالة وتعليم الدين.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رَغِمَ أَنْفٌ أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، رقم: ٤٦٢٧، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٣٩٦

^٢ يحيى بن محمد الشيباني ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن: الرياض، ط ١، ج ٨، ص ٩١، ٩٢٩ م.

^٣ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٢٤٥

المطلب السادس: الإيحاء في الألغاز والأحاجي

اللغز لغةً واصطلاحاً:

"ألغز الكلام وألغز فيه: عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره. فهو ميلك بالشيء عن وجهه"^١. والجمع ألغاز، واللغز: "ما ألغز من كلام فشبه معناه، وقد ألغز في كلامه يلغز إلغازاً إذا ورى فيه وعرض ليخفى"^٢، واللغز: "حفرة يلغزها اليربوع في جحره يمنة ويسرة يلوذ بها"^٣.

اصطلاحاً: هو كل معنى يستخرج بالحدس والحرز، لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازاً، ولا يفهم من عرضه والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عثورها عليه. "أي أن يأتي المتكلم بكلام يعمي به المقصود، بحيث يخفى على السامع فلا يدركه إلا بفضل تأمل ومزيد نظر"^٤. فاللغز يعرف بالفهم. واللغز "من ضروب التلميح الذي يكون عن طريق السؤال"^٥. وقيل: "إنَّ الكلام إذا دل على اسم شيء من الأشياء بذكر صفات له تميزه عما عداه كان ذلك لغزاً"^٦. والأحاجي: جمع أحجية، "أفعولة من الحجا وهو العقل، أي مسألة تستخرج بالعقل فهي تحتاج إلى قوة ذكاء واحتدام قريحة من الذي يقع منه الرمز وإلى قوة حدس من الذي يحاول إدراك المقصد"^٧.

^١ علي صدر الدين ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان: العراق، ط١، ج١، ص٤٤٦، ١٩٦٩م.

^٢ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٥، مادة: لغز، ص ٤٠-٤٧.

^٣ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مرجع سابق، ج٤، ص ٩١.

^٤ ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، مرجع سابق، ج١، ص ٤٤٦.

^٥ عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب: القاهرة، ج١، ط١٧، ص ١٨، ١٩٩٩م.

^٦ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان: القاهرة، ط١، ج٣، ص ٢٧٢، ١٩٧٩م.

^٧ ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، مرجع سابق، ج٦، ص ٤١٣. وجلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني، تحقيق: إبراهيم محمد الحمداني، أمين لقمان الحبار، دار الفكر: بيروت، ط١، ج٢، ص ١٥٥، ٢٠١١م. وينظر: ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير، مرجع سابق، ص ٥٧٩.

"وهو قول استعمل فيها اللفظ المتشابه طلباً للمعاينة والمحاكاة والفائدة من ذلك في العلوم الدنيوية: رياضة الفكر في تصحيح المعاني وإخراجها من المناقصة والفساد إلى معنى الصواب والحق وقدح الفطنة في ذلك واستتجاد الرأي في استخراجها"^١.

ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللغز، "وهو أن يكون للكلام ظاهر عجيب لا يمكن، وظاهر ممكن عجيب"^٢. وقد كان هذا الأسلوب أحد الوسائل التي وظفها النبي صلى الله عليه وسلم في الإثارة والتشويق إلى معنى لم يُرد التصريح به، وقد أثر الإيحاء والتلميح معولاً على فطنة المخاطب، وسرعة بدهته، ومن الأمثلة عليه حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَمَنْ انْتَقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقُلُوبُ»^٣.

يعدّ هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه ﷺ، فقد "جعلوه من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام"^٤، بل إنَّ منهم من قال: "إنَّه بالإمكان أن ينتزع منه وحده جميع أحكام الإسلام. وذلك لاشتماله على التفصيل بين الحلال وغيره، وعلى تعلّق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا يمكن ردّ جميع الأحكام إليه"^٥.

^١ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٧
^٢ ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل: بيروت، ط ٤، ج ١، ص ٣٠٧، ١٩٧٢.

^٣ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم ٥٢، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٣.

^٤ يقول العلماء: إن مدار أحكام الإسلام على أربعة أحاديث: الأول (إنما الأعمال بالنيات)، والثاني (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)، والثالث (ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس)، والرابع هذا الحديث الذي بين أيدينا. هذا، وقد ورد بينهم خلاف في عدد هذه الأحاديث وعدّ بعضها منها. ينظر: محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١١، ص ٢٧.

^٥ ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٧.

والشاهد هنا في قوله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة". و"المضغة" الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُمَضَّغُ فِي الْقَمِّ لِصِغَرِهَا"^١، فكان الرسول قد ألغز وعمى، فذهبت أذهان المتلقين إلى البحث عن هذه المضغة الموجودة في جسم الإنسان التي بصلاحها يصلح الجسد كله ويفسدها يفسد الجسد كله، ويشد انتباههم لمتابعة الكلام والتفكير لمعرفة الحل. ليفك رسول الله هذا العقدة، ويخبرنا أنه القلب، وهذا يبين لنا مدى أهمية القلب وسلامته في جسم الإنسان، "فَهُوَ كَالْمَلِكِ، وَالْأَعْضَاءُ كَالرَّعِيَّةِ، فَأَهْمُ الْأُمُورِ مُرَاعَاتُهُ، فَإِنْ صَدَرَ عَنْهُ إِرَادَةٌ صَالِحَةٌ تَحَرَّكَ الْجَسَدُ حَرَكَةً صَالِحَةً وَبِالْعَكْسِ، وَذَلِكَ لِتَأْكِيدِ عَلَى السَّعْيِ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ وَحِمَايَتِهِ مِنَ الْفَسَادِ"^٢، وهذا ما جعل العلماء تستدل بهذا الحديث على أَنَّ العقل في القلب لا في الرأس.

نجد أن الرسول ﷺ يستعمل أساليب متنوعة في إيصال المعنى، وذلك لغايات شتى، أهمها التأكيد على أهمية الأمر، وترسيخ المعنى باختلاف الأسلوب مجنباً السامع السآمة.

ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبَقَ دِرْهَمٌ مِئَةَ دِرْهَمٍ "، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ، فَتَصَدَّقَ أَجُودَهُمَا، فَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عَرْضٍ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِئَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا "^٣.

العقل والمنطق يتساءلان كيف هذا؟، فالدرهم هو الدرهم، وهذه مئات الآلاف من الدراهم فكيف يتأخر هذا العدد كله ويسبقه درهم واحد؟ فبين صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: " رجل معه درهمان، فتصدق بأحدهما، ورجل عنده مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة ألف وتصدق بها"^٤، فما قصده النبي أن الرجل إذا أخرج من ماله مئة ألف وتصدق بها، وأخرج آخر درهماً واحداً من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه، صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مئة ألف درهم، وليس بالمعنى الحرفي للعبارة، ومن هذا المبدأ انطلق الفقهاء ينافسون الأغنياء

^١ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٨، مادة مضغ، ص ٤٥٠.

^٢ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٩٥.

^٣ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أبي هريرة، رقم: ٨٩٢٩ مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٩٨.

^٤ عطية سالم، شرح الأربعين نوية، دروس صوتية مفرغة في المكتبة الشاملة، ج ٧٩، ص ١٢، ٢٠١٩م.

في التصدق والعطاء، من يملك ديناراً يتصدق من ديناره، ومن يملك درهمين ينفق منهما، ومن يملك ثوبين يتصدق بأحدهما، "وهكذا لم تعد هناك غضاضة على المعطي أن يعطي ما عنده مهما قل، ولم تعد غضاضة على الآخذ أن يأخذ القليل راضياً شاكراً"^١، وتتجلى الإثارة حين يطلب المتكلم من المتلقي استخراج المعنى بحدسه وحزره، وهو ما يطلق عليه الأحجية.

ومن ذلك حديث عبد الله: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ»^٢.

في هذا الحديث من الفقه، تلطيف القول بإيصال الحكمة إلى قلوب الخلق، بقوله: "أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ"، وإنه لفن لا يفتن إليه إلا من وفقه الله، وإنه لمن البيان المدهش، والكلام الكيس، والمقنع المغني، وذلك من فضل الله على المتحدث به.

فمن خلال توجيه هذا السؤال تنفتح بصيرة الإنسان على حقيقة غائبة عنه في كثير من الأحيان، فمن منا يكون مال غيره أحب إليه من ماله، فهذا أمر مستغرب، دفعهم إلى التفكير والتفتيش والتشاور بينهم في "أي مال قد يكون أحب إليه من ماله"، ليوضح لهم رسول الله ﷺ بعد ذلك فكرة عظيمة، وهي "تنبيه للمؤمن على أن يقدم من ماله لآخرته لينتفع بها، بصرفها في وجوه البر والقرب، فإن كل ما يخلفه يصير ملكاً للوارث"^٣.

هذا المعنى العجيب قبع في ظلاله حقيقة لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم تقريرها مباشرة، بل طرح هذا السؤال ليثير استغرابهم وتعجبهم، وقد استثمر النبي عنصر المفاجأة للسامع بما يطرح وصولاً للتأثير فيه، وهذه المفاجأة هي معيار لقيمة الأسلوب، حيث "إن قيمة كل خاصية أسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها تناسباً طردياً، بحيث إنَّها كلما كانت غير منتظرة كان وقعها على نفس المستقبل أعمق"^٤.

^١ موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٧٣

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له، رقم: ٦٤٤٢، مرجع سابق، ج ٨، ص ٩٣.

^٣ محمد بن علان، دليل الفالحين، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤١٦. ينظر: ابن بطلان، شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٦٢

^٤ عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب: ليبيا، ط ٣، ص ٨٤، ١٩٧٧م.

ومن لطيف ذلك ما ورد عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَلَا يَتَخَات، وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ» قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»^١.

أراد النبي ﷺ أن يختبر أذهان الصحابة ويرغبهم في الفكر، فطرح عليهم لغزاً يوحى بكثير من المعاني والأفكار العظيمة، مشبهاً المؤمن بشجرة من الطبيعة، ذاكراً لهذه الشجرة بعضاً من صفاتها مخفياً ما تبقى، ليعلم مدى قدرة الصحابة على الوصول إلى الحقيقة، ذاكراً أن ورقها لا يسقط ولا يصيبه داء، وذلك تقريب للأذهان فقال ﷺ: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ولا يتخات)، هذا ما صبغ المشهد بجو من الحماس والإثارة، فانطلق الجميع في التفكير، بحثاً عن تلك الشجرة، ولمّا لم يجد رسول الله جواباً من الحضور، فقد جهلها من جهلها، وسكت عنها من علمها كما ورد في نص الحديث، بيّن رسول الله ﷺ مراده، فقال: "هي النخلة". ولعل في ذلك الشبه كثير "فكما أن النخلة لا ينعدم ظلها، وقوتها مستطاب للأرواح، لا ينقطع من البيوت ثمرها، وتصدر منها الخيرات، فالمؤمن أيضاً نافع أينما حل، من سعة عطاءه، وجميل أخلاقه، وطيب أفعاله.

وقد لفت الإمام البخاري في صحيحه إلى هذه الظاهرة في حديثه ﷺ فروى الحديث تحت ترجمته: "باب استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم"، ويرغبهم في الفكر والاعتناء. فقد استحسن العلماء "ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة"^٢ كما نجد في هذا الحديث إشارة إلى أنّ الملغز له ينبغي أن يتقن لقارئ الأحوال الواقعة عند السؤال، وأنّ الملغز ينبغي أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يدخل للملغز باباً يدخل منه، بل كلّما قرّبه كان أوقع في نفس سامعه^٣

^١ متفق عليه. رواه محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، رقم: ٦٢، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٥ - ١٧٨.

^٢ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٧.

^٣ المرجع نفسه، ج ١، ص ١٧٦.

ومنه أيضاً ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا أَيُّ عَظْمٍ هُوَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَجَبُ الذَّنْبِ»^١.

استهل رسول الله ﷺ حديثه بلغز أراد من خلاله أن يخبر أصحابه بحقيقة غيبية، وهي أن هناك عظماً من عظام الإنسان لا يفنى كباقي العظام بعد موت الإنسان، بل يبقى ليُبعث منه من جديد، وليزيد من شوقهم ورغبتهم في معرفة المراد، سكنت بعد ذلك قليلاً، فاجتهد الصحابة في التفكير، وطبيعي أن لا يعرف الحضور الجواب، فهو من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا من خصه الله بها، فسارعوا إلى سؤاله ﷺ أي عظم هو؟، ليصرح لهم بأنه "عجب الذنب"^٢.

إن توظيف هذا الأسلوب الرائع في عرض هذه المعلومة القيمة، تمكّن الخبر في نفوس المتلقين، وترسخه في أذهانهم.

وهكذا يتبين لنا أن روعة الإلغاز في البيان النبوي، لا تكمن في سرد صفاتٍ عديدةٍ للشيء المخفي لا تساعد على تقريب المراد إلى المتلقي، بل كانت فيما خفي مغزاه، وقرب مأناه، ورُمز له رمزاً يرى المتلقي سرّ الفضل في خفائه بلا كبير معاناةٍ ولا طول كدٍ.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأثرها الساعة، باب ما بين النفختين، رقم: ٥٢٥٥، مرجع سابق، ج ١٨، ص ٢٩٣.

^٢ عَجَبُ عَكَلٍ شَيْءٍ: مؤخّره، وعجب الذنب هو العظم اللطيف في أسفل الصلب. ينظر: محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١٨، ص ٢٩٢. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٩، مادة: (عجب)، ص ٥٣.

المبحث الثاني: الإيحاء بالصورة الفنية في الخطاب النبوي

احتلت الأساليب البلاغية مكانة هامة في الخطاب النبوي، لأنها مرتبطة بمولد الحس والعقل والخيال، فتستعمل للتبليغ والتوصيل من جهة، والتأثير على المتلقي سلباً أو إيجاباً من جهة أخرى، وتُعنى بإيحاءات الألفاظ والتراكيب والأساليب. لهذا كان لا بد من التطرق لبعض هذه الأساليب.

المطلب الأول: الإيحاء في التشبيه

تطرق العلماء إلى معنى التشبيه لغةً واصطلاحاً، لذا سنعرض شيئاً من هذه المعاني بإيجاز:

"التشبيه هو التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل شبه، يقال: شبهت هذا بهذا تشبيهاً أي مثلته به"^١، "وفي فلان شبه من فلان وهو شبهه أي شبيهه، وتقول شبهت هذا بهذا"^٢، وقال عز وجل: {آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} (سورة آل عمران: آية ٧)، "وأشبه الأمران، إذا أشكلا"^٣، "واشتبهت الأمور وتشابهت: التبتت لإشباه بعضها بعضاً"^٤.

التشبيه في الاصطلاح: للتشبيه في اصطلاح البلاغيين أكثر من تعريف، وهذه التعريفات وإن اختلفت لفظاً فإنها متفقة معنى وهي:

أن التشبيه: "هو العقد على أن أحد الشيئين سد مسد الآخر في حس أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس"^٥.

^١ الزمخشري، أساس البلاغة، مرجع سابق، ص ٤٣٠.

^٢ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٤.

^٣ أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

^٤ الزمخشري، أساس البلاغة، مرجع سابق، ص ٤٣٠.

^٥ علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، دار المعارف: مصر، ط ٣، ص ٨٠، ١٩٧٦م.

والتشبيه: "صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاها، ألا ترى أن قولهم "خد كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه"^١.

وقيل في التشبيه: "هو أن تثبت للشبه حكماً من أحكام المشبه به"^٢. كما عرف أيضاً: "أنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى"^٣.

ولم يخف على العرب فضل التشبيه، وقد أوتوا ما أوتوا من القدرة البيانية على انتقاء خير الأساليب للتعبير، وألطف الطرق للإبانة قال المبرد^٤: "لو قال قائل إن التشبيه هو أكثر كلام العرب لم يبعد"^٥، كما قيل أيضاً: "التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً"^٦، وقد جمع التشبيه بين صفات ثلاثة هي: "المبالغة والبيان والإيجاز"^٧.

والتشبيه بشقيّيه التمثيلي وغير التمثيلي من أساليب التشويق، ووسائل الإثارة، وطرق لفت الانتباه، وذلك لحال التطلع والترقب الذي يكون فيه المتلقّي، حينما يستشرف لمعرفة وجه الشبه أو القاسم المشترك الذي من أجله ألحق المشبه بالمشبه به. وكون هذا الوجه لا يأتي إلّا في نهاية الكلام يجعل انتباه المتلقّي مشدوداً إلى متابعة

١ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٥٦.

٢ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٤.

٣ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٢٨.

٤٤ محمد بن يزيد الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده، توفي:

٢٨٥هـ، في بغداد، ومن كتبه: "الكامل، المذكر والمؤنث والمقتضب والتعازي والمراثي وشرح لامية العرب. ينظر: جلال الدين

السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: لبنان، ط ١، ص ١١٦،

١٩٦٤م، وينظر: شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس،

دار صادر: بيروت، ط ١، ج ١، ص ٤٩٥، ١٩٠٠م. وينظر: خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي، الأعلام، دار العلم

للملايين: لبنان، ط ١٥، ج ٣، ٢٠٠٢م.

٥ محمد بن يزيد المبرد، الكامل، دار الفكر: القاهرة، ط ١، ج ٢، ص ٦٩، ١٩٩٨م.

٦ أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية: بيروت،

ط ١، ص ٢٣١، ١٩٥٢م.

٧ ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٩٦.

الكلام، حتّى يصل إلى آخره، فإذا سمع هذه الصفة المشتركة التذّ بالقول ووجد في نفسه أريحية، واستقرّ في ذاكرته، وذلك للتقريب بين المتباعدين الذي يحصل في وجه الشبه دائماً، والمبالغة التي يضمنها غالباً.

وقال ابن طباطبا^١: "إنّ السمع إذا ورد عليه ما قد ملّه من المعاني المكرّرة والصفات المشهورة التي كثر ورودها عليه ملّه وثقل عليه وعيّه، فإذا لطف الشاعر لشوب ذلك ممّا يلبسه عليه، فقرب منه بعيداً، أو بعدّ منه قريباً، أو جّل لطيفاً، أو لطّف جليلاً أصغى إليه ودعاه، واستحسنه السامع واجتبه"^٢.

ولما كان في رسالة النبي ﷺ تجديد القيم، وتوجيه السلوك، وتعديل المفاهيم، وتعريف لأنماط المعاني، تغلّغت هذه الرسالة العالميّة العالية والهداية السماويّة السامية في أعماق القلوب، وكان من الطبيعي أن تحظى بأسلوب "يتسم بقهر العاطفة، وهزّ الوجدان، وسرعة التأثير، وتجليّة الصورة، وذلك لتستبين للمتلقّي، ويقتنع بها المرسل إليهم، ويسكن مفعولها في أغوار النفوس"^٣. كان التشبيه خير ما يؤدّي هذه المهمّة التي تعين في تبليغ الرسالة، وذلك لإفادته وظائف بلاغيّة سبقت الإشارة إليها. ومن هنا كان حظّ التشبيه والتمثيل في الخطاب النبوي وافراً. ومن ذلك حديث حذيفة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْقُلُوبُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِّتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِّتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى

^١ أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد ابن طباطبا، أديب عالم، ولد بأصبهان ولم يعرف تاريخ مولده على وجه التحديد، وتوفي سنة ٣٢٢هـ. من مؤلفاته: عيار الشعر، تهذيب الأخلاق، كتاب العروض. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج٣، ص٩٤.

^٢ ابن طباطبا، عيار الشعر، مرجع سابق، ص٤٥.

^٣ ينظر: كمال عزّ الدين علي السّيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عزّ الدين السّيد، دار اقرأ: لبنان، ط١، ص١٣٦، ١٩٨٤م.

قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا^١ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ مُرَبَّادًا^٢ كَالْكُوزِ^٣، مُجَجِّيًا^٤ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ^٥.

يحفل هذا الحديث بالأسلوب البياني الراقى والإيضاح الشافي، فقد جسّد الرسول ﷺ فيه كيفية عرض الفتن على بني آدم وتأثرهم فيها، حتى تتضح الرؤية فنكون أكثر حذراً ويقظة، وحتى يتمثل المتلقي المشهد في ذهنه خير تمثيل. وتبياناً لدقائق المعنى الذي تتضمنه هذه الصورة أتبعها بهذا التفصيل الواضح في قوله: (عودا عودا)، لبصير ذلك كله ممهداً لنتيجته التي بنى ذكرها عليه، فوردت مفصلة فقيل: "وَمَعْنَى تُعْرَضُ أَنَّهَا تُلْصَقُ بِعَرَضِ الْقُلُوبِ أَيْ جَانِبِهَا كَمَا يُلْصَقُ الْحَصِيرُ بِجَنْبِ النَّائِمِ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ شِدَّةُ التِّصَاقِ بِهَا قَالِ وَمَعْنَى عَوْدًا عَوْدًا أَيْ تُعَادُ وَتُكْرَرُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ"^٦.

ثم يذكر بعد ذلك كيفية تأثر الإنسان في الفتن وانقسام الناس تجاهها إلى فئتين متقابلتين، أمّا إحداها فهي التي تنكر الفتن، فقد وضح ﷺ حقيقتها يومئذ أن قلوبهم تصير (أبيض مثل الصفا)، وقد ميّز هذا القلب الأبيض النقي بأنه (لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض).

وأما الآخر فهو نقيض الأول إذ يصير (أسود مرباداً كالكوز مخجياً). ولما كان هذا الصنف الثاني منطوياً على كثير من الأمور الغامضة في وصفه، أتبع ﷺ وصفه بما يوضح جوانب هذا الوصف ودقائقه، "فقيد لفظ (أسود) الدال على اللون بلفظ (مربادا) الدال على درجة ذلك اللون، وأتبع المشبه به كذلك بما يوضح صفته،

^١ الصفا في اللغة: العريض من الحجارة الأملس. و"الصُّلْبِيَّة: حجارة المسنن، والصفوان والصفواء والصفا واحد". ينظر: علي بن الحسين الهنائي كراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، جامعة أم القرى: السعودية، ط١، ج٢، ص ٤٣٥، ١٩٨٩م.

^٢ اُرْبَدَ وَارْبَادًا: ضرب إلى السواد. والقلب المرباد: المتلون والمولع بسواد وبياض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٥، مادة (ربد)، ص ١٠٦.

^٣ الكوز: نوع من الأواني. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع نفسه، ج١٢، مادة (كوز)، ص ١٨٦.

^٤ المججى: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبه القلب الذي لا يعي خيرا بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء لأن الكوز إذا مال انصب ما فيه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع نفسه، ج ٢، مادة (ججا)، ص ١٩٤.

^٥ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، رقم: ٢٣١، مرجع سابق، ج ١، ص ١٢٨.

^٦ محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧١.

وذلك حين قال (مخجياً) ليدلّ به على حاله ووضعه، ثم أتمّ هذه الدلالة بما يعرف به الإنسان الذي يحمل مثل هذا القلب حينما قال: (لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه)^١.

وبيان وجه الإثارة في هذا التشبيه هو أنّ المفردات التي يشتمل عليها كلّ من التشبيهين -ولا سيّما الثاني منهما- صعبة لا يفهم المراد منها إلا بضرب من التفكير والرجوع إلى أمّات كتب اللغة، فالمتلقّي الذي بين يدي الرسول ﷺ لا يزال يصغي ويرجو أن يستمرّ هذا الحديث الشريف؛ لعلّه يجد ما يميّط اللثام عمّا خفي له من بيان وجه الشبه، ويتوقّع ذلك. ولا يزال النبي ﷺ يشبع كلا التشبيهين بياناً حتّى اتّضح للمتلقّي أنّ الغرض من التشبيه الإفادة "أنّ القلب الأوّل الذي ينكر صاحبه المنكر لا يتضرّر بالفتن المدلهمة التي تحدث آخر الزمان، وأنّ القلب الأسود هو الذي يزيغ صاحبه عن الهدى، ويعرض عن الأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، فتغدى به الفتن وتغرقه"^٢. وبالاختصار، فإنّ التشبيه المتعدّد الأطراف العميق المعاني الوارد في هذا الحديث قد انطوى على عنصر الإثارة إلى المعرفة والتطلّع إلى الوقوف على حقيقة الصورة المرادة؛ وذلك لما فيها من الاستمالة بتتوّع الصورة وتعدّد القيود.

ومثل ذلك ما رواه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الْمُذْهَبِ^٣ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذُّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأَسَا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَاتَّوَهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ، قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَجَوَّأُوا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ"^٤.

^١ ينظر: د فتحية محمود فرج العقدة، من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف، مطبعة الأمانة: مصر، ط١، ص١٧٢-١٧٣، ١٩٩٣م.

^٢ عبد الحفيظ أحمد أديميح، أساليب التشويق البيانية في الأحاديث النبوية، مرجع سابق، ص٥٦٨.

^٣ المذهن، وهو: التارك لِلأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٦٣.

^٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، رقم: ٢٥٤٠، مرجع سابق، ج٣، ص١٨١.

الفكرة التي يدور حولها هذا الحديث الشريف هي ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن المجتمع البشري لا يصلح ولا يستقيم دون هذه الشعيرة الدينية، وأن الإنسان لو ترك المنكر دون إنكار سيصيبه ويله وبأسه كما يصيب مرتكب المنكر على حدّ سواء. فقد قسّم النبي ﷺ أفراد المجتمع -أي مجتمع- إلى ثلاث فرق أولها قائم على حدود الله، وهو الملتزم بأوامر الله الناهي غيره عن المنكر. والثاني مدهن، وهو من يرئى ويضيع الحقوق ويقصّر في الواجب بعدم تغييره المنكر والنهي عنه. والأخير -وهو الأسوأ- واقع في حدود الله، وهو العاصي^١. الذي سيصير إلى سفينة النجاة الفريق الأول فقط. وقد عقد لكل من هذه الفرق الثلاث تشبيهاً رائعاً.

وجه الشبه في هذا التشبيه منتزع من عدّة أمور، وذلك حيث شبه ﷺ المداهن في حدود الله بالذي في أعلى السفينة، وشبه الواقع في أسفلها، وشبه انهماك في تلك الحدود وعدم تركه إيّاها بنقرة أسفل السفينة، وعبر عن نهى الناهي للواقع في تلك الحدود بالأخذ على يديه، وبمنعه إيّاه عن النقر، وعبر عن فائدة ذلك المنع بنجاة الناهي والمنهي، وعبر عن عدم النهي بالترك، وعبر عن ذنب المداهين الذين ما نهوا الواقع في حدود الله بإهلاكهم إيّاه وأنفسهم. "أمّا السفينة فهي عبارة عن الإسلام المحيط بالفريقين المداهين في المنكر والناهين عنه بينهما الواقع في المعصية"^٢ وهكذا نرى عدّة تشبيهات تداخلت فيما بينها فكانت لوحة رائعة، غنية المعنى، يمكن إنزالها على أحداث كثيرة.

وقد استعان ﷺ بكلمة "مثل" في إيضاح الصورة التي أراد أن يوضّحها للمتلقين. وهذا النمط من التمثيل -أعني التمثيل الذي يستعمل فيه لفظ "مثل" يكاد يكون من خصائص القرآن الكريم والحديث الشريف، وعن ميزة هذا الأسلوب ومقامات استعماله وأثره في الكلام يقول أحد الباحثين: "كلمة "مثل" شائعة كثيرة الاستعمال في البيان القرآني والبيان النبوي. وهي تؤدّي فيهما دوراً بيانياً عظيم الشأن في التربية والتوجيه والتوضيح، وتبرز مكنونات

^١ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

^٢ شرف الدين بن عبد الله الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار الباز: الرياض، ط ١، ج ٩، ص ٢٧١، ١٩٩٧م.

المعاني والأحاسيس والمشاعر في معارض بلاغية آسرة، فيها للعقول إقناع وللعواطف إمتاع. أمّا في أدب البشر فهي نادرة الوقوع قليلة الاستعمال^١.

واعتماد هذا التشبيه على القصّة زاده حسناً وروعةً وسيطرةً على القلوب وامتلاكاً للنفوس، ولا شك أنّ القصّة تجذب انتباه القارئ إليها، فلا يستطيع في بداية الأمر أن يقف موقفاً سلبياً من شخصياتها وحوادثها. فهو على إدراك منه أو غير إدراك يضع نفسه على مسرح الحوادث. ويتخيّل أنّه كان في هذا الموقف أو ذاك، ويذهب يوازن بين نفسه وبين أبطال القصّة فيوافق، أو يستنكر، أو يعجب بها.

ومن ذلك أيضاً عن أبي موسى، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُخْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَتَّبَعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً^٢.

ورد هذا الحديث في باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ففيه ترغيب بذلك ولكن هذا الترغيب لم يأت بأسلوب مباشر بل جاء به النبي عن طريق التشبيه والتمثيل الذي يجلي الحقائق ويكشف المبهمات، وارتدى زيّ اللف والنشر، الذي يثير الفكر ويبعث على التأمل، لتتعاون التجلية والإثارة في الحث على فعل المأمور به، ونبذ المنهي عنه.

وأول ما يقف عنده ويتبادر لأسماعنا قوله ﷺ: "إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ" و"إِنَّمَا مَثَلُ" هنا بمعنى "إنما صفة"^٣ فهذا تشبيه بطريق القصر وجدنا هنا أحد طرفيه، وهو المشبّه. والذي يكمله هو المشبّه به الذي نحن في ترقب أن يليه مباشرة، إذ هما متلازمان تلازم المبتدأ والخبر، ووجدنا مشبّهاً آخر، وهو (الجليس السوء) بعده. فاجتمع لنا ترقبان، ترقب المشبّه به للمشبّه السابق، وترقب المشبّه به للمشبّه التّالي. ونحن في لهف إلى ما يشبّه به كلّ واحد من هذين النقيضين.

^١ عبد العظيم المطعني، من قضايا البلاغة والنقد، مطبعة حسان: القاهرة، ص ٨٧، ط ١، ١٩٨٤م.

^٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم: ٤٧٦٢، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٧٣

^٣ محمد الأمين الشافعي، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٢٤، ص ٤٧٣.

ثم جاء البيان النبوي بقوله: (كحامل المسك ونافخ الكير). فهاهنا مشبهان يناسب كل منهما المشبهين السابقين، ما يقودنا إلى تأمل للتفكير في إلحاق كل واحد منهما بما يناسبه، فيكون "حامل المسك" مناسباً "للجلوس الصالح"، بينما "نافخ الكير" مناسب "للجلوس السوء"، وهذا الأمر يدفعنا إلى أن نبحت عن أوجه الشبه والمطابقة بينهما، ولهذا جاء الخطاب النبوي بكيفية التطابق فيهما على النحو الذي نرى في تتمة الحديث، وعلمنا أن مجالسة الصالحين نافعة، والابتعاد عن الجلوس السوء خير أيضاً، فالإنسان مع الجلوس الصالح فيه الخير والمنفعة، وإن لم يكن منه النفع ففيه الرائحة الطيبة، والإنسان مع الجلوس السوء عكس ذلك إضافة إلى ما له من رائحة الكريهة، "فأسلوب التشبيه المقترن بالقصر عن طريق (إنما) هو الذي هيأ المتلقي لسماع هذا الحديث، وجذبه إلى استكشاف روعته، واستمال قلبه إلى الإصغاء إليه حتى بلغ النبي ﷺ نهايته".^١ وفي الحديث شاهد على لون بديعي يلهب السامع أيضاً، وذلك اللون هو اللف والنشر، نرى ذلك واضحاً حيث لَفَّ ﷺ بين المشبهين أولاً، ثم نشر المشبهين بهما ثانياً، وقد أضفى هذا الفن إلى روعة هذا الحديث تهييج السامع للاستماع إليه حسب الطريقة التي بيناها آنفاً.

ومن جميل ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرة، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ" قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا»^٢.

بدأ الرسول ﷺ هذا الحديث بسؤال الصحابة سؤالاً بسيطاً طريفاً عن حقيقة لا تخفى على أحد، وهو إن كان بباب أحد منهم نهر جارٍ ويغتسل منه خمس مرات في اليوم، فهل يبقى في جسده شيء من الوسخ؟ فمثل هذا السؤال المثير قد هيأ الصحابة لمعرفة المراد منه، ثم أعقب الرسول ﷺ هذا السؤال بتشبيه رائع أراد به أن يوضح لهم مراده، وذلك حين شبه ذلك بالصلوات الخمس لبيان أهميتها، فهي تطهر الإنسان من الذنوب والدنایا التي

١ ينظر: عبد الحفيظ أديميح، أساليب التشويق البلاغية، مرجع سابق، ص ٥٧٥

٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم: ٥٢٨، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٤-١٥.

يرتكبها تماماً كما ينظف الماء الجسد من الأوساخ، فنرى الصلاة على صورة النهر الجاري، والذنوب كالأوساخ، والمصلي كالمغتسل، فتكون من هذه الصور المعنى الذي أراد النبي إيصاله لنا.

قيل: "إنَّ من التناسق الفني الجميل في الحديث أن يجعل المعصية وسخاً ودرناً تتقرّز النفس السويّة منه وتتفرّج، والصلوات الخمس كنهر جار يغتسل فيه المرء خمس مرّات كلّ يوم، فماذا يبقى عليه من درنه ودينسه؟ إنّه لا يبقى شيء. وذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا".^١ والذي أضفى على التشبيه جمالاً أكثر هو أن النبي ﷺ لم يأت بهذا التشبيه بصورة مباشرة بل بدأ ذلك بسؤال جعل به المتلقين في حالة تطلع وشوق لمعرفة المراد، وقرنه ﷺ بحرف لو "ولفظ (لو) يقتضي أن يدخل على الفعل وأن يجاب، لكنّه وضع الاستفهام موضعه تأكيداً وتقريباً، والتقدير لو ثبت نهر صفته كذا لما بقي كذا".^٢ وكلّ من الاستفهام والتقيد ب(لو) من أساليب الترغيب.

ومنه حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى".^٣

هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام قوله ﷺ (تداعى لها سائر الجسد) أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك، ومنه قوله تداعت الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط.^٤

ومن الجمال في هذا التشبيه أنّه يحمل كل معاني الترابط والرحمة، فقد شبه رسول الله ﷺ حال المسلمين في توادهم بحال الجسد الذي إذا تألم منه عضو لبّت سائر الأعضاء وتداعت له بالسهر والحمى، وهذا تصوير

^١ محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي: لبنان، ط١، ص ٣٠٠، ١٩٨٨م.

^٢ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٥

^٣ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٦٦، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٩٩.

^٤ محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١٦، ص ١٣٩

علمي صحيح لما يحدث في جسم الإنسان، فنرى أن الجسد إذا أصيب بنزلة برد فإن كل الأعضاء تتأثر لذلك وترتفع حرارته متأثراً في الإصابة. وربط ذلك بالمسلم الذي يرتبط بإخوانه المسلمين فيشعر بشعورهم ويقلق لقلقهم ويحزن لحزنهم ويعطف عليهم فيتأثر بما يصيب أخاه المسلم.

وبهذا التصوير الدقيق والأسلوب البياني يظهر لنا المراد ويتغلغل في أعماق القلب، وقد رأينا كيف اجتمعت في هذا المثل مزايا عديدة جعلت منه نمطاً عالياً من الكلام، وأسلوباً راقياً من البيان يقول شهاب الدين النويري:^١ "قال إبراهيم النظام^٢: "يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة"^٣.

ومن جميل التشبيه أيضاً الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ: هَكَذَا^٤.

نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوحى لنا بالمبالغة المعبرة عن وقع الذنب في نفس المؤمن، وشدة انزعاجه منه من خلال استعمال أدوات التشبيه، فقد استعمل صلى الله عليه وسلم "كأن" في المكان الذي يتطلب القوة في التشبيه، بينما استعمل "الكاف" مع الفاجر للدلالة على سهولة تقبله الذنب وعدم اكتراثه له، وقد شرح الرافعي^٥ الحديث شرحاً مبيناً دقة التعبير الذي كان له الأثر الفعال في جمال الصورة. فقال: "وهذا كلام أبلغ ما أنت واجد

^١ هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري الشافعي، مؤرخ أديب مشارك في عدة علوم، ولد سنة ٦٧٧هـ وتوفي في القاهرة سنة ٧٣٣هـ. من تصانيفه: نهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠ مجلداً). ينظر: يوسف بن تغري بردي الظاهري، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، ط١، ج١، ص٧٣، ١٣٩٠م.

^٢ هو إبراهيم بن سيار بن هاني النظام، أحد فرسان أهل الكلام وكبار المعتزلة، كان دقيق المعاني على طريقة المتكلمين، توفي سنة ٢٣١هـ. من مؤلفاته: النكت، وله شعر. ينظر: شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الحديث: القاهرة، ط١، ج١٠، ص٥٤١، ٢٠١٦م.

^٣ شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، حسن نور الدين، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ج٣، ص٢، ٢٠٠٤م.

^٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، رقم: ٦٣٠٨، مرجع سابق، ج٨، ص ٦٧

^٥ مصطفى صادق بن عبد القادر الرافعي، عالم بالأدب شاعر، من كبار الكتاب أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتم بمنزل والد أمه ووفاته في طنطا مصر، أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به، شعره نقي الديباجة في أكثره ونثره من الطراز الأول، وله رسائل في الأدب والسياسة له ديوان شعر ثلاثة أجزاء وتاريخ آداب العرب، وحي القلم. ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج٧، ص٢٣٥.

من تفسيره، تلك النفس المؤمنة بإحساسها الرفيع، كأنه حاسة من النور كبت في شعورها، وتلك النفس الفاجرة بإحساسها الغليظ من التراب، ويكاد المؤمن الذي يسمع هذا الوصف الذي يذكره ذنوبه أن يحس بحركة جبل يهم أن ينقلع فيميل عليه، أما الفاجر فيسمعه يذكره ذنوبه، فإذا هي حياله نقط سود تمر من الذباب ليس منه إلاّ الحس به كما يحس من يضرب على أنفه برجل ذبابة، وجعل الذباب يمر على أنفه دون عينه أو فمه، وذلك منتهى الجمال في التصوير لأن الذبابات إذا وقعت على الفم أو العين ثبت وألح، وإذا وقع على قسبة الأنف لم يكن يقف ومر مروره".^١

كما استعمل الرسول عليه الصلاة والسلام أداة التشبيه "الكاف" للموازنة والمقارنة، كما في حديث رافع بن خديج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الْعَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ كَالْعَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ"^٢.

نجد أنّ رسول الله ﷺ قد استعمل التشبيه ليرغبنا في العمل بمجال جمع الزكاة من المسلمين، لأنها تعود على الفقراء منهم بالخير والعون، فالعامل على الأمور المالية إن لم يظلم الناس وتعامل معهم بالعدل التام ولم ينزل مع مغريات النفس والشيطان فيسرق أو يرتشي كان أجره كالمجاهد في سبيل الله، وكلنا يعلم عظيم أجر المجاهد وفضله الكبير، وهذا التشبيه بين الطرفين يوحي لنا بأنّ هناك ارتباطاً كبيراً بين طرفي التشبيه فكلاهما يحتاج للمجاهدة، "ولكنّ هذا في مجاهدة الكفار وذلك في قبول المال الحرام، ولم نكن لنعلم عظيم الثواب المترتب على ذلك لو لم يأت رسول الله ﷺ بهذا التشبيه"^٣.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرَّةً الْمُؤْمِنُ.....»^٤.

^١ مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، المكتبة العصرية: بيروت، ط ٢، ج ٣، ص ١٩، ٢٠٠٢م.

^٢ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب الزكاة، باب ما جاء في العامل على الصدقة بالحق، رقم: ٦٤٥، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٩٣.

^٣ ينظر: نور الدين الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٢٧٣.

^٤ أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٢٢٢.

نتبين من الحديث معنى لافلت أراد الرسول أن يخبرنا إيّاه، وذلك حين شبه المؤمن بأنّه كالمرآة لأخيه المؤمن، وكلنا نعلم أن المرآة هي صورة عاكسة للحقيقة، فهي تنقل لنا الصورة كما هي بالفعل دون خداع أو تزييف، وهذا ما يدلنا أن المؤمن لأخيه المؤمن كالمرآة التي يرى فيها وجهه، "فيعمل على أن يُطلعه على عيوبه ونصيحته له في المشهد والمغيب، وما فيه صلاحه ما يخفى عليه، فالمؤمنون كالجسد الواحد، وكل واحد عون لأخيه، فصلاحه وجماله يكمن أيضاً في صلاح وجمال أخيه".^١

فهذا التشبيه، ومثله يُحدث لدى المتلقي المتعة والحماس، فيجعله يتخيل هذه الصورة تجسيم الصورة المعنوية، وبإدراك هذا المعنى يورث النفس متعةً بعد طول نظر، وتقف إزاءها مبهوراً متأملّة، فيكتسب القول المتعة الجمالية، والتأثير القوي.

ومن ذلك أيضاً حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «السَّقَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ...»^٢.

شبه الرسول عليه الصلاة والسلام السفر بقطعة عذاب، وذلك "لما به من ناهٍ يمنعه من كمال الحياة ولذيذها، كالمشقة والتعب ومقاساة الحر والبرد والسرى والخوف ومفارقة الأهل والأصحاب وخشونة العيش"^٣ هذا الإيحاء الذي جاء عن طريق التشبيه ينشط الخيال لدى المتلقي ويثير التعجب عنده، وذلك من التقريب بين المتباعدين، "ولا شك أن التخيل يحسن موقعه من النفس أن يترامى الكلام إلى أنحاء من التعجب فيقوى بذلك تأثر النفس لمقتضى الكلام"^٤.

^١ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٩، ص ٢٣٧

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السرعة السير، رقم: ٣٠٠١، مرجع سابق، ج ٤، ص ٥٨.

^٣ ينظر: محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٧٠

^٤ حازم بن محمد بن حسن القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي: لبنان، ص ٩٠، ط ٣، ١٩٨٦ م.

ونجد الرسول ﷺ يربط بطريقته الالفة في التشبيه بين البلاغ والتعليم، وذلك في حديث عبد الله بن عمر، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ»^١.

يضرب الرسول ﷺ المثل بما في بيئة العرب، فإنَّ الرجل منهم إذا كان لديه نوق فربطها بإحكام فقد حافظ عليها، أمَّا إذا غفل عنها فإنها تذهب عنه فلا يجدها. وكذلك القرآن، فإننا إذا لم نتعاهد كتاب الله عز وجل بالذاكرة والحفظ والمراجعة فإننا سوف ننساه.

ففي هذا الحديث حثٌّ وترغيب على تعاهد حفظ القرآن الكريم والعمل على عدم نسيانه، وقد استمال رسول الله ﷺ قلوب المتلقين حين استعمل (إنما) في صدر كلامه، وهذه الكلمة بما تدلُّ عليه من تأكيد وقصر جاذبة للانتباه المتلقي لافقة لنظرة، "ثمَّ إِنَّ إِتْبَاعَ هَذِهِ الْأَدَاةِ بِكَلِمَةٍ (مثل) يُوْحِي بِتَشْبِيهِهِ مَرْكَبٍ مُتَعَدِّ وَجْهَ الشَّبْهِ، فَالْمُتَلْقِي هُنَا يَسْتَجْمَعُ حَوَاسِهِ لِسَمَاعِ تَتِمَّةِ الْكَلَامِ وَالْوُقُوفِ عَلَى التَّشْبِيهِ النَّبَوِيِّ"^٢.

نجد أنَّ التشبيه في الخطاب النبوي من الأساليب التي لها تأثير كبير في نفس السامع والمتلقي، فهو أبلغ من غيره وأنفذ في النفوس والخواطر، لاتخاذ جانب التلميح واكتفائه به، حين لا تظهر فيه الأداة أو وجه الشبه بشكل صريح فكان أسلوباً لافتاً في نقل المعاني والأفكار للمتلقي.

المطلب الثاني: الإيحاء في الاستعارة

هي آلية بلاغية يكثر ورودها في الحديث النبوي الشريف، يستخدمها الرسول ﷺ ليوحى لنا من خلالها بكثير من المعاني والأفكار.

وهي لغة: "مأخوذة من العارية، وهي ما يتداول به، والتداول في الشيء يكون بين اثنين، واستعار الشيء واستعاره منه: طلب أن يعيره إياه"^٣.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا، رقم:

١٨٧٥، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٩٧.

^٢ عبد الحفيظ أيدميح، أساليب التشويق البلاغية، ص ٣٤٣

^٣ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٤، ص ٦١٨

أما اصطلاحاً: "هي نقل اللفظ من معناه الذي دل عليه بأصل الوضع اللغوي إلى معنى آخر فيكون كالعارية"^١. والاستعارة "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول: (في البيت أسد)، وأنت تريد به (الرجل الشجاع)، مدعياً أنه من جنس الأسود، فتثبت للرجال الشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه، مع سد طريق التشبيه بإفراجه بالذكر"^٢.

والاستعارة "ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، وهي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيه المشبه وتجريه عليه"^٣.

كما أنها "ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه"^٤. "وتقسم إلى مفيدة وغير مفيدة، فغير المفيدة لا تكسب الكلام معنى جديداً ولا تقيده تأكيداً أو اتساعاً ومبالغة، وكل هذه الأمور نجدها قائمة في الاستعارة المفيدة التي هي مدار الشرف والحسن"^٥. كما تنقسم إلى قسمين رئيسين تصريحية ومكنية.

ولا بد في الاستعارة من ثلاثة أشياء أصول: "مستعار، مستعار منه وهو اللفظ، ومستعار له وهو المعنى"^٦ وللاستعارة منزلة رفيعة في البلاغة، وفيها مجال فسيح للابتكار والإبداع وهي: "أمد ميداناً وأشد افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، ومن الفضيلة الجامعة فيها: أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً"^٧.

^١ نصر الله بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، مطبعة المجمع العلمي: العراق، ط١، ص ٩٠، ١٩٥٦م.

^٢ السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص ٣٦٩

^٣ الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ٦٧

^٤ فخر الدين محمد بن الحسين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: سعد سليمان حمودة، دار صادر: لبنان، ط١، ص ٢٣٢، ٢٠٠٤م.

^٥ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف: بيروت، ط١، ص ٨٦-٩٦، ١٩٧٨م.

^٦ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٥

^٧ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٣

"وانك ترى فيها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، فهي أول أبواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها".^١

وقد بدت الاستعارة في حديثه ﷺ وسيلة بيانية إيحائية مهمة تسهم في تجسيد الأفكار، وتشخيصها، وإيضاح المعاني، والتعبير عنها بشكل فني جمالي متميز، ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».^٢

”معناه أنَّ كلَّ مؤمن ممنوع من الشهوات المحرَّمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقَّة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعدَّ الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من النقصان. وأمَّا الكافر فإنَّما له من ذلك ما حصل من الدنيا مع قَلَّتْه، وتكديره بالمنعَصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم، وشقاء الأبد“^٣

فالرسول ﷺ أراد مراد أن الدنيا في ضنكها كالسجن للمؤمن، بينما هي كالجنة للكافر لانبساطها له، فقد حذف المشبَّه وأبقى إحدى لوازمه، الضنك بالنسبة للمؤمن والانبساط بالنسبة للكافر على طريقة الاستعارة المكنية.

"فكلَّمَا همَّ القلب بالابتعاد عن مشائم الأهواء الدنيويَّة والتخلص من قيود الشهوات العاجلة؛ تسبُّباً إلى الآجلة، وتترهَّأ في فضاء الملكوت ومشاهدة الجمال الأزلي، حجزه الشيطان المطرود بالاحتجاب، فتدلَّى بحبل النفس الأمارة إليه فكدر صفو العيش عليه".^٤

عندما يسمع القارئ هذا الحديث يشعر بالدهشة والاستغراب، فكيف يكون المؤمن سجيناً في الدنيا وهو فيها حر طليق يفعل في حياته ما يريد؟ وكيف تكون جنة للكافر وهو فيها كالمؤمن؟ سيان لا خلاف بينهما، أيعقل أن يكون المؤمن في سجن والكافر بلا سجن؟ هذا يدفع المتلقي القارئ إلى التفكير والتأمل في المعنى الذي أراد النبي ﷺ أن يوحيه لنا من خلال هذه الاستعارة، فلا يمكن أن نأخذ المعنى المباشر على وجهته الحقيقية. ثم

^١ ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦٨

^٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حدثنا قتيبة، رقم: ٥٢٥٦، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٢٠٥

^٣ محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١٨، ص ٢٩٤

^٤ شرف الدين بن عبد الله الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، مرجع سابق، ج ٩، ص ٢٨٥.

بعد الوصول إلى المعنى المراد من الحديث لا يمكن للمعنى أن ينفلت من أذهاننا، بل أصبح ثابتاً راسخاً، ومن الصعب نسيانه، وذلك لأننا قد تكبدنا في تفكر معناه كثيراً.

ومن لطيف ذلك أيضاً ما رواه عَائِذُ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ أَيُّ بُنَى إِيَّيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^١.

فالحطمة: "هو الإنسان الذي يحطم ما تحته"^٢، كالراعي يرعى غنماً أو إبلاً ومعه عصا يضرب بها أغنامه أو إبله وينفرها ويقسو عليها، فهذا شر الرعاء، وكذلك الراعي الحاكم الذي يكون على الناس ويتولى أمرهم فتراه عنيفاً عليهم، فقال: (إن شر الرعاء الحطمة). فالاستعارة في الحديث هو أن (الحطمة) في اللغة "هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها، بل يحطمها، ويزحم بعضها ببعض في سقيها بحيث يؤذيها ويحطمها"^٣. فكما أن شر الرعاء الحطمة بإبلهم فإن شر الولاة القساة على شعوبهم. فلما استعار للوالي والسلطان لفظ (الراعي) أتبعه بما يلائم المستعار منه من صفة الحطم، فالحطمة ترشيح لاستعارة الراعي لهم. فهي استعارة مرشحة^٤. فقارئ الحديث يظن للوهلة الأولى أن المراد بالخطاب هم رعاة الغنم والإبل، ولكن عندما يتابع قراءة الحديث ويصل إلى "إياك أن تكون منهم" يتضح أن الكلام ليس عن المواشي والحيوانات، وإنما هناك أمر أخطر وأخطر. وبذلك يكون قد تبين أن في الكلام استعارة توحى بما قد خفي وتبين ما قد ضم.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم: ٤٨٣٨، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٢١٩

^٢ يقال: حطمه يحطمه حطماً، إذا كسره، أو آذاه بإدخال بعضه على بعض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٨٣، مادة (حطم)، ص ٢١١.

^٣ محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٤٢٠

^٤ الاستعارة المرشحة هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه، (والمشبه به هو المصطلح على تسميته بالمستعار منه في باب الاستعارة)، والترشيح الذي هو ذكر ملائم المشبه به: إمعان في هذا التماسي وغلو في دعوى الاتحاد، وكأن ليس هناك استعارة، بل ولا تشبيه، حتى إنك لتجد الشاعر أو الناثر، يمعن في إنكارهما، ويخيل للسامع: أن الأمر محمول على حقيقته، لا تجوز فيه. ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢٦.

ومن ذلك أيضاً حديث عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَجْرُ وَالْمَعْنَمُ^١.

نجد في هذا الحديث الترغيب في اتخاذ الخيل، فالخير كائن في الخيل إلى يوم القيامة قد جعل الرسول ﷺ الخير شيئاً يعقد على سبيل الاستعارة المكنية. فهل يعقل أن يكون الخير في ناصية الخيل فقط. ولم خص هذا الجزء دون سواه؟ هذا ما يثير الفضول ويدفع للتدبر والتأمل الذي نصل من خلاله إلى أن الخير لا يمكن أن يكون في ناصية الخيل وحسب، بل يعود أيضاً على راكب الخيل، وإنّ هذا من باب إطلاق الجزء على الكل. "والناصية عند العرب: منبت الشعر في مقدّمة الرأس، وخصت بالذكر لأنّ العرب تقول: فلان مبارك الناصية فتكنّي بها عن الإنسان"^٢. فربما كان تخصيصها بالخير في الحديث دون غيرها لارتباطها بالبركة عند العرب. وقيل: "يحتمل أن تكون الناصية خُصّت لكونها إشارة إلى أنّ الفضل في الإقدام بها على العدو دون المؤخر"^٣.

ومن ذلك ما رواه أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوُجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بِوَجْهِهِ وَهَوْلَاءَ بِوَجْهِهِ^٤.

يذم رسول الله ﷺ المنافقين، ويحذر من الذنب العظيم الذي يرتكبونه، فيصفهم بأنّ لهم وجهين، ولا يكون ذلك في الحقيقة، فلم يخلق الله لإنسان أكثر من وجه، ولو كان افتراضاً لظهر في غاية القبح والبشاعة والنفور. وهذا ما أراد الرسول الإيحاء إليه والإلماح له من قبح عمل المنافق وشناعة موقفه. فهو كالمخادع الذي يخدع الناس، يذهب إلى طائفة ويعلن لهم الولاء، بينما هو في الحقيقة مضمّر الخصام لهم، فلا يعلم أحد أهو عدوه أم صديقه، إذ ليس له موقف محدد.

١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، رقم: ٣٤٨٠، مرجع سابق، ج ٩، ص ٤٤٥

٢ شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مرجع سابق، ج ٩، ص ٣٥٢

٣ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٦، ص ٦٦.

٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك، رقم: ٦٦٤٣، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ١٠٧

ومحط التشويق والإيحاء في إطلاق لفظ "ذو الوجهين" على المنافق المراوغ، لأنه مثير لتفكير المتلقي، وداع للبحث عن المعنى المراد من هذا اللفظ، وبعد الحصول عليه يعزّز عليه، ويبقى نفسه عن أن يتّصف بهذا الوصف. "وفي هذه الاستعارة تصوير وتنفير، "إذ لو تصوّر المتلقي إنساناً ذا وجهين، فإنّ ذلك الإنسان يكون في أقبح الصور؛ لما في ذلك من مجانبة للمعهود، واتّصاف بالشذوذ"^١.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة، أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ»^٢.

نجد في الحديث التأكيد على تبليغ العلم ودم كتمانها، فالممسك عن الكلام ممثل بمن ألجم نفسه بلجام. فقد استعار الرسول كلمة اللجام من الفرس، "وهي حديدة تُمسكُ به الدابةُ تَكُونُ من الخَدَّيْنِ إلى صَفْقِي العُنُقِ"^٣، ووصف بها من كتم فمه عن تعليم الناس، وسكت عن قول الحق والإفادة بعلمه، بأنّه يعاقب في الآخرة بأن يمسك بلجام من نار، أعادنا الله منها.

وبالتفكير والتأمل يلوح وجه الاستعارة في الحديث وما فيها من إيحاء، بجو من الخوف والرهبّة تدفع النفس إلى تجنب مثل هذا الفعل المذموم.

وهكذا نجد أنّ في كل استعارة روعةً في التصوير، وضرباً من الإيحاء، وعنصراً من التشويق، ممّا يدعو المتلقي إلى التفكير، ويدفعه إلى التنقيب في مرامي الكلام، والغوص فيما وراء الألفاظ، فالاستعارة لم تكن وظيفة جمالية فحسب، بل هي خاصية أساسية في الإبانة عن المعاني، والتأثير على المتلقي، لما منحت الكلام من قوة، ورونق، وصورة حسنة وجميلة..

^١ عبد الحفيظ أحمد أديميح، أساليب التشويق والبلاغة في الصحيحين، مرجع سابق، ص ٦٠١

^٢ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أبي هريرة، رقم: ٨٥٣٣، مرجع سابق، ج ١٤،

ص ٢٨٤. وأبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٢١

^٣ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٥٣٤

المطلب الثالث: الإيحاء في الكناية

الكناية لغةً: "مصدر كنى، والكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره، وهي أن تتكلم بشيء وتريد به غيره"^١، "وقد كنيت بكذا عن كذا، وكنوت أيضا. كناية، وكنى به: إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه"^٢، أو "أن تتكلم بلفظ يجاذبه جانباً حقيقةً ومجازاً"^٣.

والظاهر "أن فعلها من ذوات الياء كنى يكني مثل: هدى يهدي"، وروى آخرون أن فعلها واوي، وأوردوا عليه قول أبي زياد:

وإني لأَكْنُو عَنْ قُدُورٍ بغيرِها وأُعَرِّبُ أَخْيَانًا بِهَا وَأُصْرِحُ

الكناية اصطلاحاً:

عرف البيانين الكناية تعريفات متعددة، وهي مع هذا التعدد والاختلاف متقاربة، ومن أهمها: قولهم: "هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى تاليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه"^٤. وقيل: "هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه"^٥. وقيل: "الكناية وضع كلمة بدل كلمة لإظهار المعنى بالبين لفظ تنزهها وتفضلاً"^٦. "وهي عدول عما

١ أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل: بيروت، ط١، ص٨٧٧، مادة: كنى، ١٩٩٩م.

٢ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٤، ص٢٣٣.

٣ المرجع نفسه، ص١٢٢٠

٤ إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الفكر: لبنان، ط١، ج٢، ص١٧٩، ١٩٩٨م، وقد روي هذا البيت وإني لأكني عن قذور بغيرها.. ينظر: محمد الأزهرى الهروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق، ج٤، مادة (ك ن ي)، ص٣١٩٧. قذور: امرأة. يقول: أذكرها في بعض الأوقات باسم غيرها وأصرح باسمها في وقت آخر وأعرب وأبين، ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، مرجع سابق، ج٦، ص٤٢١.

٥ الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص١٠٥.

٦ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٣.

٧ عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية: بيروت، ط٣، ج٣، ص١٢٢، ١٩٦٩م.

لا يليق إلى ما يليق وعما يليق إلى ما هو أليق^١. وقيل: "هي كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة ولمجاز^٢". وتنقسم الكناية إلى ثلاثة أغراض:

١- التلويح: "وهي كناية كثرت فيها الوسائط بين المكنى به والمكنى عنه، إلا أن هذه اللوازم والوسائط واضحة^٣ العلاقة مثاله: فلان كثير الرماد.

٢- الرمز: وهو كناية قلت فيها الوسائط بين المكنى به والمكنى عنه، إلا أن هذه الوسائط واللوازم مع قلتها فيها نوع من الخفاء مثاله: فلان عريض الوساد.

٣- الإيماء والإشارة: "وهي كناية تتوسط بين التلويح والرمز بقلة الوسائط فيها، وبوضوح نسبي في العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد، وتتميز بأنها قليلة الوسائط فتدل على المعنى المراد دلالة مباشرة كأنها تومئ إليه^٤" مثاله: بعيدة مهوى القرط.

لقد أسهمت الكناية في بناء الصورة البيانية في الحديث الشريف، وتنوعت مظاهرها، فكان منها التلويح والإشارة والرمز، وكان لها الأثر الواضح القائم على دقة استعمال اللفظ في موضع الإشارة والتلميح تارة، وفي مجال التأثير النفسي تارة أخرى، وقد شكّلت الكناية لدى الرسول ﷺ وأصحابه نمطاً متميزاً يلجؤون إليه كلما أرادوا إحاطة تعبيرهم بهالة من الفخامة والبلاغة، ومنحه طابعاً من الوقار والانتزان، وغيرها كثير، فضلاً عن تصويرهم المعنى وتقديمه في أحسن معرض قد تعجز الأساليب الأخرى عن أدائه، فمن بين تلك الصور الكنائية ما نجده في حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبُّثُ يَدَاكَ»^٥.

^١ محمد جابر فياض، الكناية، دار المنارة: السعودية، ط١، ص ٢١، ١٩٨٩م.

^٢ ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٨.

^٣ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم: ٦٤٧٤، ج ٢١، ص ٣٢١.

^٤ محمد قاسم ومحبي الدين، علوم البلاغة، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

^٥ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكلفاء في الدين، رقم: ٥٠٩٠، مرجع سابق، ج ٧، ص ٧.

قوله عليه الصلاة والسلام "تربت يداك": أول ما يتضح لنا من المعنى القريب الدعاء عليه بالفقر، "يُقَال: تَرَبَّ الرَّجُلُ أَي: افْتَقَرَ كَأَنَّهُ قَالَ: تَلْتَصِقُ بِالتُّرَابِ، وَلَا يُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الدُّعَاءُ، بَلِ الْحَتُّ عَلَى الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ فِي طَلَبِ الْمَأْمُورِ بِهِ"^١ وهذا ما قصده رسول الله الدعاء له بالخير إن هو مال إلى ذات الدين.

وذهب الشراح إلى أن المراد بتربت يداك أي "خبت وخسرت ولا أصبت خيراً"^٢، كما خص بعضهم معنى الفقر هنا بالفقر الذي يدفع صاحبه إلى الرضا بذات الدين، راجياً الثواب من الله سبحانه وتعالى، فيوافق بذلك الحديث النص القرآني {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (النور: آية ٣٢).

ومن هنا نلاحظ أن للكناية أثراً واضحاً في تحديد المعنى، وتخصيصه بالفقر، إذ إن الكناية انتقال من موجب إلى موجب، فالالتصاق بالتراب يوجب الفقر، والمقصود أنه تركيب تستعمله العرب للإنكار والتعجب والترغيب على الشيء. كما أوحى لنا الكناية أيضاً تعظيم شأن المرأة المسلمة.

ومن هذا أيضاً عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فِي الثَّقَلِ^٣، وَأُنْجِشَتْ غُلَامٌ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسُوقُ بِهِنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَنْجَشُ رُوَيْدَكَ سَوْفَكَ بِالْقَوَارِيرِ^٤.

شبه الرسول صلى الله عليه وسلم النساء بالقوارير، لأنَّ القوارير أسرع الأشياء تكسراً، فأفادت هنا الحض على الرفق بالنساء، فهنَّ رقيقات لا تتحملن القسوة. فالتعبير المباشر تبدو فيه الكناية عن الموصوف، وهو النساء ولكن ما علاقة القوارير؟ قيل: "إنما كنى عنهن بالقوارير لأمر ثلاثة، أما الأول: فلما فيهن من حفظ الأجنة والوعاء كالقارورة تحفظ ما فيها، وأما الثانية: فلاختصاصهن بالسقاء والصقالة والحسن والنضارة، وأما الثالثة:

^١ نور الدين د الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٠٤٣.

^٢ محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة: بيروت، ط ١، ج ٤، ص ٥٨، ١٩٧١ م.

^٣ متاع المسافر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١١، ص ٨٥.

^٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من عادى صاحبه فنقص من اسمه حرفاً، رقم: ٦٢٠٢، مرجع سابق، ج ٨، ص ٣٥.

فلما فيهن من الرقة والمسارة إلى التغيير والانثلام، كما يتسارع الانكسار إلى القارورة لرقتها^١، وهذا الوجه هو الذي يومئ إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: (رفقاً بالقوارير). ومن الدلالات النفسية للقوارير أنها تبين ضعف النساء، فهذا يقتضي هذا الضعف معاملة خاصة فيها كل معاني الرفق والإحسان والعرفان، ومعاني الرفق تشع في هذا الحديث من الإطار المحيط بالكناية "رويدك" أي ارفق وتمهل، فشكلت الكناية "قوارير" مع الكلمات المجاورة لها جواً نفسياً يسوده الهدوء والراحة والحفاوة الشديدة والوقار، وهذا هو الجو الملائم لتعيش المرأة آمنة مطمئنة قانعة ويدفعها إلى القيام بدورها في الحياة على أحسن وجه، إذ ليس التصريح بقول "ارفق بالنساء" كالكناية عنه بالقوارير، "فعدوله عن اللفظ الصريح إلى ما هو أجمل منه وأعذب دليل على التفنن في أسلوب الخطاب، وتأكيد على غرض من أغراض الكناية، وهو ترك اللفظ إلى ما هو أحسن منه"^٢. كما أن صورة القوارير توحى بالركة البالغة.

ومن الكنايات التي لها أبعاد فنية ونواح جمالية وإيحاء نفسي، ما رواه مسلم بن أبي بكر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ يَكُونُ الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرًا مِنَ الْجَالِسِ، وَالْجَالِسُ خَيْرًا مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرًا مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرًا مِنَ السَّاعِي. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ. قَالَ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَلْيَعْمِدْ إِلَى سَيْفِهِ فَلْيَضْرِبْ بِحَدِّهِ عَلَى حَرَّةٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ مَا اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ.^٣

قوله صلى الله عليه وسلم: (فليعمد إلى سيفه، فيدق على حده بالحجر)، هو كناية عن ترك القتال والمعنى "فليكسر سلاحه كي لا يذهب به إلى الحرب، لأن تلك الحروب بين المسلمين فلا يجوز حضورها"^٤. إن ترك النبي ﷺ التصريح المباشر باللفظ، وعدوله إلى الإيماء والإشارة أثر مائع وجمال رائع، إذ تبقى النفس تواقفة

^١ ابن بطال، شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٧

^٢ ينظر: أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، دار المكتبي للطباعة والنشر: دمشق، ص ٢٧١، ط ٢، ٢٠٠٩م.

^٣ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الفتن، باب في النهي عن السعي في الفتنة، رقم: ٤٢٥٨، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٣٦٩.

^٤ العظيم أبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: أبو عبد الله النعماني الأثري، دار المنهل: الأردن، ط ١، ج ٨، ص ٣٢٣، ٢٠٠٩م.

لمعرفة ما وراء اللفظ، لأن المعنى الكناي الذي استعويض به عن المعنى الصريح أحسن عبارة وأعذب لفظاً، فهو يرمز إلى أمر جزئي هو إتلاف السلاح، سواء بالكسر أو بغيره، لأن كسر السلاح الذي يعد رمزاً من رموز الحرب يشير إلى أمر كلي وهو ترك القتال.

فالكناية قد دلت على غرض من أغراضها، وهو تحسين اللفظ وقصد البلاغة، وبيّنت حكماً شرعياً هو عدم جواز المشاركة في القتال في وقت الفتن. وهكذا تتكامل الكناية النبوية بجوانبها المتعددة وأبعادها المختلفة لتصل إلى غاية تصويرها الفني، وتوصلك إلى الهدف في جمال ألفاظها وبلغ عباراتها.

ومن الكنايات التي توحى بالمعنى من غير تصريح ومباشرة بالمعنى أيضاً ما رواه حَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَإِبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غَنًى، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعِنْ يُغْنِهِ اللَّهُ»^١.

"اليـد العليا" كناية عن اليـد المعطية و"اليـد السفلى" كناية عن اليـد الآخذة، فلو نظرت إلى السائل الذي يطلب تجد أن يده لا بد أن تكون تحت يد المعطي، فيد السائل نازلة ذليلة، وهذا من جمال التصوير النبوي، فلا بد أن تكون يد من يعطي أعلى من يد السائل والمحتاج، وما أَرَادَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "هو الحث على العطاء والصدقة، كما يري المؤمن الترفع عَن المساءلة وَالتَّعَفُّفُ عَنْهَا"^٢ فلم يصرح بذلك بشكل مباشر، بل جاء من خلال التلميح والتصوير الجميل، ليضفي على المعنى جمالاً وثباتاً في الأذهان، وينمي الرغبة والتشجيع في فعل الأمر المذكور فضلاً عن رفعة المتصدق بين العباد.

^١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم: ١٤٢٧، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٢.

^٢ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٨، ص ٢٩٤.

ومن الكنايات التي توحى بالمعنى نفسه قول عائشة أم المؤمنين، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْرَعُكُمْ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا» قالت: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيُّهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قالت: فَكَانَتْ أَطْوَلُنَا يَدًا زَيْنَبُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ^١.

"أطولكن يدا" المعنى الظاهر هو قياس طول اليد الحقيقية "الجارحة"، إلا إن وراء هذه الصورة مدلولاً ذهنياً جميلاً وعظيماً وهو السخاء والكرم^٢، فالرسول ﷺ كنى عن هذا المعنى بطول اليد لأن الغالب هو أن يعطي الإنسان غيره ما شاء من الإحسان والخير بيده فسمي الأخذ يداً. وفي الحديث ملحظ بلاغي دقيق وهو أن رسول الله ﷺ أراد من ذلك حض أزواجه بصورة خاصة على الصدقة لما فيها من الأجر العظيم، والمؤمنين بصورة عامة وقد قيل: "إنه تلويح يريد به الرسول السخاء وبسط اليد بالبذل"^٣.

ومن الإيحاء بالكناية أيضاً حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "«خِيَارُكُمْ أَلْيُنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلَاةِ»"^٤.

لين المناكب "أي ألزكم للسكينة والوقار والخشوع والخضوع"^٥، فهي كناية لطيفة في داخلها معنى عقلي يحتاج إلى الدليل الحسي ليزيد تقريراً في النفس، فالتعبير باللين في قوله: (لين المناكب) "كناية عن سهولة الانقياد وسرعة الحركة"^٦، حينما تمس يد المؤمن كتف أخيه، وتؤخره أو تقدمه أو تدعوه لسد فرجة بينهما ليكونوا في الصف كالبنيان المرصوص، وليرتسم هذا النظام في قلوبهم فيمكن من تشكيلهم في القتال بلا كلفة أو عناء.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل زينب أم المؤمنين، رضي الله عنها، رقم: ١٠١، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٠٧

^٢ ينظر: محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١٦، ص ٨

^٣ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص ٣٣.

^٤ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب تفرع أبواب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم: ٦٧٢، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٠.

^٥ محمد المناوي، فيض القدير، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٦٦

^٦ كمال عز الدين السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

ومثال ذلك أيضاً حديث طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ يَدْعُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^١.

اختلف شراح الحديث في تأويل هذا الحديث النبوي الشريف وقالوا فيه عدة أقوال هي: "أنَّ المراد من طول العنق أن الناس أكثر تشوفاً إلى رحمة الله تعالى وثوابه، لأن المتشوف يطيل عنقه لما يتشوف إليه"^٢، وقيل: "إنهم يكونون رؤساء يومئذ، والعرب تصف السادة بطول العنق، كما يقال رؤوس النواصي والصدور"، وقيل: "هم الأكثر أتباعاً"^٣، والمراد أن جمع المؤننين يكون أكثر فإنَّ من أجاب دعوتهم يكون معهم فالطول مجاز عن الكثرة لأنَّ الجماعة إذا توجهوا لمقصدهم يكون لهم امتداد الأرض. وقيل طول العنق كناية عن الفرح وعلو الدرجة، كما أنَّ خضوع العنق كناية عن الهم والهوان "فهم مستقيمون مطمئنون غير واقفين موقف الهوان والذلة ولا مهطعين أو ناكسي رؤوسهم كالمجرمين جزاء بما كانوا يعملون"^٤.

فالكناية أبلغ من الحقيقة، فالرسول أراد بها أن يُثبَّت شرف المؤذن وكرامته وعظم أجره عند الله يوم الدين، غير أنَّه ترك التعبير باللفظ الدال بالوضع عن الشرف والكرامة وعظم الأجر، وعبر عن مراده بطول العنق. وطول العنق يظهر في رفع الرأس إلى الأعلى شعوراً بكرامة المنزل وفرحاً بحسن الثواب، وقد شاع هذا التعبير في الدلالة على الشرف والكرامة فيقال لمن أنال أهله شرفاً: "أَطْلَتْ أَعْنَاقُنَا، وَرَفَعَتْ رُؤُوسُنَا، ويقال العكس للمسيء: قصرت رقبتنا"^٥.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم: ١٤، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٩٠.

^٢ القاضي عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء: مصر، ط ١، ج ٢، ص ٢٥٥، ١٩٩٨م. ينظر: القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب ميسو، ابن كثير: القاهرة، ط ١، ج ٢، ص ١٥، ١٩٩٦م. وإسحاق بن إبراهيم الختلي، الديباج، تحقيق: إبراهيم صالح الناشر، دار البشائر: لبنان، ط ١، ج ٢، ص ١٢٢، ١٩٩٤م.

^٣ القاضي عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٥٥.

^٤ نور الدين الهروي القاري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٢٢.

^٥ كمال عز الدين السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

نجد أن أسلوب الكناية في الخطاب النبوي فيه من روعة التعبير، وجمال التصوير، ما لا يدركه إلا من غاص في معانيه، فيرى أنها تمتاز بقوة التأثير. كما يجد لها جمالاً وأثراً لا يجده في التعبير الصريح، لأنها تعرض المعنى مصوراً بصورة محسوسة، فيزداد تعريفاً ووضوحاً. فتوضحه بالمبالغات الحسنة، وتعرضه مصحوباً بالأدلة والبراهين، فبذلك تكون أبلغ من التصريح، فمعناها لا يؤدي بغير لفظها، ولفظها لا يصلح إلا بمعناها.

المطلب الرابع: الإيحاء بالتعريض

يتضمن الإيحاء معنى التعريض المنافي التصريح، فله من الأثر في النفوس ما لا تبلغه الحقيقة المجردة وسنعرض لبيان معناه.

التعريض لغة: "من عرض، يعرض: ظهر عليه وبدأ، والشئ له: أظهره عليه"^١ والتعريض: خلاف التصريح، "وعرض لي بالشئ أي بمعنى لم يبينه، والمعارض من الكلام: ما عرض به ولم يصرح"^٢.

التعريض اصطلاحاً: "هو اللفظ الدال على الشئ من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعرفه بغير طلب والله إنني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب"^٣. كما "أنه الإشارة على وجه الإجمال والإيهام"^٤، وقيل في التعريض: "هو نوع لطيف في بابه، وهو عبارة عن أن يكتفي المتكلم بشئ عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه، كقول القائل: ما أقبح البخل، فيعلم أنك أردت أن تقول له: أنت بخيل"^٥ وهو "تضمن الكلام دلالة ليس لها ذكر"^٦، كما "أنه لا يلزم أن يكون نوعاً من الكناية، بل هو أعم من ذلك إذ قد يكون كنايةً ومجازاً

١ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة: عرض، ص ٦٤٧.

٢ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٧، مادة (عرض)، ص ١٦٥.

٣ ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨٦.

٤ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧١.

٥ ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤-٧.

٦ شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مرجع سابق، ج ٧، ص ٦٠.

وحقيقة^١. وقد يتحقق باستخدام التعريض عدة أغراض بلاغية، فمزيد الإخفاء يجعله أكثر قبولاً حينما يكون التصريح مثيراً للغضب أو النقد أو الاتهام.

ومثال التعريض في القرآن الكريم، قوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} (البقرة: آية ٢٥٣).

ففي عبارة "ورفع بعضهم درجات" تعريض بارتفاع محمد خاتم الرسل درجات على سائر الرسل^٢ علاوة على ذلك إن التعريض يعين صاحبه على إخفاء ما يريد من عتاب أو نقد حتى لا يفهم مراده من يقصده بالتعريض، بل يلمح له تلميحاً، ولذا كان وسيلة ناجحة يستخدمها العالم البليغ الرسول ﷺ في تقويم الصحابة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وذلك بأن يوجه الخطاب إلى غيرهم، أو أن يكون التعريض عاماً لإنكار أمر فعلوه، وذلك بما يرد فيه من زجر ووعيد وهم يسمعون.

فقد كان وسيلة أسلوبية من وسائله ﷺ يوحى من خلالها بالمعنى مريداً بذلك تحقيق غرضين، "أولهما: إفهام المقصود من الخطاب من توبيخ أو إرشاد من غير إيقاع لمرتكبه في الحرج أو الشعور بالعار، وثانيهما: تعميم الخطاب وإخراج اللفظ من إसार مناسبتة، لينطلق في رحاب المعنى في بيان يعم ويشمل السامعين من كانوا وأينما وجدوا"^٣. وقد سلك النبي هذا السبيل رافة بأتمته، واحترازا عن المخاشنة، ومن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَرَوُجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ.

١ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧١

٢ عبد الرحمن بن أبي بكر، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر، دار الكتب العلمية: لبنان، ج ١، ط ٢، ص ٦١، ١٥٠٥م.

٣ هند سحلول، ملامح الأسلوب الإيحائي في الخطاب النبوي، بحث مقدم في جامعة دمشق، مجلد: ٣٣، عدد: ١، ص ١٣، ٢٠١٧م.

فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذًا وَكَذًا؟ لَكِنِّي أَصْلِي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^١.

فالحديث يروي ما كان من بعض الصحابة الذين سألوا السيدة عائشة عن أعمال رسول الله، وقد رأوا أن حالهم تحتاج إلى مزيد من العبادة، لأنهم ليسوا كرسول الله الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فاجتهدوا في أعمال تزيدهم في رأيهم قرباً وصلاًحاً، فبين لهم رسول الله أن ما رأوه غير صحيح، وأن الخير كله في اتباع سنته، فأوحى لهم بذلك المعنى من خلال التعريض بقوله: "ما بال أقوام" موحياً أن هناك أمراً خاطئاً قد ارتكب من بعض الأشخاص، ولكنه لم يفصح عن ذكر أسماءهم رفقاً وسترًا، فهم لم يقصدوا الإساءة قط، وما فعلوا ما فعلوه إلا بدافع الإيمان والرغبة في الأجر، فراعى مقاصد الناس وبواعث أعمالهم، وهذا من حكمته ﷺ ولذلك فقد خطب خطبة لتنبههم إلى الخطأ الذي ارتكبه وإرشادهم وتوجيههم.

وهذا طريقة تربوية ناجحة، وهي عدم المواجهة بالخطأ، وقد كان النبي يتحاشى المواجهة بالمكروه، فإن وقع خطأ عرّض مباشرة بقوله "ما بال أقوام" لأن الطبع البشري لا يتحمل المواجهة، كما أن التعريض بهذه الصيغة يوحى إلى أن النهي صار عاماً وليس خاصاً بهؤلاء الأشخاص. ولا يخفى علينا حال الصحابة في هذا الحديث وشوقهم لمعرفة أولئك الأشخاص، وماذا أراد رسول الله ﷺ أن يقول في حقهم، وذلك ليتنبه من دخل في دائرتهم منهم، وينتهي عما كان عليه، ويتعظ ويعتبر من لم يدخل في صفتهم، والسعيد من اتعظ بغيره.

ومن لطيف ما جاء على هذا الأسلوب ما رواه عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَسْدِ^٢، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّتْبِيَةِ - قَالَ عَمْرُو: وَابْنُ أَبِي عُمَرَ - عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أَهْدِي لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: "مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثَهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أَهْدِي لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم: ١٤٠١، مرجع سابق،

ج ٢، ص ١٠٢٠

^٢ الأسد قبيلة من أزد شنوءة. محيي الدين النووي، ينظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ج ١٢،

ص ٤٢٢.

أَيُّهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُورٌ، أَوْ شَاةٌ تَنَعُرُ^١.

يبين النبي ﷺ طريقة من طرق الغش، وأكل الأموال المعدة للمصالح العامة بغير حق، فهذا الصحابي الذي ولّاه رسول الله ﷺ وأرسله إلى قومه ليجمع منهم الزكاة، ويعود بها إلى بيت المال، فيرجع معه كثير من الإبل والبقر والحنطة والشعير مع وفير من الهدايا، فيأخذ منه ما يشاء ويقول هذا لي، وهم يعلمون أنه لم يكن يملكه من قبل، فعلم بذلك رسول الله ﷺ "فقال له: إن هذا من حق المسلمين لا لك"^٢. وبذلك منع رسول الله ﷺ الشخص المستعمل في عمل ما أن يقبل الهدايا والعطايا حين ممارسته مسؤوليته. ولماذا يأخذ هذا المسؤول هدايا لممارسة المهمة التي يتقاضى عليها مرتباً أو أجره؟! خصوصاً أن النفوس قد جبلت على حب من أحسن إليها فلم يكن ليضمن عدم انحياز هذا المسؤول إلى الفئة المهدية فجاء الهدي النبوي لسد هذه الذريعة.

تلك هي الحقيقة التي أراد النبي ﷺ أن يبينها لنا، ولقد حقق ﷺ بهذا الأسلوب تشويق نفوس المستمعين إليه واستمالة قلوبهم، إضافة إلى جعل المتلقي مصغياً إلى فحوى الخطاب الذي يريد أن يوجهه من قوله "ما بال أقوام"، كما أن التستر على اسم الرجل وهو عارف نفسه يجعله يطمع في سماع حقيقة الانتقاد الموجه له، ويجعل المستمعين الآخرين مهتمين بما سيصدر من حكم، ويفكرون فيمن يعنى به الكلام.

ونظير ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: رخص رسول الله ﷺ في أمر، ففتنّه عنه ناس من الناس، فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب، حتّى بان الغضب في وجهه، ثم قال: "ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله! لأنا أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية"^٣.

نجد في الحديث تحذيراً واضحاً من النبي ﷺ للذين ينتزهون عن عمل رسول الله ﷺ ويعرضون عنه، ويشددون على أنفسهم توهماً أنهم بذلك يحسنون صنعاً، ويتقربون إلى الله زلفى، وذلك في قوله: "ما بال أقوام". وقد أغضب ذلك

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، رقم: ٣٤١٣، مرجع سابق، ج ٩، ص ٣٥٩

^٢ موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٧، ص ٤٤١.

^٣ مسلم بن الحجاج القشيري، في صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته، رقم: ٦٢٥٧، مرجع سابق، ج ١٥، ص ٢٥٩، كتاب الفضائل، حديث ٦٠٦٤.

النبي فذم هذا التنزه عن المباح شكاً في إباحته وحثهم على الاقتداء به، وصرح أنه ﷺ أخشى منهم لله وأتقى، وأن "التقرب إلى الله يكون بما أمر به الله، وبما جاء به رسوله لا بتكلف أعمال ما أنزل الله بها من سلطان"^١. ولا يمكن أن ننسى الأثر الكبير الذي أحدثه هذا الأسلوب في المتلقي من إثارة وشوق، ومن غير أن يلقي الحرج في نفس من وقع منه ذلك الأمر.

ومما يحسن أن يقال أن الإمام البخاري^٢ رحمه الله، قد أدرك قوة أسلوب التعريض في هذا الحديث وعرف سره، ومن ثم عقد له باباً يحمل في طياته المعنى الاصطلاحي للتعريض، وذلك حيث عنون له بقوله: "باب من لم يواجه الناس بالعتاب"^٣.

ومثل ذلك أيضاً حديث عائشة، قالت: جاءتني بريرة فقالت: كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام، أوقية، فأعينيني، فقالت: إن أحبوا أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي، فعلت، فذهبت بريرة إلى أهلها، فقالت لهم: فأبوا عليها، فجاءت من عندهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فقالت: إني قد عرضت ذلك عليهم، فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «خذيها واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق»، ففعلت عائشة ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله، فهو باطل وإن كان مائة شرط قصاء الله أحق وشروط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق»^٤.

لمح لنا رسول الله ﷺ من خلال قوله "ما بال أقوام" معرضاً بأولئك الذين يأتون بشروط تخالف كتاب الله، وبين أن هذه الشروط رد عليهم وليست بشيء يؤخذ به، فبين أن الشرط الذي يجب الوفاء به هو ما وافق كتاب الله

^١ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢٥، ص ٣٩

^٢ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ولد "١٣ شوال - ١٩٤ هـ"، أحد كبار الحفاظ الفقهاء، من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل، له مصنفات كثيرة أبرزها كتب الجامع الصحيح المشهور باسم صحيح البخاري ينظر: شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٣٩١. وينظر محمد جمال الدين القاسمي، حياة البخاري، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار النفائس: لبنان، ط ١، ص ١٣ - ٢٠، ١٩٩٢م.

^٣ محمد بن إسماعيل البخاري، ينظر: صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٥٢٩

^٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الولاء، رقم: ٢٧٢٩، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٩٢.

تعالى أي دين الله تعالى، كذلك لا يلزم الوفاء بعقد إذا لم يكن في كتاب الله، فأوحى لنا بكراهية هذا الفعل الذي جاء به من عرض بفعلتهم رسول الله ﷺ، ما جعلنا نحذر من الوقوع به، تجنباً من نكون منهم.

ومن بديع ذلك أيضاً حديث أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس فقال ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنحع أمامه أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنحع في وجهه فإذا تنحع أحدكم فليتنحع عن يساره تحت قدمه فإن لم يجد فليقل هكذا^١.

نتأمل في هذا الحديث فنجد أن فيه معنى رفيعاً وجليلاً وصل إلينا بطريقة بارعة، جعلت السامع مقبلاً ومتهيئاً لسماع ما يريد أن يقوله النبي ﷺ أياً كان نهياً أو إرشاداً أو عظة، وسلك بهذه الطريقة مسلك الإبهام في شخصية المخطئ.

فقد نهى الرسول عن التنحع في المسجد، فليست النخاعة وغيرها من الأقذار التي تعافها النفوس في الأماكن العامة مظهراً حضارياً، فكيف بهذا المكان الشريف وهو بيت الله؟، "إن هذه الخطيئة مما لا شك أنها تؤثم مرتكبها، فوقوعها في حضرة الرسول ﷺ يوجب أن ينهى عنها تبليغاً للرسالة، وحرصاً على مصلحة المسلمين"^٢. وعقب النهي الصريح الذي أتى بالتعريض، أرشد رسول الله ﷺ الذي يريد أن يتنحع إلى الطريقة السليمة لذلك وهو "أن يفعل ذلك من ناحية اليسار أو تحت قدمه"^٣، وذلك بقوله: "فإذا تنحع أحدكم فليتنحع عن يساره تحت قدمه".

ومنه قول أنس بن مالك، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم"، فاشتد قوله في ذلك، حتى قال: «لَيَنْتَهَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخَطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ»^٤.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، رقم: ٨٥٥، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٦٥

^٢ ينظر: محمد الأمين الشافعي، الكوكب الوهاج والروض البهاج شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٨، ص ١٧٠

^٣ ينظر: عبد المجيد أديميح، أساليب التشويق البلاغية، مرجع سابق، ص ٩٢

^٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم: ٧٥٠، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٠

في هذا الحديث نتبين استتكار النبي لفعل بعض الصحابة استتكاراً شديداً، وهو رفع نظرهم إلى السماء وهم بين يدي الله يصلون،" فمثل هذا الفعل ينافي الخشوع الذي أصله السكون"^١، فأراد أن يبين لهم خطورة فعل ذلك لينتهوا عنه، فربط ذلك بتهديد شديد وهو العمى، فقال: "لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم" لنلحظ أهمية الخشوع في الصلاة، والنظر إلى موضع السجود، ومن يخالف ذلك يتلقى العقوبة الشديدة وهي عدم رجوع أبصارهم. لكنه لم يبين من هو الرافع لئلاً يحزن أو يشعر بالحرج، فالنصيحة على رؤوس الأشهاد فضيحة فقال "ما بال أقوام" ليجتنب الصحابة فعل ذلك، ويستشعروا حب رسول الله ﷺ لهم، فلم يصرح باسم الجاني بل بينه للجميع من خلال الإيحاء بالتعريض.

ومنه قوله في حديث عبد الله بن عمر، وأبي هريرة: أنهما سمعا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول على منبره: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لِيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لِيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»^٢.

وفيه إشارة إلى "تحذير من ترك الجمعة إهمالاً لها مع اعتقاد وجوبها عليه"^٣.

وقد فضل بعض العلماء التعريض على التصريح، وذكروا لذلك وجوهاً نستشف ظلالها في الخطاب النبوي، أولها: أن النفس الفاضلة لميلها إلى استنباط المعاني تميل إلى التعريض شغفاً باستخراج معناه بالفكر، ثانيها: أن التعريض لا ينتهك معه بسخف سجع الهيبة ولا يرتفع به ستر الحشمة، ثالثها: أنه ليس للتصريح إلا وجه واحد وللتعريض وجوه وطرق عديدة، رابعها: أن النهي صريح يدعو إلى الإغراء بخلاف التعريض كما يشهد الوجدان^٤.

^١ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٠٩

^٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، رقم: ٤٠، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٩١

^٣ ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، مرجع سابق، ج ٨، ص ٢٠١.

^٤ ينظر: ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، مرجع سابق، ج ٦، ص ٦٧.

المبحث الثالث: الإيحاء في الوسائل الخارجية الإيضاحية:

يُعد الخطاب النبوي الشريف رسالة ذات هدف ودلالة، يؤثر في المتلقين على مر الأزمان يرشدهم ويوجههم ويعلمهم، لذا حرص الرسول ﷺ على تقريبه من العامة والخاصة، فاستخدم كل ما من شأنه أن يوضح الفكرة ويدنيه من الأذهان، فاعتمد على جانبين مهمين، صوتي، وغير صوتي، فلم يقتصر على الألفاظ والوسائل البيانية بل شمل الإشارة أيضاً، لأنها مدعاة لترسيخ المعاني في الأذهان، في كونها جامعة لوسيلتين إيضاحيتين: قول يُسمع وإشارة تُبصر. فجاءت الإشارة عن طريق لغة الجسد واستعمال الوسائل الخارجية كالرسم، مصحوبة باللفظ ووريفة له تارة، وتارة أخرى مع حذف الكلام برمته، بغية تحقيق التجاوب والتأثير المطلوب في المتلقي، وهذا ما سنسقطه على نماذج من أحاديث رسول الله ﷺ بغية الكشف عما توحى الإشارة من معاني. وتنقسم إلى عدة مطالب.

المطلب الأول: الإيحاء في لغة الجسد

إن مصطلح لغة الجسد مركب من كلمتين هما: لغة وجسد، فاللغة: "هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^١، وهي "أداة تواصل وتعبير عما يتصوره الإنسان ويشعر به، وهي وعاء للمضامين المنقولة، سواء أكان مصدرها الوحي، أو العقل، أو الحس، وهي أداة لتمحيص المعرفة الصحيحة، وضبط قوانين التخاطب السليم"^٢ و"جسد تطلق على جسم الإنسان"^٣.

وهذا المصطلح من المصطلحات الحديثة وهو نوع من التواصل غير الشفهي، وهو "الحوار النفسي الذي يجري بين الأطراف المعنية والمعاني المنقلة بينهم، لا من خلال النطق بل من خلال الصمت والملامح العامة للإنسان الصامت، كنظرات العيون وتعبيرات الوجوه وحركات الجسم"^٤.

١ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ١٧١٥.

٢ اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة، أحمد شيخ عبد السلام، دار التجديد للطباعة والنشر: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط ٢، ص ٨، ٢٠٠٦م.

٣ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٢٠.

٤ بني يونس، سيكولوجيا الواقعية والانفعالات، در المسيرة: عمان، ط ١، ص ٣٤٠، ٢٠٠٧م.

وهو "إشارات وإيماءات جسدية ترسل رسالات محددة في مواقف وظروف مختلفة، تظهر لك المشاعر الدفينة وتخرجها للسطح، فتصل من خلال معلومات وأفكار عن الشخص الآخر، بحيث لا يستطيع إخفاء الأفكار التي تدور في ذهنه"^١.

كما أنَّ الاتصال عن طريق لغة الجسد أمر لا يمكن تحاشيه فعندما لا يستطيع المرء أن يعبر عما يريد، ويظل صامتاً، فإنَّه في الحقيقة لم ينقطع عن الاتصال بل هو اتصال صامت يتم في عيون الإنسان، وتعابير وجهه، وحركات جسمه.

فمن أهم مزايا الاتصال عن طريق لغة الجسد:

• "أنه يعبر عن معلومات تتصل بالمضمون، يمكن من خلالها إيصال الحب والبغض والكراهة والاهتمام والثقة والرغبة والموافقة"^٢.

• "إن الاتصال عن طريق الجسد ينطوي أيضاً على معلومات متصلة بمضمون الرسالة اللفظية، فهو يمدنا بأدوات لتفسير الكلمات التي نسمعها وينطبق ذلك على نبرة الصوت مثلاً والتوكيد، فضلاً عن أنه يوفر المعلومات التي تفيد في فهم طبيعة العلاقة بين الأطراف المشتركة في عملية الاتصال"^٣.

كما أن الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عنه وما تغني عن الخط، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ولولا الإشارة لم يفهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة"^٤.

وقد تكون لغة الجسم أحياناً أصدق وأقوى تعبيراً عن المشاعر والأفكار من الكلام.

وقد تكون حركة الأيدي أهم من أسلوب الإلقاء، ومن المعلوم أنَّ الناس يتذكرون ما يرونه أكثر مما يسمعون، ومن هنا كان التأثير القوي للحركة، كما أن الناس تميل إلى تفسير معاني الإشارات والحركات بشكل تلقائي،

١ عبد الله عودة، الاتصال الصامت، مجلة المسلم المعاصرة: القاهرة، ص ١-٢، عدد "١١٢"، ٢٠٠٤م.

٢ سامية جابر، الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، دار المعرفة: مصر، ط ١، ص ٧٦-٧٥، ١٩٩٨م.

٣ المرجع نفسه، ص ٧٦

٤ الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٨.

مما يجعل للحركة أثراً كبيراً في إيصال الأفكار، وقد تكون الإشارة أبلغ من العبارة. وتعد اليدين إحدى وسائل التواصل مع المتلقين إضافة إلى قسمات الوجه، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض أنواع حركات الأيدي ليبين أهميتها، قال تعالى: {وَأَنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} (نوح: ٦). وقال تعالى: {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} (الكهف: ٤٢).

وإن المتأمل في الخطاب النبوي، يجد العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتمدت الإشارة الجسدية، في كونها إحدى أهم مرتكزات توضيح المعاني وتقريبها، والتعبير عن المشاعر، وإن توظيف هذه الإشارات الجسدية يمثل محوراً مهماً يدعونا إلى التوقف عنده ودراسته، وبيان الأثر الفاعل لاستخدام تلك الإشارات الجسدية في الأحاديث النبوية الشريفة.

ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو موسى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ^١.

لما كان المؤمنون يتعاقدون ويتساعدون، فتقوى شوكتهم، ويعلو أمرهم، كان ذلك مشعراً بإيمانهم، "فشبهم رسول الله بأنهم على شكل البنيان تتصل فيه كل لبنة بأختها، وأختها بأخرى وهكذا"^٢، وأراد ﷺ أن يجعل المتلقي مدركاً المقصود التربوي الذي يرمي إليه، فعزز كلامه بأن أدخل أصابع إحدى يديه بين أصابع اليد الأخرى، زيادة في الإيضاح والبيان، وتشبيهاً للمعقول بالمحسوس، فإنه لما شبك بين أصابعه أوحى لنا بالقوة والتماسك حيناً، وبالتداخل بين شيئين حيناً آخر، وبالاختلاط والاختلاف حيناً، وفيه حث المسلمين على التراحم فيما بينهم من غير إثم ولا مكروه. وقد عبر الرسول ﷺ عن ذلك باليد لأنها رمز لكل عطاء وكل خير، فهي التي تعطي وهي التي تنفق وهي التي تساعد.

^١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم: ٤٨١، مرجع سابق،

ج ١، ص ١٠٢. مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٩٩

^٢ يحيى بن محمد الشيباني ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٥٩

ولعل هذا التبليغ غير اللفظي يدوم أطول، لأن المتلقي ينتفع من الشيء المحسوس ويتجاوب معه أكثر من اللفظي.

ومن ذلك سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى^١.

نستشعر في هذا الحديث فضل كفالة اليتيم، ولاسيما حين أشار ﷺ بإصبعيه السبابة والوسطى، وذلك يعني أن كافل اليتيم مع النبي عليه الصلاة والسلام في الجنة قريب منه، وفي هذا حثٌّ على كفالة اليتيم، وكفالة اليتيم "هي القيام بما يصلحه في دينه ودنياه، بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن"^٢، وقد استعان رسول الله بحركة الأصابع تدعيماً منه للمفوض، ولما للإشارة من دور مهم في التبليغ، فهي بمنزلة رسائل ذات دلالات متعددة، وعبرها يتلقى المخاطب المعنى المقصود، فكافل اليتيم يكون في الجنة قريباً من الرسول كقرب أصبع السبابة من الوسطى، وحري بمن سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة.

وعلى غرار ذلك ما رواه أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^٣ لقد بلغت الإشارة في الحديث مبلغاً من الإفصاح والبيان لم يبلغه بيان، وفي إجماع العقول على أن العيان أقوى من الخبر دليل على أنَّ الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوى من الكلام، فهذه الإشارة في قوله: "كهاتين" يَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَمَثِيلٌ لِمُقَارَبَتِهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا إِصْبَعٌ أُخْرَى كَمَا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ لِتَقْرِيبِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُدَّةِ وَأَنَّ النَّقَاوَاتِ بَيْنَهُمَا كَنِسْبَةِ النَّقَاوَاتِ بَيْنَ الْإِصْبَعَيْنِ تَقْرِيبًا لَا تَحْدِيدًا^٤.

^١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم: ٥٣٠٤، مرجع سابق، ج ٨، ص ٩

^٢ محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن: الرياض، ط ١، ج ١، ص ٣١١، ١٩٢٩م.

^٣ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: ٤٣، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٩٢

^٤ ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٧، ص ٤٦٠. ومحیی الدین النووي، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٥٥.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ النَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^١.

إنَّ إشارة الرسول إلى قلبه قد أوحى لنا برسالة لم تكن لتصل لو كانت عن طريق القول المباشر، فبعد أن أمرنا الرسول بحفظ حقوق المسلمين وتعظيمها، وأن المسلم أخ للمسلم، وأن روابط الأخوة الصالحة هي أوثق الروابط التي تتمحي أمامها جميع الفوارق من نسب وجاه وغيرها، فلا يجب أن يظلمه أو يخونه أو يكذبه، قال عليه الصلاة والسلام "التقوى هاهنا" وأشار إلى صدره ثلاث مرات، وأما لنا بأنَّ التقوى في القلب، وأن المقصود بالإشارة إلى "العضلة الموجودة في الصدر"، وأنَّ كل تلك الأوامر السابقة يفعلها المؤمن تلقائياً إن كان قلبه نقياً ورعاً، لأنَّ القلب إذا اتقى انتقت معه الجوارح، وإذا لم يتق القلب لم تتق الجوارح، كما فيه دلالة على أن تلك العلامات ظاهرة للناس، أما التقوى فهي خفية ولا يحققها إلا المؤمن الصادق.

ومثل ذلك حديث أبي مسعود، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْإِيمَانُ هَا هُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمَنِ...»^٢. إنَّ إشارة الرسول ﷺ بيده إلى جهة اليمن، لم تترك لنا أي لبس في المراد فهذه الحركة هي تحديد جهة المكان المقصود، وإشارة تومي إلى أنَّ الإيمان موجود في تلك الناحية، كما أنَّها تفسر الدلالة وتقي بالغرض، فهذه الإشارة ردُّ على من زعم أن المراد بقوله: "يمان يعني: الأنصار، لكون أصلهم من أهل اليمن، لأن في إشارته إلى جهة اليمن ما يدل على أن المراد به من كان فيها ولو كان من غير أهلها، لا من ينسب إليها، وإن سبب الثناء على أهل اليمن هو إسراعتهم إلى الإيمان وقبولهم له"^٣.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، رقم: ٣٢، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٨٦

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم: ٤٣٨٧، مرجع سابق، ج٥، ص١٧٣

^٣ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٦، ص٣٥٢

ومنه ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: «هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ»^١.

يخاطب الرسول ﷺ أصحابه ويخبرهم عن علامات الساعة، وما سيحصل من تغيرات في العالم، إذ "إن العلم سيزول ويسود الجهل ويكثر انشغال الناس بالدنيا، ويلقى الشح في النفوس"^٢، وفي سياق حديثه ﷺ عن الأمارات يخبرهم أنه سيكثر الهرج، فيسأله أحد الصحابة، وما الهرج يا رسول الله؟ فيشير له بيده ﷺ شارحاً له المقصود بأن حرف يده الشريفة، كانت كأَنه يريد القتل، ولم يتلفظ به، فوظف يده الشريفة في توضيح المعنى للسائل، وكأنَّ الإشارة أبلغ وأكثر إفهاماً من شرح مدلولها باللفظ، فاللفظ وإن كان دالاً على المعنى فإنَّ مدلول الإشارة أرسخ في الذهن وأوثق، وبمشاهدة الأبصار إليها يستبعد نسيانها.

وقد كان لملامح وجه الرسول ﷺ تأثير كبير في الصحابة، فالملامح عادة أداة هامة لنقل الشعور من المرسل إلى المتلقي، لأنها الوسيلة الأولى للتعبير عن مكونات النفس، كما أنَّها وسيلة داعمة لإيضاح المعاني، فيحدث التبليغ والتواصل من خلالها، كالغضب والحزن والفرح والاطمئنان وغير ذلك. كما "أن إيماءة الوجه لها شأنها في تبادل أطراف الحديث متقلة بصاحبها من حال إلى حال، فمن البسط والأنس والبشر إلى القبض والحزن والكمد، ولأنَّ العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الإكرام به، قالوا: من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة"^٣.

وقد روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُؤْذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ^٤.

^١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، رقم: ٨٥، مرجع سابق،

ج ١، ص ٢٨

^٢ ينظر: يحيى بن محمد الشيباني ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، مرجع سابق، ج ٦، ص ٦٢

^٣ الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٩٩-٣٠٠

^٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم:

٣٤٠٥، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٥٧

في هذا الحديث دليل على حلم رسول الله ﷺ على من أساء إليه، عندما ذكر له قول من نعت قسمته بغير العدل يوم قسم ﷺ غنائم حنين، متخطياً حدود الاحترام مع من أحسن إليه، ومسيئاً إلى أكثر الناس إنصافاً الناس، فمن يعدل إن لم يعدل رسول الله. فغضب ﷺ، وصبر واحتسب.

ونلاحظ كيف نقل راوي الحديث ما قرأه على وجه النبي من الغضب، فكان غضبه أبلغ من العبارة، فلامح النبي هي صورة من صور التبليغ غير اللفظي، وهي دلالة تفصح عن القصد، وبذلك كانت تعبيرات وجه الرسول وملامحه مصدراً تشريعياً للناس، ويستشعر المتأمل لهذا الحديث جوانب مهمة ككظم الغيظ وعدم الانفعال، وجعل الأنبياء والصالحين أسوة في كل الأمور عندما قال ﷺ: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ". ونظير ذلك قول كعب بن مالك رضي الله عنه: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَبْزُقُ وَجْهَهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَتَارَ وَجْهَهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ^١.

لقد فهم كعب رضي الله عنه من السرور الظاهر على وجه النبي ﷺ أَنَّ هناك خبراً ساراً، وأمرأ مفرحاً، وكان ذلك "أن قبل الله توبة كعب بن مالك بعد أن تخلف عن غزوة تبوك"^٢، فكان وجهه مستيراً كالقمر لفرحه ﷺ، وفي قولهم: "وكنا نعرف ذلك منه" إشارة إلى أَنَّ الصحابة كانت تستنبط الأمور من وجهه ﷺ، وهي علامة على ما كان يحصل له من استتارة وجهه عند السرور، فغالباً ما تكون المشاعر الإنسانية مقروءة على صفحة الوجه، فقد كانت طلاقة أساريره ﷺ وسيلة مؤثرة لتوصيل الرسالة إلى المتلقي، فالابتسام والاستتار عنده ﷺ أقوى دلالة من السكوت. كما في الحديث السابق.

^١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله: {وعلى الثلاثة الذين خلفوا}،

رقم: ٤٤١٨، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣

^٢ ينظر: محمد أنور الكشميري، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية: لبنان، ج ٥، ص ١٥٤، ٢٠٠٥م.

هنا ندرك أن تعابير الوجه أحد أهم الوسائل الأساسية لإيصال المعلومات الاجتماعية بين البشر الوجه من قنوات التعبير الهامة جداً لدى الإنسان، والتي تساعده بدلاً من استخدام لغة الكلام المنطوق، إذ يمكن من خلالها إيصال كثير من المعاني والرسائل التي تكشف حقيقة مشاعرنا اتجاه موقف أو حدث معين، فالابتسامة تشير إلى القبول أو السعادة، والعبوس يشير إلى الرفض أو الحزن.

المطلب الثاني: الإيحاء في الوسائل التوضيحية

إن من وسائل تبليغ الرسالة التعليمية الرسومات والخطوط التوضيحية، فالرسم شكل من أشكال التفاهم بين الناس، وهو الأقدم بين أشكال التعبير المعروفة، كما أنه يجلو الأمر ويوضحه أتم توضيح، وإنه لمستوى عالي المهارة في الإرشاد والإبلاغ أن يكون الرسم أداة في قوم أميين، كما "أنَّ الخطوط والرموز والملاحظات تشكل لغة هندسية مرئية تستخدم للتعبير وتسجيل البيانات الهندسية بطريقة يمكن قراءتها بسهولة، لذلك ينطوي الرسم الهندسي على مواصفات واصطلاحات قياسية تساعد المشاهد على الفهم والاستيعاب"^١.

وقد استخدم رسول الله ﷺ هذه اللغة المصاحبة للألفاظ وسيلة تبليغية مع إمكانية اكتفائه بلغة الخطاب ليوصل المعنى، فكان له ﷺ فضل سبق في توظيفها لما لها من المتعة والإثارة، والتشويق اللفظي، والإدراك التام للفكرة وحفظها وترسيخها في العقول، ومن ذلك رسم المعنى المراد على الأرض، أو الاستعانة ببعض الوسائل الخارجية للتوضيح، وفي ذلك بيان غير لفظي في ظاهر الأمر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَطًّا مُرَبَّعًا، وَحَطَّ حَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَحَطَّ حُطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: " هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجْلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْحُطُّ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا"^٢.

^١ رقية بوسنان، مهارات الاتصال عند الرسول ﷺ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة: الجزائر، ص ٦٢٣،

٢٠٠٥م.

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم: ٦٤١٧، مرجع سابق، ج ٨، ص ٨٩

وظف النبي ﷺ الرسم ليوحى بالمعنى، وهذا جانب مهم في تصوير المعاني وإدخالها في أذهان السامعين بالتمثيل بالمحسوسات، فكان الإنسان هو نواة هذا المخطط يحيط به هذا المربع، وهذا المربع هو أجله، والخط الطويل الذي ذكره هو أمل الإنسان، ومن حوله على الشمال واليمين خط خططاً صغاراً، صلوات الله وسلامه عليه، "وهذه الخطوط الصغيرة هي الأعراض التي تعترى الإنسان من مرض أو من أطماع يطمعها، أو أشياء يأخذها وينالها، وأشياء لا ينالها، ولكن ما زال أمل الإنسان بعيداً يمثله الخط الطويل، حتى إذا جاء الموت انقطع هذا الخط وانقطع الأمل، فحال هذا الأجل أنه محيط بالإنسان، فلا يمكن للإنسان أن يفر من أجله أبداً إقاراً جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" (الأعراف: آية ٣٤).^٢

هذا الرسم التوضيحي قد أوضح المعنى إيضاحاً لا يرمى إليه الخطاب اللفظي، فكان نموذجاً عملياً، يجمع بين النظرية والتطبيق، وهو منهج تعليمي يربط الفكر بالعمل، ومنه يتحول القول إلى عمل، إنّه مستوى رفيع في التوجيه والإبلاغ، فيجب على الإنسان ألا يبالغ في الآمال الكاذبة، وينسى حقيقة وجوده، فالرسم يساعد على فهم المحتوى وجعله أكثر اكتمالاً بالنسبة للتبليغ اللفظي، وهو وسيلة بصرية تساعد على التفكير وإنتاج المعرفة. فبعد هذا الرسم التوضيحي الذي في الحديث، لا يمكن لأحد أن ينسى المقاصد التربوية والدينية التي رمى إليها الحديث.

ونظير ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق، داخلاً من بعض العلية، والناس كنفية. فمرّ بجذّي أسك^٣ مبيت، فتناول له فأخذ بأذنيه، ثم قال: "أَيْكُم يُحِبُّ أَنْ لَهُ هَذَا بِدَرَاهِمَ؟" فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنْهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا

١ سورة الأعراف، آية: ٣٤

٢ ينظر: الإمام البغوي، شرح السنة، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٢٨٦.

٣ الجدي هو الذكر من أولاد المعز، ويقال في جمعه أجْد، وجْداء، وجْذيان. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٤، ص ١١٢.

٣ الأسك هو الصغير الأذنين. ينظر: المرتضى الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٢٠١. وينظر: محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ١٨، ص ٢٩٤.

نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: "أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟" قَالُوا: وَاللَّهِ! لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيِّبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسْكُ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: "قَوْلَ اللَّهِ! لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ".^١

أراد الرسول ﷺ أن يبين حقارة الدنيا، وأنها ليس لها شأن عند الله عز وجل، وأنَّ المهم إنَّما هو الآخرة، فوظف لهذا المعنى هذا المشهد الذي مر به هو والصحابه الكرام، وهو الجدي الميت المطروح على الأرض، فسألهم مستفهماً مرتين: مرة بقوله: (أَيْكُم يَحِبُّ أَنْ لَهُ هَذَا بَدْرَهْم)؟ ومرة بقوله: (أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ)؟ استفهماً تشويقياً مثيراً للدهشة، وداعياً إلى التأمل والاعتبار، وقد "تضمن الحديث" تنبيهاً منه على إلقاء السمع وشهود القلب لما يعني به من الخطب الجليل وهوان الدنيا، ليوطن ذلك في قلوبهم مزيد توطين، ويقررهم تقريراً بعد تقرير^٢.

ف نجد أن المتلقين قد أجابوه عقب هذا السؤال أَنَّ الجدي لا يساوي عندهم شيئاً، ولأنَّ فيه عيباً فهم زاهدون فيه، فكيف وهو ميت، فهذا يجعله أهون لآئه عديم الفائدة، فيبين لهم ﷺ بعد ذلك الحقيقة التي أراد أن يعلمها إياهم وهي أن الدنيا بما فيها أهون على الله من هذا الجدي الذي استهنتم به، ولا أحد يريده، فتبين لهم أَنَّهُ لا ينبغي للإنسان أن يغتر بالدنيا ويفرح بها، بل يجب أن يسعى إلى الآخرة فهي خير وأبقى.

اتضح لنا مما تقدم أَنَّ الإيحاء الذي يتم عن طريق الرسم والوسائل الخارجية، يؤدي إلى إيصال الرسالة، ويدعم عملية التبليغ، إذ يستطيع المتكلم تجسيد المفاهيم بطريقة بصرية ترسخ المعلومة في عقول المتلقين، وتساعد على التواصل مع الآخرين، والتأثير فيهم بطريقة إيجابية، كما يعمل على جذب المتلقي، وينمي الناحية الجمالية في نفسيته، ويحصل على الإثارة والمتعة والتشويق والإدراك التام للفكرة، وحفظها.

^١ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حدثنا قتبية بن سعيد، رقم: ٧٣٤٤، مرجع سابق، ج ١٨، ص ٢٩٤-٢٩٥.

^٢ شرف الدين الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، مرجع سابق، ج ٩، ص ٢٨٥.

الفصل الثالث: أثر دلالة الإيحاء في قوة التبليغ

ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: حسن الإيجاز وتكثيف المعنى

المبحث الثاني: التلطف والتهذيب في العبارة وأثرها الاجتماعي

يمثل الرسول ﷺ من خلال خطابه النبوي نموذجاً رفيعاً في التواصل بكل أساليبه الموحية التي تحقق الهدف من العملية التواصلية، فكان النبي ﷺ يتخير من أنماط الإيحاء ما يتطابق مع ماهية ونوعية الرسالة المرتبطة بها مادة وشكلاً، ويتناسب مع الوضع القائم في دعوته، فهي دعوة هادفة لها غاية، وهي تبليغ الناس الإسلام، ورسالة خالدة اصطفى الله سيدنا محمد ﷺ لتبليغها، وأيده بتلك المعجزة الباهرة في الفصاحة والبلاغة، وهذا ما أسهم في قوة التبليغ فجعله قادراً على التأثير في المتلقين، والتفاعل معهم عبر مختلف العصور، فالقدرة النبوية قادرة على احتواء المعاني العظام بأيسر عبارة وأوجزها، فقد اختصر له ﷺ الكلام اختصاراً، وهذا ما نجده في تكثيف المعنى وحسن الإيجاز المتمثل في كل أحاديثه فكل كلامه ﷺ يصلح شاهداً إضافة إلى ما سبق ذكره في الفصول السابقة، وفي هذا الفصل سأستأنس بما يظهر ويجلي أثر الإيحاء في الجوانب الكلامية عند النبي ﷺ عامة.

المبحث الأول: حسن الإيجاز وتكثيف المعنى، وأهم أقسامه

المطلب الأول: مفهوم الإيجاز لغةً واصطلاحاً

أولاً: مفهوم الإيجاز لغةً:

الإيجاز فن من فنون البيان، وركن من أركانه الأساسية، ويستمد أهميته وقيّمته من الوظائف والغايات التي يهدف إليها، وهذا ما جعل القدماء يلتفتون إليه، وأفاضوا في الحديث عنه وعن معناه، فقالوا: "وجز: وجز الكلام وجازةً ووجزاً وأوجز أي قل في بلاغةٍ، وأوجزه: اختصره"^١. "والشيء الموجز، كالواجز، والوجيز، وقد وجز في منطقة أي خفف، وتوجز الشيء: تنجزه والتمسه"^٢. "وموجز ووجز فهو وجيز أي قصير سريع الوصول إلى الفهم، ويتعدى بالحركة والهمزة فيقال: جزته من باب وعد وأوجزته"^٣. كما أن "الإيجاز هو التقصير"^٤. "والوجز من الرجال: السريع الحركة فيما أخذ فيه، والسريع العطاء، والخفيف من الكلام والأمر"^٥. أما "الميجاز: فهو الذي يوجز في الكلام والجواب"^٦، وفي الحديث قال ﷺ: إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ أَي أَسْرِعْ واقتصر"^٧، وكلام وجيز: "أي خفيف مقتصد"^٨.

ثانياً: الإيجاز في اصطلاح البلاغيين:

لا يخفى على الباحثين في الإيجاز ما كان عليه البلاغيون والمفسرون، إلى جانب ما بذله الأدباء واللغويون، من جهد عظيم بغية الوقوف على الحدود البلاغية والاصطلاحية لهذا الفن حتى استقر بدلالته عند المتأخرين

١ الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ج ١٥، ص ٣٦٨

٢ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٥٢٢.

٣ أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، مكتبة لبنان: لبنان، مادة "وجز"، ط ١، ص ٢٦٤، ١٩٨٧م.

٤ سعد الدين بن عمر التفتازاني، شروح التلخيص، دار السرور: بيروت، ط ١، ج ٣، ص ٧٩٢، ٢٠٠٩م.

٥ أحمد رضا، معجم متن اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار مكتبة الحياة: بيروت، ط ١، ج ٥، ص ٧١٠، ١٩٥٨م.

٦ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٥، مادة "وجز"، ص ١٥٨

٧ عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، كتاب الواو، باب: الواو مع الجيم، دار الكتب العلمية: لبنان، ط ١، ج ٢، ص ٤٥٥، ٢٠٠٤م.

٨ أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مرجع سابق، ص ٢٦٥

منهم.

ومن هؤلاء الأوائل من أفرد باباً في ذكره، يشير به إلى أهمية الإيجاز وفضله، ووظائفه وما قيل فيه، فيذكر أن الإيجاز هو قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضلٌ داخل في باب الهذر والخلل، وقيل في تفضيله: "إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا"^١، وقيل: "إنَّ الإيجاز يسمى الإشارة"^٢. ففي الإيجاز والفصاحة تتحقق إثبات القدرة، وهذا ما جعل كثيراً من الكتاب والعلماء يفضلون الإيجاز في كتبهم، وخير مثال "كتاب الخلاصة الألفية في علم العربية، كتابٌ صَغُرَ حَجْماً وَغَزَرَ علماً، غير أنَّه لإفراط الإيجاز قد كاد يُعَدُّ من جملة الألفاظ"^٣. وأحدهم كان لا يورد الكلام كاملاً، وإنما يختصره اختصاراً، ويؤمى إلى المعاني إيماءً لطيفاً، وغايته الإيجاز. وقيل في الإيجاز: "إنَّه شرط من شروط بلاغة الكلام، فهو يعبر عن المعاني الغزيرة بالألفاظ القليلة، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه"^٤.

ومن أمثلة الإيجاز قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (الزمر: ٧٣). كأنَّه يريد "لَمَّا كَانَ هَذَا كُلُّهُ حَصُلُوا عَلَى النِّعَمِ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ كَدْرٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْفَافِ، وَلَمْ يَقُلْهُ"^٥، وفي هذا الحذف فائدة، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ورد ظاهراً في الكلام لاقتصر به على البيان الذي تضمنه، فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلة، فالقصد "الإيجاز فيما وقع فيه حذف كثير"^٦. وعرف الإيجاز أيضاً فقيل: "هو أن تحيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ"^٧.

ولا يتحقق كمال القول به إلا بالإفادة والوضوح، أي أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير دلالة واضحة

١ أبو هلال العسكري، الصنائع الكتابية والشعر، مرجع سابق، ص ١٣٧.

٢ الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ٤٦٣.

٣ جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، مكتبة القرآن: القاهرة، ط ١، ج ١، ص ١٠، ٢٠٠٢م.

٤ الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩.

٥ عائشة محمد علي، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، دار المعارف: القاهرة، ط ٣، ص ١٠٥، ١٩٧١م.

٦ عبد الله بن محمد خفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: لبنان، ط ١، ج ١، ص ٢٠٩، ١٩٨٢م.

٧ عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩.

ظاهرة، فلا تكون الألفاظ لكثرة إيجازها قد أخفت المعنى وأبعدته، فيحتاج فهمها واستخراجها إلى قليل من التأمل وتعميق الفكر، فإن هذا عيب في الكلام وضعف. فالإيجاز ليس بمستحب في كل موضع، ولا بمتخير في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، ولو كان الإيجاز مستحباً في كل الأحوال، لفضله الله تعالى في القرآن، ولكنه لم يفعل ذلك، فأطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرر تارة للإفهام. كما عرف الإيجاز: "بأنه تهذيب الكلام بما يحسن البيان به، أو تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن^١، وكما يجب على البليغ في مظان الإيجاز أن يوجز، فكذاك وجب عليه في موارد الإطناب أن يطنب، ولأن الإيجاز من أعظم قواعد البلاغة وأهمها، تغيرت نظرة المحدثين لهذا النوع البلاغي، وتطورت رؤاهم الجمالية لهذا الصنف التعبيري، فقالوا في الإيجاز: "إنه شحن للألفاظ بأكبر قدر من المعاني، ولا يكفي بما تدل عليه الألفاظ والتعابير من معنى حقيقي واضح الحدود في أذهان الناس، بل يستغل إلى أبعد حدود الاستغلال ظلال المعاني، وما تبعث به العبارات إلى الذهن من صور وأفكار ومفاهيم ذات الأثر الشديد في النفوس، من صور يشتغل بها الذهن، ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون ثم تنتشعب إلى معانٍ آخر يتحملها اللفظ بالتفسير والتأويل"^٢.

ومن ذلك كله نرى أن الإيجاز سمة من سمات الأدب الرفيع البعيد عن اللغة العادية المستعملة فهو باب رفيع المستوى، دقيق المأخذ، وله موقع هام من الكلام لأنه يعد دعامة من دعائم القول التي لا غنى للمتكلم عنها حتى يرقى بكلامه إلى أعلى المراتب بيانا وأسماءها منزلة، وهذا ما سنتطرق إليه في الحديث عن الخطاب النبوي الذي يكون الإيجاز سمة من سماته، ومنحى من مناحي بلاغته الذي شهد به المنصفون من العرب والعجم، حتى كان الخطاب النبوي في لغته وأسلوبه وبيانه دافعاً إلى كثير من الدراسات قديماً وحديثاً.

١ الرمانى الخطابي الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زعلول سلام، دار المعارف: القاهرة، ط١، ص٨٠، ٢٠٠٧م.

٢ إبراهيم أنس، من أسرار اللغة، المكتبة العصرية، القاهرة، ط٧، ص٣٣٦-٣٣٧، ١٩٩٤م.

المطلب الثاني: أنواع الإيجاز ومكانته عند العرب

أولاً: إيجاز القصر:

وهو "تقليل الألفاظ وتكثير المعاني"^١. وقيل: "هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف"^٢. وقيل أيضاً: "هو الذي لا يمكن التعبير عن معانيه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها"^٣. وهذا النوع هو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً وأعوزها إمكاناً، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء فإنما يوجد شاذاً نادراً. ومما ورد من إيجاز القصر في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: آية ٨٧)، إن جملة (القصاص حياة) من أبدع وأتقن إيجاز القصر الذي لا حذف فيه، إنما فيه حسن انتقاء الكلمات، مع إتقان الصياغة، فهي قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، فمعناه "أنه إذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل، فأوجب ذلك حياة للناس"^٤.

كما نجد إيجاز القصر يختص بجوامع الكلم "الذي تختار فيه الكليات العامة، بدلالاتها الشاملات، وتكون عباراته بوجه عام مما لا ينطبق عليها عنوان "المساواة" فإيجاز القصر قد يفيض بمعان كثيرة، تحتاج شروحاً وتفصيلات بكلام كثير جداً"^٥.

-
- ١ سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، تحقيق: ماهر عثمان، دار الفكر: لبنان، ط١، ج١، ص١٦٢، ١٩٩٠م.
 - ٢ حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، مرجع سابق، ج٢، ص١٣١،
 - ٣ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية: لبنان، ط١، ج١، ص١٧٦، ٢٠٠٩م.
 - ٤ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب: القاهرة، ط٣، ج٣، ص١٨٥، ١٩٧٤م.
 - ٥ عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية، مرجع سابق، ص٢٠.

فما ورد من إيجاز القصر في أحاديث الرسول قوله ﷺ: {كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً}¹، وقوله: {إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الْفَرَعِ}²، وقوله: «حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمِي وَيُصِمُّ»³، وقوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»⁴.

ثانياً: إيجاز الحذف:

عرفه البلاغيون بأنه: "ما يحذف منه المفرد والجملة، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه"⁵. وقيل في وصف هذا الأسلوب: "أنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطرق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تتب، وهذه جملة قد تتكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنتظر"⁶. وإيجاز الحذف هو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة، وذلك بحذف شيء من التراكيب، مع عدم الإخلال بتلك المعاني، ولا بد في كل حذف من وجود أمرين: داع يدعو إليه، وقرينة تدل على المحذوف وترشد إليه وتعينه⁷. وهذا النوع من الكلام شريف "لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة، من سبق إلى غايتها وما صلى، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى، وذلك لعلو مكانه وتعذر إمكانه"⁸.

وقد مُدح الحذف الذي في موضعه الصحيح من قبل السابقين من النحاة واللغويين، وكانت العرب تستعمل الحذف للإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالماً بمرادها فيه.

١ محمد بن سلامة القضاعي، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة: لبنان، رقم: ١٤٠٩، ط ١، ج ٢، ص ٣٠٢، ١٩٨٥م.

٢ جلال الدين السيوطي، جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده، تحقيق: عباس أحمد صقر، دار الفكر: لبنان، رقم: ٣٦٠٦٨، ط ١، ج ٣٣، ص ٢٠٥، ١٩٩٢م.

٣ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، باب: حديث أبي الدرداء، رقم: ٢١٦٩٤، مرجع سابق، ج ٣٦، ص ٢٤.

٤ المرجع نفسه، لا يوجد باب وكتاب، رقم: ٢٤٢٤، ج ٣، ص ١٠٦.

٥ ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٨.

٦ الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ١٠٤.

٧ بيسوني عبد الفتاح، علم المعاني، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

٨ ابن الأثير، المثل السائر، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٤.

مكانة الإيجاز عند العرب:

قيل في وصف كلام العرب: "كل شيء للعرب وإنما هو بديهة وارتجال، وكأنَّه إلهام، وليست هنالك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكره، ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني أرسالاً، وتنتال عليه الألفاظ انشياً، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحداً من ولده، وكانوا أميين، لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وأقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه في البيان أرفع، والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر، وليس هم كمن حفظ علم غيره، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، من غير تكلف ولا قصد".^١

وكان الشعراء العرب حريصين على الإيجاز في أشعارهم، حيث كان الإيجاز فضيلة مشهورة في لغتهم، وهم يعتزون بذلك كل الاعتزاز، ويفخرون به كل الفخر، وذلك مع اتساع اللغة العربية وما تحتويه من علوم زاخرة، وكانوا يفخرون بالإيجاز ويجعلون البلاغة فيها.

المطلب الثالث: أثر الحذف في قوة الإيحاء بالمعنى

مما لا شك فيه أن حديث رسول الله ﷺ يتربع على قمة البيان البشري، فقد خرج من مشكاة النبوة على لسان من اختصر له الكلام اختصاراً، وآتاه الله سبحانه وتعالى جوامع الكلم، وخصه بموهبة البيان، فهو في أعلى درجات البلاغة، وتتحقق فيه كل خصائصها، ومن هذه الخصائص خصيصة الإيجاز، فكان ﷺ يرسل اللفظ القليل الذي يحمل المعاني الكثيرة في بلاغة وإشراق، يشهد لهذا قوله ﷺ عن نفسه "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ"^٢، وهذا هو الطابع الغالب على البلاغة النبوية، وذلك لما مُنح رسول الله ﷺ من كمال العقل، وغلبة الفكر على اللسان، فقل كلامه وتنزه عن الخطأ، وبرئ من التطويل والتعقيد. فكلامه ﷺ هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، بأسلوب محكم من دون تكلف، وهو الكلام الذي يأخذ بمجامع القلوب، ويأسر الأرواح. والمتأمل في الأحاديث

١ الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٤

٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، رقم: ٧٠١٣، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٠٨٧

النبوية المشتملة على الإيجاز يجد أنها تسمو بنمط عالٍ في أسلوب التعبير، أسلوب يحقق أسمى ما حاول علماء البلاغة أن يصوروه في كتبهم، نجد فيها أَنَّ الرسول ﷺ قد استغنى بالإشارة والتلميح عن التصريح والإطناب، فحذف وأوجز ﷺ وأشار إلى المعنى إشارة، وذلك لِمَا للإشارة من بلاغة وأثر إيحائي، فقد قيل: "إِنَّ الإشارة من أصناف الدلالات على المعاني"^١، فقد قال الشاعر: يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وتَارَةً * وَحَيِّ الْمَلاحِظِ خَشْيَةً الرُّقَبَاءِ، أي: يخطبون تارةً خُطْباً طَوَالاً، إذا كانت حال المخاطبين تقتضي الإطالة، ويوجزون خطبهم تارةً أخرى إيجازاً يشبه وَحْيَ المَلاحِظِ^٢. وقيل: "ورأينا الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكي جعله مبسوطاً وزاد في الكلام"^٣.

تشكل الخطاب النبوي في أطر متعددة لكنّه كان إيحائياً، ولم يخرج في سائر مظاهره عن الإيجاز واللّمحات الخاطفة، فأسهم كل من الحذف والقصر وما فيهما من طاقة تعبيرية وقدرة على تأدية المعاني، وما تحويه من تشويق وإثارة في التشكيلات الأسلوبية الإيحائية.

ومن ذلك ما رواه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمُنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^٤.

هذا الحديث من الأحاديث الهامة التي يقوم عليها مدار الإسلام، وقيل: "ليس أجمع وأغنى فائدة من هذا الحديث، كما قيل: إِنَّهُ يَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ عَلَى إِرَادَةِ التَّكْثِيرِ"^٥.

قال العلماء: هذا الحديث نصف العبادات، لأنه مَيَّزَ الأعمال الباطنة، ففي قوله ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) هذا

١ الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٦

٢ أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، مرجع سابق، ص ٥٨.

٣ عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٤

٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم: ١، مرجع سابق،

ج ١، ص ٧٠.

٥ ينظر: شمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد عبد اللطيف، دار إحياء التراث

العربي: لبنان، ط ١، ج ١، ص ١٧، ١٩٣٧ م.

التركيب يفيد الحصر، أي إن كل عمل لا بد فيه من نية، فُصِّرت الأعمال في العبارة النبوية على النيات، فلا بد لكل عمل يعمل به الإنسان -وهو عاقل مختار- من نية، كما أنه ﷺ لم يقل: (إنما الأفعال بالنيات) "لأن الأفعال لا تتكرر فتكون لمرة واحدة فقط، ولا يكون مقابلها أجر أو ثواب، أما الأعمال فهي أعم من الأفعال وأكثر شمولية"^١، ويندرج تحتها العبادات التي يقوم بها الإنسان بشكل مستمر مقابل الأجر والثواب من الله تعالى. ونجد في الحديث إحياء بأهمية النية والحث على الإخلاص فيها، وذلك حين أوجز ﷺ بقوله: "إنما الأعمال بالنيات" فلفظ الأعمال في الحديث عام يشمل جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان، والتي نحتاج كثيراً من المجلدات، وبذل الوقت والجهد إذا أردنا ذكرها، وليس غرضنا هنا توجيه ذلك ولا بسط القول فيه.

ففي الحديث إشارة وإيماء "أن النية تتنوع كما تتنوع الأعمال"^٢، كما أننا نجد من بلاغة سيدنا محمد إتيانه بما يسمى في علم البديع التقسيم بعد الجمع والتفصيل، وهو قوله: "فمن كانت هجرته إلى دنيا..." فقد جمع الحديث بقليل من الكلمات الموحية كل أمور الدنيا.

ومن ذلك أيضاً ما روي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»^٣.

جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ في هذا الحديث كل أمر الآخرة، ففي هذا الحديث ميزان للأعمال الظاهرة، كما أن في الحديث السابق ميزان للأعمال الباطنة. والإحداث في أمر النبي ﷺ، في قوله: (من أحدث) "هو اختراع شيء في دينه بما ليس فيه، مما لا يوجد في الكتاب والسنة"^٤. فهذا الحديث يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشرع فهو مردود، والمراد بأمرنا هنا الدين والشرع، ففيه تلميح وإشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة، فتكون بذلك أحكام الشريعة حاكمة عليهم بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جارياً تحت أحكام

١ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

٢ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦.

٣ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح، رقم: ٢٦٩٧، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٨٤.

٤ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٢٧٤.

الشريعة موافقاً لها فهو مقبول.

اشتمل هذا الحديث وهو من جوامع كلمه ﷺ على قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام نستلهمها من خلال هذه الكلمات القليلة التي توحى بالمعاني الكثيرة، في رد المحدث والمبتكر كله، وهذا الحديث مما يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال جميع المنكرات. كما نستوحى منه "الاهتمام بالدين، والنهي عن الفساد والبدع، والالتزام بالإخلاص والاعتصام بالكتاب والسنة، فهما شرط لكل قول وعمل"^١.

ومنه ما رواه تميم الداري أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^٢.

في هذا الحديث نحن أمام عجيبة من عجائب جوامع الكلم، فقد عبّر عن المعاني الغزيرة، بكلمتين في غاية السهولة والإيجاز، فعندما يُسأل أحدهم عن معنى الدين قد يتكلم لساعات ولا تكفيه الخُطب والعبارات وهو يشرح ما هو الدين، ولكنه ﷺ أجاب بكلمة واحدة كانت جامعة لكل المعاني والمقاصد، كلمة بمعنى مئة كلمة، وهي النصيحة، وهنا يوحى لنا ﷺ بأهمية النصيحة ومقامها في عماد الدين وقوامه، بل هي الدين كله أصوله وفروعه وآدابه، والنصيحة: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلًا، فعبارة "الدين النصيحة" كانت في غاية الإيجاز والاختصار، "وأصل النصيحة مأخوذ من نصح الرجل ثوبه إذ خالطه بالمنصَح، وهي الإبرة. والمعنى أَنَّهُ يُلْمُ شَعَثَ أَخِيهِ بالنصح كما تلم المُنْصَحَة"^٣، ومنه "التوبة النصوح كَأَنَّ الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه، والنصيحة من وجيز الأسماء، ومختصر الكلام، فهي توحى بكثير من المعاني والأفكار، وليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي معناها، وما جمعت من خيري الدنيا والآخرة"^٤، يطول الحديث إذا أردنا أن نذكر بعضاً من وجوه النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين، لذا سنذكر بعضاً منها لبيان بلاغة رسول الله ﷺ وبراعته في الإيجاز، وما ينطوي عليه من إحياء مبطن، "أما النصيحة لله تعالى: فهي توحيده ووصفه

١ نور الدين الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢١

٢ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أَنَّ الدين النصيحة، رقم: ٢٣، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٤

٣ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٢، مادة (نصح)، ص ٦١٥

٤ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٢١

بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها، وتجنب معاصيه والقيام بطاعته، والحب فيه والبغض فيه، وأما النصيحة لكتابه: فبالإيمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، والنصيحة لرسوله ﷺ: الإيمان بما جاء به وتوقيره، وتبجيله والتمسك بطاعته، والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، والدعاء لهم بالتوفيق^١، ودفع الأذى والمكروه عنهم، وإيثار فقيرهم وتعليم جاهلهم، ورد من زاغ منهم عن الحق من قول بالتلطف في ردهم إلى الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحبة إزالة الفساد وغير ذلك من النصائح الشيء الكثير، وقد ذكر تفصيل ذلك في كتب الشروح بما يتجاوز عشرات الصفحات كما نجد في هذا الحديث إثارة وتشويقاً للمتلقين، وذلك حينما ذكر رسول الله ﷺ " الدين النصيحة" في أول الحديث، ثم فسرهما بعد سؤال الصحابة.

ومن لطيف ذلك ما رواه أبو هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَزَكُّهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»^٢.

يتجلى الإيحاء بالمعنى في هذا الحديث من خلال أمرين أولهما الإيجاز بالقصر، حينما قال ﷺ: "من حسن إسلام المرء" لاسيما وأنَّ الإسلام يتضمن العديد من الأوامر والنواهي التي يجب على المرء أن يلتزم بها أو ينتهي عنها، والثانية حينما أوجز "حسن الإسلام بترك ما لا يعني المرء وما لا يهمه من شؤون الدنيا سواء من كلام أو فعل، فمن يقرأ القسم الأول من الحديث "من حسن اسلام المرء"، يظن أو يتوقع أنَّ الجواب الذي هو تنمة الحديث قد يكون جملة من الأفعال والأعمال التي يجب على المرء أن يقوم بها ليصل إلى مرتبة حسن الإسلام، بينما الأمر لا يقتصر إلا على ترك المرء ما لا يعنيه من الأشياء، فأوجز ﷺ شيئاً عظيماً، وهو حسن الإسلام بأمر قد يكون هيناً يستطيع أي شخص عاقل لديه إرادة وأخلاق أن يقوم به.

فهذا الحديث معيار وعلامة يُعرف بها حسن الإسلام من ضده في زمن تزاحمت فيه الواجبات، واختلطت الأولويات فكانت الخطوة الأولى هي تركيز الاهتمام فيما ينفع، وترك كل ما لا يعني، وهو ملحظ تربوي مهم،

١ ينظر: محيي الدين النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٧

٢ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب، رقم: ٢٣١٧، مرجع سابق، ج ٤، ص ٥٥٨.

وقد جمع الحديث معاني عظيمة لا غنى للمسلم عن فهمها وامثالها، وهو أصل عظيم من أصول الأدب، فجمع الورع كله في هذا الحديث، إذ وضع للعبد قاعدة عظيمة فيما يأتي وما يدع، وفيه تنبيه على الركن الأول في تركية النفس وتربيتها، وهو جانب التخلية بترك ما لا يعني الذي يلزم منه الركن الثاني، وهو التحلية بالانشغال بما يعني. ونستوحي منه أيضاً أن حسن الإسلام متفاضل، فليس الجميع على مستوى واحد، ونستخلص من الحديث كثيراً من الفوائد التي جمعها رسول الله ﷺ بإيجاز، فمنها أهمية حفظ الوقت، ودم الاشتغال بما لا يعني، ففي ذلك استقامة أمره.

ومنه أيضاً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^١.

نستعرض في قوله ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " صورة من صور الإيحاء بالقصر، حيث قصر ﷺ الإيمان بالله واليوم الآخر بقول الخير، واختص قول الخير من بين أنواع الكلام الأخرى المتضمنة في معناها الخير والشر، وذلك حينما قال: "فليقل خيراً أو ليصمت"، إحاءً منه بأهمية الكلمة الطيبة، وعظيم أثر اللسان، فهو أكثر الجوارح فعلاً، في كونه يوقع الإنسان بالمعاصي والمهلكات إن تكلم بالشر، أو يسوق له الخيرات والحسنات إن تكلم بالخير، لذلك أذن الرسول ﷺ بالكلام بكل ما فيه خير من الأقوال على اختلاف أنواعه وما يؤول إليه، وأمر بالصمت عند قول الشر أو ما يؤول إليه.

نستوحي من هذا الإيجاز "خيراً أو ليصمت" أن أنواع الكلم الطيب وجميع أحوال الصمت الفاضلة كثيرة، لا يحصي عدده إلا الله، ولا يمكننا أن نستعرض نماذج منها، إلا بعد أن نكتسب دربة على الجمع والتفقه الكبير، فالحديث قد جمع كثيراً من آداب الخير التي يحتاج تفصيلها إلى الوقت الكبير.

ومنه قول ابن عباس، قال: كُنْتُ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ،

١ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته بنفسه، رقم: ٦١٣٨، مرجع سابق،

احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^١.

استجلب لنا ﷺ في قوله: "إني أعلمك كلمات إلى أذهاننا" فُصُولًا مُفِيدَةً فِي دَفْعِ اللَّأْوَاءِ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ وَالْإِلَآءِ^٢، لو وقفنا على كل كلمة فيها لوجدناها شُرحت بأبواب كاملة في كتب الشروح أدرجت تحت عنوان المراقبة والإحسان والتوكل، لكنه ﷺ أوجزها بكلمات بسيطة جعلها مقدمة يسترعي بها سَمْعَ المتلقي ليفهمه ما يريد ويوقع في نفسه الأثر الكبير.

فحين قال "احفظ الله يحفظك" ابتغى من ذلك معاني كثيرة منها "احفظ أمر الله واتقه، فلا يراك حيث نهاك، واحفظ حدود الله ومراسمه التي أوجبها عليك، فلا تُضيع منها شيئاً، فإذا فعلت ذلك حفظك الله في نفسك ودينك ودنياك"^٣، والحديث في ذلك يطول، وهذا من أبلغ العبارات وأوجزها في هذا المعنى.

ومنه أيضاً ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^٤.

يوحى لنا هذا الحديث بأن النبي ﷺ سيعدد كثيراً من الصفات الحميدة، التي تلخص معنى المسلم الحقيقي حينما بدأ الحديث بتعريف المسلم، بقوله ﷺ: "المسلم" لكنه أوجز معناه الحقيقي بصفة واحدة؛ وهي أن يأمن الناس أذية لسانه ويده، فقصر كل معاني الإسلام على اللسان واليد. وخص ذكر اللسان دون غيره من الجوارح لأن الإنسان يحاسب على ما يصدر منه، فأكثر الذنوب تكون بسببه، كما قدم ﷺ اللسان على اليد، لأن الأذى

١ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، كتاب مسند بني هاشم، باب كلمة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي، رقم: ٢٧٦٣، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٩.

٢ سليمان بن عبد القوي الطوفي، التعيين في شرح الأربعين، تحقيق: أحمد حاج محمد عثمان، مؤسسة الريان: لبنان، ط١، ج١، ص١٦١، ١٩٩٨م.

٣ محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الرومي، شرح مصابيح السنة، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر: لبنان، ط١، ج٥، ص٤٣٩، ٢٠١٢م.

٤ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقم: ٦٤٨٤، مرجع سابق، ج٨، ص١٠٢.

باللسان يشمل الغيبة والنميمة والسب والشتم والكلام المسيء للأشخاص على اختلاف مستوياتهم ونوعياتهم ومعرفتهم، سواء كانت في الماضي أو الحاضر أو المستقبل أما اليد فالإيذاء بها خاص بالموجودين فقط، إلا إذا كان عن طريق الكتابة.

وتكمن بلاغة الرسول ﷺ في اقتصاره على ذكر اليد، لأن أغلب الإيذاء يحصل باليد، ففيها يتم البطش والقطع والوصل والأخذ والمنع، لذلك قيل لكل عمل وإن كان بغير اليد: "هذا مما عملته أو جنته أيديهم" وبلاغة التعبير باليد، يُدْخِلُ اليد المعنوية كالاستيلاء على حق الآخرين بغير الحق؛ لذلك كانت اليد تطلق على كل فعل ينسب إليها.

كما يتوقع السامع حين قال الرسول ﷺ: "والمهاجر" بأنه سيتناول كثيراً من المزايا والصفات التي تعلي من شأنه، لكنه ﷺ اختصر كل ذلك بصفة واحدة "هي هجران المعاصي، وكل ما نهى الله عنه"، وذلك بقوله: (من هجر ما نهى الله عنه).

فالحديث جمع بين المحافظة على حقوق الله تعالى وحقوق عباده، ومن عمل بما دلّ عليه الحديث أتى بجوهر الدين، وفيه من المعاني والقيم ما يطول به الكلام.

المبحث الثاني: التلطف والتهذيب في العبارة وأثرها الاجتماعي

المطلب الأول: تعريف التلطف في العبارة وحسن التهذيب:

تعددت المصطلحات الدالة على هذه الظاهرة، فسمّاها بعضهم "حسن التعبير"، أو "تلطيف العبارة"، وسمّاها بعضهم "المحذور اللغوي" أو "الامساس"، فالتلطف جاء لعلاج الحظر اللغوي في المجتمع، "فالمحذور اللغوي هو الممنوع من الكلام، والتلطف هو المقبول من الكلام، فهو تحسين لفظي له، ويستخدم التلطف مع الأشياء المبجلة والمعظمة"^١، والأشياء التي يود طرحها بطريقة تجذب إليها المتلقي وتجعله لا يقف منها موقف الرفض، "فلا يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود أمور وأشياء يعاب التصريح بها، كما لا يخلو مجتمع إنساني من تحريم موضوعات معينة ومن تجنب بعض العبارات والكلمات المتعلقة بهذه الموضوعات"^٢، إذ توجد في بعض اللغات حساسية نحو ألفاظ معينة ربما ارتبطت ببعض المعاني التي لا يحسن التعبير عنها بصراحة، لذا تتجنبها وتستعمل بدلاً منها ألفاظاً أخرى أقل صراحة، "ويوصف اللفظ المتروك أو المقيد الاستخدام بأنه من ألفاظ الإمساس، ويوصف اللفظ المفضل بأنه من باب التلطف في التعبير"^٣، فبعض الكلام لا يليق النفاذ به في العرف الاجتماعي لتعبيره الصريح عن معاني مستهجنة تنفر منها الطباع، وتأبى الأذن سماعها، وتكرها أذواق ذوي الفطرة النقية التي لا ترضى إلا خير الكلام ومهذبه، كما أن للكلام من النفوذ والسلطان على النفوس ما يجعل كل فرد من أفراد الجماعة اللغوية تنطق ببعض الكلمات طلباً للقوة والحماية، وتتجنب بعضها دفعاً للأذى والضرر، وكم من كلمة أسعدت هذا، وكم من كلمة أشقت ذاك، وكما يقال: "ومن الكلام ما جرح" والجرح هنا جاء بإيذاء المشاعر، كما نجد التأدب والتلطف في العبارة يضعنا أمام خيار استبدال الكلمة بأخرى مهذبة أو حذفها أو تجاوزها.

١ محمد الأزهرى الهروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٠٩.

٢ محمود السعران، اللغة والمجتمع، دار المعارف: الإسكندرية، ط ٢، ص ١٢٩، ١٩٦٣م

٣ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

٤ كريم زكي حسام الدين، المحظورات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ص ٧، ١٩٨٥م

ومن أساليب التهذيب والتلطف "الكناية": وهي أسلوب بلاغي بياني يوظف أحياناً للتعبير عن المحذور اللغوي واستبدال لفظه، "قالعرب يكنون المرأة بالشاة والبيضة، والرشوة: صب الزيت في القنديل"^١. والإنسان مجبول على الجمال قولاً وفعلًا، "فينفر من التعبير عن العورات وما تعلق بها باستعمال التعريض والكناية والإشارة دون التصريح فيحاول تغطية القبح والفحش، والكناية في أصل وظيفتها جعلت لتحسين القبيح"^٢.

المطلب الثاني: التلطف والتهذيب اللغوي في الخطاب النبوي:

بما أنَّ التلطف في الكلام يكون بالعدول عن اللفظ القبيح، إلى لفظ آخر مهذب، كانت الكناية إحدى وسائل التلطف في المعنى والتهذيب في أداء المراد، فبها يستطيع المرء أن يتجنب التصريح بالألفاظ الخسيسة، وما يستحي ذكره والاكتفاء بالتلميح إليه، وبها يبرز الغرض الأخلاقي التربوي، ويتحقق الجانب النفسي. لذا سنفرد الحديث عنها في هذا الفصل.

حملت أحاديث النبي ﷺ في ثناياها من البلاغة والأسلوب الجمالي في التعبير ما يشد إليه الرحال، ومن هذه الأساليب التلطف في التعبير، أو التهذيب في التعبير، أو حسن التأدب، من خلال اللغة وهي عبارة عن إمكانية عقلية وقدرة كامنة لدى الرسول ﷺ.

سنقف عند هذه الجزئية من خلال جانب معين من البيان النبوي الشريف، وهو ما نجده في الأحاديث النبوية التي تتحدث عن النكاح والطهارة وما يتعلق بالمرأة، إذ كان أسلوبه فيها منمقاً، مهذباً في لفظه، ويحمل معاني وإشارات توحى بالمعنى المقصود من أجل تأدية الوظيفة الخلقية، من خلال الستر على ما يُستحي من ذكره، وقد أدت الكناية في البيان النبوي دوراً مهماً في الترفع عن المعنى الهابط، وستر اللفظ المستهجن، فالتهذيب اللفظي مظهر وظيفي من وظائف الكناية في الحديث النبوي، "قثمة دوافع اجتماعية تعبر عن الذوق العام والخلق كامنة خلف كثير من الكنايات، وهذه الوظيفة الخلقية ليست غريبة عن الكناية النبوية التي هي ظل لفكرة

١ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار الفكر: لبنان، ط١، ص٢٦٨، ١٩٩٨م.

٢ أبو منصور الثعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق: أسامة البحيري، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط١، ص ٢٠١، ١٩٩٧م.

قائمة خلف جدار اللفظ، فالبعد الخلقي من الطبيعة التقنية للكناية، وذلك لاتكائها على الظل، فهنا نبحت في بعد فكري من أبعاد الكناية، يواكب طبيعة الدعوة الإسلامية، وترفع البيان النبوي الذي ترعرع مع نزول القرآن الكريم بأسلوبه التهذيبي^١.

ومن ذلك ما جاء في حديث سهل بن سعد، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^٢.

تضمن الحديث عبارة قصيرة فيها أمران هما شرطان لضمان الجنة، وهما كنايةتان، يُضمان إلى الأمان: وهما: ضمان ما بين اللحيين، وضمان ما بين الرجلين.

فأما الأولى ففي قوله ﷺ: (ما بين لحييه)، فاللحيان "هما العظامان بجانب الوجه، وهما منبت الشعر من الرجل، فهي كناية عن الفم وآلته اللسان"^٣. وأراد بها ﷺ: حصائد الأظعمة والألسنة، ففيها منجاة المرء أو هلاكه، وورد عن النبي ﷺ في حفظ اللسان أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال ما رواه أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ". ومنها قوله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتُ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^٤.

أما الثانية: في قوله: "ما بين رجله" فقد كنى ﷺ بها عن اللفظ الحقيقي إيحاءً منه، فأدب النبوة ينأى بحيائه عن كشف العورة باللفظ، تأكيداً لسترها الواجب، وهي كناية "عن تجنب الفاحشة والالتزام بالعفة والطهارة"^٥. وقد أوجت الكناية باللفظ الأكثر تهذيباً ولباقةً وارتياحاً لدى المستمع والقارئ، وفي ذلك مراعاة للعرف الاجتماعي الأخلاقي،

١ أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي، مرجع سابق، ص ٢٥١

٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم: ٦١٠٩، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٣٧٦.

٣ ينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢٣، ص ٧١.

٤ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أنس، رقم: ١٣٠٤٨، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ٣٤٣

٥ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: ٢٦١٦، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٦٣.

٦ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ١١٢.

فالتعذيب هو المظهر الاجتماعي لوظيفة الكناية، والدلالة الأخلاقية من طبيعتها الفنية، لاستنادها على الظل والتلميح والتوقع، أكثر من التصريح، و"يعبر بها المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالظاهر"^١.

مع قلة لفظ هاتين الكنيتين، وسعت مدلولهما، ضمنت لفاعلهما الجنة، وهكذا يجمع البيان النبوي الشريف، بكناية تقوم على الإشارة باللفظ بكلمات خفيفة، فلو ذكرت الكلمة الصريحة بدلاً من الكلمة اللطيفة الموحية بالمعنى، لكان ذلك منفراً للقلوب والأذان، وتلك نقيصة ما أرادها النبي ﷺ.

ومن الأحاديث التي عدل فيها عن المعنى الظاهر الصريح إلى الأسلوب المذهب ما رواه مُحَمَّدُ بْنُ أَصَمَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً أَهْدَاهَا لَهُ دِخْيَةُ الْكَلْبِيِّ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَا لَكَ لَا تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ؟». قُلْتُ: كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي. فَقَالَ: «مُرَهَا فَلْتَجْعَلَ تَحْتَهَا غِلَآلَةً فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ عِظَامَهَا»^٢.

نجد في قول الرسول ﷺ: "أخاف أن تصف حجم عظامها" أدباً رفيعاً وأسلوباً سامياً، فإنه ﷺ لم يقل: أخاف أن تصف حجم أعضائها، بل قال: (حجم عظامها)، مع أنَّ "المراد لحم الأعضاء في حجمه وتكوينه، فإذا لصق الثوب بالجسد أبدى عن تفاصيله"^٣، وذلك منتهى السمو بالأدب، ولقطة "الأعضاء" تحت الثوب الرقيق الأبيض تنبّه إلى صور ذهنية كثيرة، وهي تومئ إلى صورة أخرى من ورائها، فتنزه النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك، وضرب الحجاب اللغوي على هذه المعاني السافرة، وجاء بكلمة "العظام"، "لأنّها اللفظة الطبيعية المبرّأة من كل نزعة، لا تقبل أن تلتوي، ولا توحى بأي معنى، ولا تحمل غرضاً، إذ تكون في الحي والميت، بل هي بهذا أخص؛ وفي الجميل والقبيح، بل هي هنا أليق؛ وفي الشباب والهرم، بل هي في هذا أوضح، والأعضاء لا تقوم

١ ينظر: ابن أبي الاصبغ، تحرير التحبير، مرجع سابق، ص ١٤٣.

٢ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، كتاب تنمة مسند الأنصار، باب حديث أسامة بن زيد حب رسول الله، رقم: ٢١٧٨٩، مرجع سابق، ج ٣٦، ص ١٢٤.

٣ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، دار الكتب العلمية: لبنان، ط ١، ج ٣، ص ١٧٩، ١٩٦٤ م.

إلا بالعظام، فالإيحاء على ما ترى، والحقيقة هي ما علمت".^١

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ)^٢.

ومعنى الباءة في اللغة النكاح والتزويج، ثم قيل لعقد التزويج باءة^٣، وأصله الموضع الذي يتبوؤه ويأوي إليه، لأن من تزوج المرأة بواها منزلاً^٤.

"وقد ذكر أن أسماء النكاح يُعرب عنها بالكناية لاستهجان ذكرها، فمحال من لا يقصد فحشاً أن يأتي بلفظ يستقبحه الناس. "فدلّ على أنه في الأصل للعقد، وهذا يتوقف على تسليم المدعي أنها كلها كنايات"^٥.

ومن الكنايات اللطيفة ما رواه عدي بن حاتم، قال: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ} [البقرة: ١٨٧] مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ الْآيَةِ، عَمَدْتُ إِلَى عَقَالَيْنِ، عَقَالٍ أَبْيَضَ وَعَقَالٍ أَسْوَدَ فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وَسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَقْوَمَ مِنَ اللَّيْلِ فَأَنْظُرُ فَلَا يَتَبَيَّنُ لِي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: "إِنْ كَانَ وَسَادُكَ لَعَرِيضًا، إِنَّمَا ذَاكَ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ"^٦.

في قوله ﷺ: "وسادك لعريضاً" كناية يُستدل بها على بلاهة الرجل، وقلة فطنته، جاء بها رسول الله عدولاً عن اللفظ المنفر، تنزيهاً للمؤمن عما لا يليق به من اللفظ، فكان من التعريض اللطيف بعدم فهم المخاطب المقصود مباشرة بالخطاب، حين لا يود الرسول ﷺ وصفه بتلك الصفة صراحة.

قد وجدنا في السنة النبوية ما يأخذ الألباب، ويأسر القلوب، من نماذج التلطف في التعبير، الذي لجأ إليها النبي ﷺ تحريزاً عن اللفظ القبيح، عدولاً به إلى اللفظ الحسن، تجنباً للفواحش ووصولاً إلى المعاني الحسنة المهيبة

١ مصطفى صادق الرافعي، سمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، دار البشير: القاهرة، ط١، ج١، ص٦٥، ٢٠١١م.

٢ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، رقم: ١٨٠٦، مرجع سابق، ج٢، ص٦٧٣.

٣ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج١، مادة (بوا)، ص٥٢٩.

٤ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج١٥، ص٢١٥.

٥ المرجع نفسه، ج٩، ص١٠٣.

٦ أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: لبنان، كتاب الصيام، باب الوقت الذي يحرم في الطعام، رقم: ٧٩٩٩، ط٣، ج٤، ص٣٦٣، ٢٠٠٣م.

والمفيدة التي يستسيغها المخاطب. وبحكم أنَّ التهذيب بالألفاظ مظهر إيحائي من وظائف الكناية في الحديث النبوي، والستر من الصفات المحمودة في القرآن والسنة، فقد أخذ الحديث عن المرأة والزواج منهجاً أخلاقياً تربوياً، بغية إصلاح السلوك اللفظي، إذ يستطيع المرء أن يتجنب التصريح بالألفاظ الخسيسة، التي تبعث على الاشمئزاز، ويأتي بألفاظ التي لا تخرج عن آداب الدين والمجتمع. والبيان النبوي يفيض بنماذج كثيرة من التهذيب بالقول، وما قصدت الاستقصاء إنما توضيح المعنى المراد.

الخاتمة:

تنوعت الأشكال الأسلوبية التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً منها الوصول إلى السامع، قلبه وعقله ووجدانه، فانتهى لكل موقف وحكم أسلوباً ليحقق غايته من التبليغ.

وقد أظهر البحث توظيف النبي صلى الله عليه وسلم الطاقات الإيحائية للألفاظ والعبارات في تحريك المشاعر، وشدذ القوى الذهنية، وتشويق المخاطب لتلقي الفكرة من خلال أسلوبه غير المباشر.

النتائج:

١- اتضح بالأسلوب الإيحائي فكر وجمال في الكلام، وطراوة وفوائد في البيان، وأثر عجيب ولطائف لا يمكن أن تتحقق بالتعبير المباشر، إذ التعبير غير المباشر يضفي على المعنى روعةً وجلالاً، ويجعلها أكثر افتناناً وأشد جرياناً.

٢- يحيط الأسلوب الإيحائي خفاء يحتاج إلى تأمل وإعمال عقل. وبكشف معانيه وفتح مغاليقه وإدراك أبعاده يشعر السامع بلذة الكشف عنه، ويتمكن من نفسه وعقله، وفي هذا تشويق وتكثيف وإطراب لا يكون إلا بالتلويح والإيماء.

٣- إن حسن الإيجاز خصيصة من خصائص الخطاب النبوي عامة، واتضح في كثافة الإيحاء الذي ولده استثمار الدلالة الذاتية للكلام متسقة مع الدلالة السياقية.

٤- يتضح في بعض صور الإيحاء تحقيق الوظيفة الخلقية وطابعها التهذيبي في الأدب النبوي، تلك المتمثلة في الترفع عن المعنى الهابط، من خلال التعبير الذي يترك ظلالاً خفيفة على المعاني، تضيف عليها جمالاً إضافة إلى الاكتفاء بالإشارة عن التصريح.

٥- من خلال دراسة الجانب الدلالي، توضحت أبعاد الأساليب ومقاصدها، فبين البحث أن الإيحاء في الخطاب النبوي الشريف، كان لدلالات قصدها النبي ﷺ لم تكن لتظهر وتؤدي الغرض المراد بالأسلوب الصريح المباشر.

التوصيات:

- ١-أوصي طلبة العلم بالاهتمام بالأساليب التي استخدمها النبي ﷺ في تبليغ الرسالة النبوية.
- ٢-توجيه الطلاب إلى دراسة الأساليب البلاغية الدقيقة التي تؤثر على المتلقي وتكسب المعنى جمالاً وقوة.
- ٣-توجيه الطلاب إلى دراسة الإيحاء في الحديث النبوي والقرآن الكريم والمقارنة بينهما.
- ٤-أوصي بضرورة التعمق في الدراسات المتعلقة بمهارات التفكير بهدف توظيفها في فهم الخطاب النبوي

المصادر والمراجع:

الكتب:

١. إبراهيم أنس، من أسرار اللغة، المكتبة العصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٩٤م.
٢. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية: القاهرة، ط٤، ١٩٨٠م.
٣. إبراهيم براهيم، إستراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة لمحمد بشير الإبراهيمي، بونة للبحوث والدراسات: الجزائر، ط١، ٢٠١٣م.
٤. ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي: لبنان، ط١، ١٩٦٣م.
٥. ابن الزمكاني، التبيان في علم البيان المطلاع على إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب، مطبعة العاني: بغداد، ط١، ١٩٦٤م.
٦. ابن جني الموصل، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، ط٣، ١٩٥٦م.
٧. ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار الهلال: بيروت، ط٣، ج١، ٢٠٠٤م.
٨. ابن سينا، الشفاء المنطق ٣- العبارة، تحقيق: محمود الخضير، الهيئة المصرية العامة: القاهرة، ط١، ١٩٥٦م.
٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر: الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
١٠. ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار التأصيل: القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
١١. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: أحمد سالم الكيلاني وحسن عادل النعيمي، دار صادر: بيروت، ط١، ج٧، ٢٠١١م.
١٢. أبو العباس، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٣. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ١٩٦٤م.
١٤. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، تحقيق د. محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي: مصر، ط١، ١٩٥٤م.
١٥. أبو منصور الثعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق: أسامة البحيري، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

١٦. أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية: بيروت، ط١، ١٩٥٢م.
١٧. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة: القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
١٨. أحمد الريفي، الربانية خصيصة من خصائص السيرة النبوية، دار الثقافة للنشر والتوزيع: المغرب، ط١، ٢٠١٨م.
١٩. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: د. يوسف الصميلي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠. أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٣، ج٤، ٢٠٠٣م.
٢١. أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: حسان عبد المنان، دار إحياء التراث العربي: مصر، ط١، ١٩٥٨م.
٢٢. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
٢٣. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل: بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
٢٤. أحمد بن فارس بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة العربية ولسان العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف: بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٢٥. أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار الفكر: لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
٢٦. أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، مكتبة لبنان: لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
٢٧. أحمد بن محمد حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٢٨. أحمد رضا، معجم متن اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار مكتبة الحياة: بيروت، ط١، ١٩٥٨م.
٢٩. أحمد سليمان ياقوت، الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، دار المعرفة: الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩م.
٣٠. أحمد شيخ عبد السلام، اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة، دار التجديد للطباعة والنشر: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط٢، ٢٠٠٦م.

٣١. أحمد عثمان رحمانى، **الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف وتطبيقاته**، عالم الكتب الحديث: الأردن، ط١، ٢٠١١م.
٣٢. أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتاب: القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.
٣٣. أحمد مطلوب الرفاعي، **أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني**، وكالة المطبوعات: الكويت، ط١، ١٩٨٠م.
٣٤. أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مكتبة لبنان: لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.
٣٥. إدريس حمادي، **الخطاب الشرعي وطرق استثماره**، المركز الثقافي العربي: لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
٣٦. أدونيس، **زمن الشعر**، دار العودة: بيروت، ط٢، ١٩٧٨.
٣٧. إسحاق بن إبراهيم الخنلي، **الديباج**، تحقيق: إبراهيم صالح الناشر، دار البشائر: لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
٣٨. إسماعيل بن حماد الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الفكر: لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
٣٩. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.
٤٠. إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، **دلائل النبوة**، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، المكتبة العربية: حلب، ط١، ١٩٧٠م.
٤١. الإمام البغوي، **شرح السنة للبغوي**، المكتب الإسلامي: بيروت، ط١، ١٩٣٨م.
٤٢. الإمام مالك بن أنس، **الموطأ**، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
٤٣. إنعام فوال عكاوي، **المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الجيل: لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.
٤٤. إيهاب سعد شفاطر، **المصطلحات الدلالية بين التراث وعلم اللغة الحديث**، عالم الكتب الحديث: الأردن، ط١، ٢٠١٦م.
٤٥. أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة: لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
٤٦. بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.
٤٧. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الحديث: القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
٤٨. بدوي طبانة، **معجم البلاغة العربية**، دار الرفاعي: الرياض، ط٣، ١٩٨٨م.
٤٩. بنعيسى أزابط، **الوجيز في علم الدلالة**، دار الأمان: الرباط، ط١، ١٩٩٨م.

٥٠. بني يونس، سيكلوجيا الواقعية والانفعالات، درا المسيرة: عمان، ط١، ٢٠٠٧م
٥١. تاج الدين الفاكهاني، رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر: سوريا، ط١، ٢٠١٠م.
٥٢. تريفيتان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري البحوت ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر: المغرب، ط١، ١٩٨٧م.
٥٣. تشارلتن هنري بكن، فنون الأدب تعريف وشرح وتركيب، تعريب: نجيب زكي محمود، لجنة التأليف والترجمة: القاهرة، ط٢، ١٩٠٥م.
٥٤. جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، ط١، ١٩٩٥م.
٥٥. جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية: دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
٥٦. جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب: القاهرة، ط٣، ١٩٧٤م.
٥٧. جلال الدين السيوطي، الجامع الكبير، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ٢٠١٦م.
٥٨. جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: لبنان، ط١، ١٩٦٤م.
٥٩. جلال الدين السيوطي، جامع الأحاديث الجامع الصغير وزوائده، تحقيق: عباس أحمد صقر، دار الفكر: لبنان، ط١، ج٣٣، ١٩٩٢م.
٦٠. جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تحقيق: إبراهيم محمد الحمداني، أمين لقمان الحبار، دار الفكر: بيروت، ط١، ٢٠١١م.
٦١. جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، مكتبة القرآن: القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٦٢. جوزيف فندريس، اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية: مصر، ط١، ١٩٦٠م.
٦٣. جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، جامعة البصرة: البصرة، ط١، ١٩٨٠م.
٦٤. حازم بن محمد بن حسن القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي: لبنان، ط٣، ١٩٨٦م.
٦٥. حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث: الأردن، ط١، ٢٠١٤م.
٦٦. حافظ ثناء الله الزاهدي، تلخيص الأصول، مركز المخطوطات والتراث والوثائق: الكويت، ط١، ١٩٩٤م.

٦٧. حامد عوني، **الواضح للبلاغة**، تحقيق: محمد محمد طاهر، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة، ط١، ٢٠٢١م.
٦٨. الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل: لبنان، ط٥، ١٩٨١م.
٦٩. حسن بن محمد النيسابوري، **تفسير النيسابوري "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٧٠. حسنين محمد مخلوف، **كلمات القرآن**، دار المعارف: مصر، ط١، ١٩٩٠م.
٧١. الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي: بيروت، ط١، ج٣، ١٩٣٨م.
٧٢. الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م.
٧٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
٧٤. خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين: لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٧٥. د. بكري شيخ أمين، **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**، دار العلم للملايين: بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
٧٦. ذهبية حمو الحاج، **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب**، دار الأمل: الجزائر، ط١، ٢٠١٢م.
٧٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم: بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٧٨. الرماني الخطابي الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زعلول سلام، دار المعارف: القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٧٩. روبرت هولب، **نظرية التلقي "مقدمة نقدية"**، ترجمة: رعد عبد الجليل، دار الحوار: اللاذقية، ط١، ١٩٩٢م.
٨٠. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط١، ج١، ١٩٩٨م.
٨١. زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد مختار، المكتبة العصرية: بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.
٨٢. زين كامل الخويسكي وأحمد محمود المصري، **فنون بلاغية**، دار الوفاء للطباعة: الإسكندرية، ط١، ١٩٧٥م.
٨٣. سارة ميلز، **الخطاب**، ترجمة: يوسف بغول، جامعة منتوري: الجزائر، ط١، ٢٠٠٤م.

٨٤. سامية جابر، **الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث**، دار المعرفة: مصر، ط١، ١٩٩٨م
٨٥. سعد الدين التفازاني، **مختصر المعاني**، تحقيق: ماهر عثمان، دار الفكر: لبنان، ط١، ١٩٩٠م.
٨٦. سعد الدين بن عمر التفازاني، **شروح التلخيص**، دار السرور: بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٨٧. سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي (السرد، الزمن، التبئير)**، بستان المعرفة للطباعة: مصر، ط١، ١٩٩٧م.
٨٨. سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية: لبنان، ط١، ج٤، ٢٠٠٩م.
٨٩. سليمان بن عبد القوي الطوفي، **التعيين في شرح الأربعين**، تحقيق: أحمد حاج محمد عثمان، مؤسسة الريان: لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
٩٠. سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق: القاهرة، ط١٦، ١٩٥٤م.
٩١. شرف الدين بن عبد الله الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن**، تحقيق: عبد الحميد هنداي، مكتبة نزار الباز: الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
٩٢. شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر: بيروت، ط١، ١٩٠٠م.
٩٣. شمس الدين الكرمانلي، **الكواكب الدار في شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد محمد عبد اللطيف، دار إحياء التراث العربي: لبنان، ط١، ١٩٣٧م.
٩٤. شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الحديث: القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.
٩٥. شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قميحة، حسن نور الدين، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
٩٦. صابر الحباشة، **تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة**، دار مكتبة الحامد للنشر: عمان، ط١، ٢٠١٠م.
٩٧. صالح بلعيد، **دروس في اللسانيات التطبيقية**، دار هومة للطباعة والنشر: الجزائر، ط٥، ٢٠٠٩م.
٩٨. صفى الدين الحلبي، **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، مطبوعات مجمع اللغة العربية: دمشق، ط١، ١٩٨٢م.
٩٩. صلاح فضل، **أساليب الشعرية المعاصرة**، دار قباء للطباعة والنشر: السعودية، ط١، ١٩٩٨م.
١٠٠. الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، **أحمد ياسوف**، دار المكتبي للطباعة والنشر: دمشق، ط٢، ٢٠٠٩م.

١٠١. ضياء الدين ابن الأثير الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
١٠٢. طالب محمد إسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري"، دار كنوز المعرفة: عمان، ط١، ٢٠١١م.
١٠٣. عائشة حسين فريد، وشى الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة والنشر: القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٠٤. عائشة محمد علي، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، دار المعارف: القاهرة، ط٣، ١٩٧١م.
١٠٥. عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر: بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
١٠٦. عبد الرحمن بن أبي بكر، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ١٥٠٥م.
١٠٧. عبد الرحمن بن حسن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، تحقيق: محمد المجذوب، دار القلم: دمشق، ط٤، ٢٠١٣م.
١٠٨. عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين قلنجي، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ج٢، ٢٠٠٤م.
١٠٩. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، روائع من أقوال الرسول ﷺ دراسات لغوية وفكرية وأدبية، دار القلم: دمشق، ط٤، ١٩٨٧م.
١١٠. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب: ليبيا، ط٣، ١٩٧٧م.
١١١. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية: القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.
١١٢. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية: لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
١١٣. عبد العظيم المطعني، من قضايا البلاغة والنقد، مطبعة حسان: القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.
١١٤. عبد القادر شاکر عبید، شذرات في اختصار مباحث علم الدلالات، مكتبة عين الجامعة، ط١، ٢٠١٦م.
١١٥. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاکر، دار المعارف: بيروت، ط١، ١٩٧٨م.
١١٦. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد الداية، مكتبة سعد الدين: دمشق، ط٢، ١٩٨٧م.
١١٧. عبد الله بن عمر الشنقيطي، مذكرة في فن المنطق، المكتبة الذهبية، ٢٠١٧م.
١١٨. عبد الله بن محمد خفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ج١، ١٩٨٢م.

١١٩. عبد الله بن مسلم بن قنبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ١٩٧٣م.
١٢٠. عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب: القاهرة، ج١، ط١٧، ص١٨، ١٩٩٩م.
١٢١. عبد المنعم خفاجي، محمد السعدي فرهود، عبد العزيز شرف، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية: القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
١٢٢. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة: لبنان، ط١، ٢٠١٤م.
١٢٣. عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المؤسسة الجامعية للنشر: لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
١٢٤. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تحقيق: مزي سعد الدين دمشقي، دار البشائر الإسلامية: بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
١٢٥. عطية سالم، شرح الأربعين نوية، دروس صوتية مفرغة في المكتبة الشاملة، ط١، ٢٠١٩م.
١٢٦. العظيم أبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: أبو عبد الله النعماني الأثري، دار المنهل: الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
١٢٧. علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، التفسير البسيط، مؤسسة العكيان: السعودية، ط١، ٢٠٠٨م.
١٢٨. علي بن الحسين الهنائي كراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، جامعة أم القرى: السعودية، ط١، ١٩٨٩م.
١٢٩. علي بن عبد الملك ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، إبراهيم الصبيحي، النبلاء للكتاب: مراكش، ط١، ٢٠٠٧م.
١٣٠. علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، دار المعارف: مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
١٣١. علي بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي: السعودية، ط٢، ٢٠٠٣م.
١٣٢. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع: القاهرة، ط١، ١٩٣٨م.
١٣٣. علي صدر الدين ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان: العراق، ط١، ١٩٦٩م.
١٣٤. عمر أوكان، اللغة والخطاب الأدبي، إفريقيا الشرق: الجزائر، ط١، ٢٠١١م.

١٣٥. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى: بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٣٦. عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية: بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.
١٣٧. عمرو بن بحر الليثي "الجاحظ"، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
١٣٨. عيد بلبع، **التداولية البعد الثالث في سيموطيقا مورييس**، دار كنوز المعرفة العلمية: الأردن، ط١، ٢٠٢١م.
١٣٩. فاضل مصطفى الساقى، **أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة**، مكتبة الخانجي: مصر، ط١، ١٩٧٧م.
١٤٠. فان دايك، **النص والسياق**، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق: لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
١٤١. فتحي أحمد عامر، **المعاني الثانية في الأسلوب القرآني**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٧٦م.
١٤٢. فتحية محمود فرج العقدة، **من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف**، مطبعة الأمانة: مصر، ط١، ١٩٩٣م.
١٤٣. فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، دار الفكر: لبنان، ط١، ١٩٨١م.
١٤٤. فخر الدين محمد بن الحسين الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق: سعد سليمان حمودة، دار صادر: لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
١٤٥. القاضي عياض بن موسى، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء: مصر، ط١، ١٩٩٨م.
١٤٦. القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم، **المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، ابن كثير: القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
١٤٧. كريم زكي حسام الدين، **المحظورات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٥م.
١٤٨. كمال عز الدين السيد، **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية**، دار اقرأ: لبنان، ط١، ص٢٠٠، ١٩٨٤م.
١٤٩. لبيار غيرو، **السيمياء**، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات: لبنان، ط١، ١٩٨٤م.
١٥٠. محمد أحمد بن طباطبا العلوي، **عيار الشعر**، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.
١٥١. محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، **علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"**، المؤسسة الحديثة للكتاب: لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

١٥٢. محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، المكتب الإسلامي: بيروت، ط٤، ١٩٩٣م.
١٥٣. محمد الأمين الشافعي، الكوكب الوهاج والروض البهاج شرح صحيح مسلم، تحقيق: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج: الرياض، ط١، ٢٠١٧م.
١٥٤. محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي: لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
١٥٥. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تحقيق: علي بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: لبنان، ط١، ج٢٧، ٢٠٠٠م.
١٥٦. محمد أنور الكشميري، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: ومحمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
١٥٧. محمد أوغانم، رسالة في الاستدلال وتمييز المدلول من الدال، مطابع الشويخ: تطوان، ط١، ٢٠٠٥م.
١٥٨. محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار المعرفة: لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
١٥٩. محمد بن أحمد بن عبد العزيز الحنبلي، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه الحماد، مكتبة العبيكان: الرياض، ط٢، ١٩٩٨م.
١٦٠. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير: بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
١٦١. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر: السعودية، ط١، ٢٠٠٨م.
١٦٢. محمد بن سلامة القضاعي، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة: لبنان، ط١، ج٢، ١٩٨٥م.
١٦٣. محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن: الرياض، ط١، ١٩٢٩م.
١٦٤. محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر: لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.
١٦٥. محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الرومي، شرح مصابيح السنة، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر: لبنان، ط١، ج٥، ٢٠١٢م.
١٦٦. محمد بن عبد الهادي التتوي، نور الدين السندي، حاشية السندي على ابن ماجه، دار الجبل: بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٦٧. محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تحقيق: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، دار المعرفة: لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
١٦٨. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ٢٠١١م.
١٦٩. محمد بن يحيى، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب للنشر والتوزيع: الأردن، ط١، ٢٠١١م.
١٧٠. محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر: القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٧١. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة: مصر، ط٨، ٢٠٠٥م.
١٧٢. محمد جابر العلواني، الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: سعيد محمد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: عمان، ط١، ١٩٩٣م.
١٧٣. محمد جابر فياض، الكناية، دار المنارة: السعودية، ط١، ١٩٨٩م.
١٧٤. محمد جمال الدين القاسمي، حياة البخاري، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار النفائس: لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
١٧٥. محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
١٧٦. محمد علي الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى: الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م.
١٧٧. محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث "السياب نازك والملائكة"، دار الكتاب الجديدة المتحدة: لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
١٧٨. محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة: مصر، ط٢، ١٩٨٠م.
١٧٩. محمد نديم فاضل، التضمن النحوي في القرآن الكريم، دار مكتبة الزمان للنشر والتوزيع: السعودية، ط١، ٢٠٠٥م.
١٨٠. محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة المتحدة: لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
١٨١. محمود السعران، اللغة والمجتمع، دار المعارف: الإسكندرية، ط٢، ١٩٦٣م.
١٨٢. محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، ط١، ١٩١٨م.

١٨٣. محمود بن عمر الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة: بيروت، ط١، ١٩٧١م.
١٨٤. محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة: لبنان، ط١، ١٩٩٠م.
١٨٥. محمود عكاشة، **الدلالة اللفظية**، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
١٨٦. محيي الدين يحيى بن شرف النووي، **شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٢، ١٩٢٩م.
١٨٧. مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي: القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
١٨٨. مصطفى العدوي، **أدب التخاطب**، دار الأندلس الخضراء: جدة، ط١، ٢٠٠٨م.
١٨٩. مصطفى صادق الرافعي، **السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية**، دار البشير: القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
١٩٠. مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، مكتبة الإيمان: القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.
١٩١. مصطفى صادق الرافعي، **وحي القلم**، المكتبة العصرية: بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٩٢. مظهر الدين الزيداني، **المفاتيح في شرح المصابيح**، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر: لبنان، ط١، ٢٠١٢م.
١٩٣. منير سلطان، **البديع**، مركز الدلتا للطباعة والنشر: الإسكندرية، ط١، ١٩٨٦م.
١٩٤. موسى شاهين لاشين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، دار الشروق: الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.
١٩٥. مونيك شافرتس وجينيت شور، **علم الدلالة**، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.
١٩٦. ميدلتون موري، **اللغة الفنية**، تعريب: محمد حسن عبد الله، دار المعارف: القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
١٩٧. ناصر الدين المطرزي، **المغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق: محمود فاخوري، مكتبة أسامة بن زيد: حلب، ط١، ١٩٧٩م.
١٩٨. نصر الله بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور**، مطبعة المجمع العلمي: العراق، ط١، ١٩٥٦م.
١٩٩. نعمان بوقرة، **لسانيات الخطاب -مباحث في التأسيس والإجراء-**، دار الكتب العلمية: لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
٢٠٠. نعمان علوان، **الأساليب البيانية والخطاب الدعوي الواعي**، الجامعة الإسلامية: فلسطين، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٠١. نور الدين ملا علي محمد الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر: لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٠٢. وهبة الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه، دار الفكر المعاصر: لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
٢٠٣. يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، المكتبة العصرية: بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٠٤. يحيى بن محمد الشيباني ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن: الرياض، ط١، ج٨، ١٩٢٩م.
٢٠٥. يوسف الإدريسي، مفهوم التخيل في النقد والبلاغة العربيين الأصول والامتداد، مكتبة الملك فهد لخدمة اللغة العربية: السعودية، ط١، ٢٠١٥م.
٢٠٦. يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية: لبنان، ط٢، ١٩٩٥م.
٢٠٧. يوسف بن تغري بردي الظاهري، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، ط١، ١٣٩٠م.
٢٠٨. يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: عمان، ط١، ١٩٩١م.
٢٠٩. يونس فضيلة، إستراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني "دراسة تداولية"، جامعة مولود: الجزائر، ط١، ٢٠٠٠م.

الرسائل والبحوث العلمية والمقالات والندوات

١. إدريس مقبول، الإستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، بحث في مجلة كلية العلوم الإسلامية: المغرب، مجلد ٨، عدد ١٥، ٢٠١٤م.
٢. بلقاسم دفة، إستراتيجية الخطاب الحجاجي، بحث في مجلة المخبر: الجزائر، عدد ١٠، ٢٠١٤م.
٣. دعاء يوسف سلامة، الخطاب النبوي للنساء في ضوء السنة النبوية "دراسة موضوعية"، الجامعة الإسلامية: غزة، ٢٠١٤م.
٤. رقية بوسنان، مهارات الاتصال عند الرسول ﷺ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة: الجزائر، ٢٠٠٥م.
٥. سعيد الصقلاوي، إحياء المعنى ومعنى الإحياء معمارياً وتشكيلياً، بحث في مجلة ذمار للدراسات والبحوث: اليمن، عدد ٤، ٣١ كانون الثاني، ص ٣٥-٢٦، ٢٠٠٧م.
٦. شهرزاد بن يونس، محاضرات في علم الدلالة، جامعة الإخوة منتوري: الجزائر، ص ٧٤، ٢٠١٩م.

٧. عبد الستار سعيد، الشمول الإسلامي حقائقه وآفاقه، مقالة في مجلة البيان: القاهرة، عدد: ٢٦٥، ٢٠٠٩م.
٨. عبد السلام المسدي، المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي، بحث في حوليات الجامعة التونسية: تونس، ط١٣، ١٩٧٦م.
٩. عبد القادر سلامي، التفكير الدلالي عند العرب، مقالة في مجلة ديوان العرب: القاهرة، يوم الجمعة، ٢٠ آب، ص ٥، ٢٠٠٤م.
١٠. عبد الله عودة، الاتصال الصامت، مجلة المسلم المعاصرة: القاهرة، عدد "١١٢"، ٢٠٠٤م.
١١. عبد الحفيظ أحمد أديميخ، أساليب التشويق البلاغي في الأحاديث النبوية من خلال الصحيحين "دراسة تطبيقية تحليلية"، رسالة علمية مقدمة لنيل الدرجة العالمية "الماجستير"، جامعة أوسوبو: نيجيريا، ٢٠١٤م.
١٢. عليان بن محمد الحازمي، علم الدلالة عند العرب، بحث نشر في جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها: مكة المكرمة، عدد ٢٧، مجلد ١٥، ١٤٢٤هـ.
١٣. هاتف بريهي شياح، أدب التخاطب مبادئه وقواعده وإستراتيجياته، بحث في مجلة العلوم الإنسانية" كلية التربية: بابل، مجلد ٣٣، العدد ٣، أيلول، ص ٢٢-٢١، ٢٠١٦.
١٤. د. هند سحلول، ملامح الأسلوب الإيحائي في الخطاب النبوي، بحث مقدم في جامعة دمشق، مجلد: ٣٣، عدد: ١، ٢٠١٧م.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}	البقرة	٢٥٣	١٢٠
{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}	آل عمران	٧	٩٥
{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}	آل عمران	٤١	٣٣
{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا}	آل عمران	١٥٩	٥٤
{فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}	النساء	١٦٤	٣٢
{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ}	الأنعام	١٠٨	٦٥
{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا}	الأنفال	٦٠	٨٤
{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}	هود	٣٧	٤١
{وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ}	النحل	٦٨	٣٤
{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}	مريم	١١	٣٣

٢٢	١٢٠	طه	{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}
٥٤	١٠٧	الأنبياء	{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى}
١١٤	٣٢	النور	{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}
٣٤	٧	القصص	{وَأَنذِكُوا الْآيَامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}
٢٦	١٨	القصص	{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي}
١٩	١٤	سبأ	{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ}
٤١	٢٠	ص	{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ}
٤١	٢٣	ص	{وَسَدَدْنَا مَلَكُةً وَاتَّيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخَطَابَ}
١٤٠	٧٣	الزمر	{إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}
٣٢	٥١	الشورى	{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا}
١١	٢	النجم	{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}
٥٢	٤	القلم	{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}
١٢٩	٦	نوح	{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}
٣٣	٥	الزلزلة	{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا}

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
٨٦	"اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ..."
٩٠	الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ..
١١٠	الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا..
١١٨	الْمُؤَدِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...
١٠٥	الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ..
١٣٢	الْإِيمَانُ هَا هُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ...
١٠٨	الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ..
١٤٧	الدِّينُ النَّصِيحَةُ « قُلْنَا: لِمَنْ..
١٠٦	السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ..
٧٢	السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: «عَشْرٌ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ...
٨٦	الطَّيْرَةُ شِرْكُ الطَّيْرَةِ شِرْكُ ثَلَاثًا وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ.
٨٥	اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ...
١٥٠	الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ..
١١٧	الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى..
٦٢	انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا...

٦٦	إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ»، قِيلَ: وَمَا عَسَلَهُ؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا..
٦٠	إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: الْمَسَاجِدُ...
١١٨	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ..
١٠٤	إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ..
٧٧	إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...
١٠٩	إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْخُطْمَةُ..
١١١	إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ..
٩٣	إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا...
٩٢	إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا، وَلَا يَتَخَات...
٦٤	إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ...
١٤٥	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...
١٠١	إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ..
١٠٥	إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ..
١١٦	إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً يَكُونُ الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرًا مِنَ الْجَالِسِ، وَالْجَالِسُ خَيْرًا مِنَ الْقَائِمِ...
٦٣	إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا...
١٤٠	إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ...
١٤٣	إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِخْرًا...

١٤٣	إِنْكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ...
١٣٣	أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ...
٧٧	أَتَذُرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ...
٧٥	أَتَذُرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي...
٧٤	أَتَذُرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا يَرْهَمُ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي...
١٠٢	أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَبَابٍ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ حَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرْنِهِ..
١١٨	أَسْرِعَنَّ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا» قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيُّهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا...
٦٠	أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ لَا يَتَخَلَّلْكُمْ كَأَوْلَادِ الْحَذَفِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَادُ الْحَذَفِ...
٨٤	أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ
٧٩	أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ...
١٥٤	أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى..
٢٩	أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا..
٨٤	أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟
١٣٠	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ..
٦٨	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» ...

٦٣	أَنَّهُمْ دَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَقِيَ مِنْهَا قَالَتْ مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَنَفُهَا..
٧٩	أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمْضَمٍ؟
٨٠	أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلْفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ...
٥٩	أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "كُلُّ مَحْمُومٍ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ". قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ... نَعْرِفُهُ...
٩١	أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟
١٦٣	أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ لَهُ هَذَا بِدِرْهَمٍ...
٦٥	أَرَيْتَ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ « قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ..
١٧٦	أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: كُلٌّ ضَعِيفٌ مُتَضَعِّفٌ....
٨٠	أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: "كُلٌّ غَثٌّ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ
١٣١	بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ..
١٤٤	بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ....
٥٧	تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا جُبٌّ.....
٩٧	تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا...
١١٣	تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا..
١٢٤	جَاءَتْنِي بَرِيرَةُ فَقَالَتْ: كَاتَبْتُ أَهْلِي عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ فِي كُلِّ عَامٍ، أُوقِيَّةً، فَأَعِينِينِي...
١٤٣	حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ...
١١٨	خِيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاقِبَ فِي الصَّلَاةِ..

٨٨	رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ...
٩١	سَبَقَ دِرْهَمٌ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ"، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ...
٧٢	عَبْدٌ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ...
١٢٢	عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أَهْدِي لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ...
٨٤	فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا...
٥٣	فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُسْمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ....
٦٩	قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا حَقُّ الْإِبْلِ؟ قَالَ: "حَلْبُهَا عَلَى الْمَاءِ. وَإِعَارَةُ دَلْوِهَا. وَإِعَارَةُ....
١٤٣	كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً...
٥٩	كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ...
١٣١	لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَتَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا..
١٥٤	لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ...
١٢٦	لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لِيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لِيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ
٢٨	لَيْسَ لِقَاتِلٍ مِيزَاتٍ.

٦٤	لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفَرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ....
٢٧	لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ.
٦٠	لَا طَيِّرَةً، وَخَيْرُهَا الْفَالُ» قَالُوا: وَمَا الْفَالُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ...
١٠٥	لِعَامِلٍ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ كَالْعَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ "
١٢٥	مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَحَّضُ أَمَامَهُ أَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيَتَنَحَّضَ فِي وَجْهِهِ... وَجْهِهِ...
١٢١	مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصْلِي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي...
١٢٥	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ»، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ..
٧٧	مَا تَعْدُونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِ...
١٠٣	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ..
٩٩	مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا..
١٤٦	مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا..
١١٢	مَنْ سُئِلَ عَنِّ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ..
٦١	مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ....
١٤٩	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..

١٥٤	مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ..
٧٣	مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجِبَتْ، وَجِبَتْ...»
١٤٨	مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ ..
١٢٣	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرِغِبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ، فَوَ اللَّهِ! لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً".
٧٨	مَنْ تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ...
١٣٥	هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ...
٧٠	هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ....
٨٣	وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ...
٨٧	وَأَنَا أَدْعُو بِأُصْبُعِي، فَقَالَ: «أَحْذِ أَحْذِ»، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ
١٥٠	يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ..
١٧٦	يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ...
١٣٣	يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ...
٥٨	يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمَغْرُدُونَ» ...
١٣٢	يُقَبِّضُ الْعِلْمُ، وَيُظْهِرُ الْجَهْلُ...
١١٥	يَا أَنْجَشُ رُوَيْدَكَ سَوْفَكَ بِالْقَوَارِيرِ ..

جدول المحتويات

شكر وتقدير

الإهداء

الملخص

المقدمة

١٤	الفصل الأول: الخطاب ودلالة الإيحاء
١٥	المبحث الأول: التعريف بالدلالة وموضوعاتها ونشأتها
١٥	المطلب الأول: الدلالة لغةً واصطلاحاً
١٨	المطلب الثاني: موضوعات علم الدلالة
١٩	المطلب الثالث: أنواع الدلالة في اللغة
٢٢	المطلب الرابع: أنواع الدلالات اللفظية عند المتكلمين
٢٥	المطلب الخامس: مجالات علم الدلالة:
٢٧	المبحث الثاني: الإيحاء؛ تعريفه وأدواته
٢٧	المطلب الأول: الإيحاء لغةً واصطلاحاً
٢٩	المطلب الثاني: تجليات الإيحاء في القرآن الكريم:
٣٠	المطلب الثالث: الإيحاء والتكثيف:
٣١	المطلب الرابع: مصطلحات الإيحاء الدالة عليه:
٣٧	المبحث الثالث: تعريف الخطاب وأنواعه والخطاب النبوي
٣٧	المطلب الأول: الخطاب لغةً واصطلاحاً:
٣٩	المطلب الثاني: أنواع إستراتيجيات الخطاب:
٤١	المطلب الثالث: تقنيات تبليغ الخطاب الأدبي في التراث العربي:
٤٤	المطلب الرابع: أركان الخطاب
٤٥	المطلب الخامس: أنواع الخطاب
٤٧	المطلب السادس: مقومات الخطاب النبوي:
٤٩	المطلب السابع: دوافع الخطاب النبوي
٤٩	المطلب الثامن: خصائص الخطاب النبوي
٥١	الفصل الثاني: مظاهر الإيحاء في الخطاب النبوي

٥٢	المبحث الأول: الإيحاء اللفظي في الخطاب النبوي
٥٢	المطلب الأول: الإيحاء في استعمال الكلمة الغامضة
٥٦	المطلب الثاني: الإيحاء بالعبارة
٦١	المطلب الثالث: الإيحاء بالحذف لغةً واصطلاحاً وتجلياتها في الخطاب النبوي
٦٨	المطلب الرابع: الإيحاء في الاستفهام
٧٦	المطلب الخامس: الإيحاء في التكرار
٨٤	المطلب السادس: الإيحاء في الألغاز والأحاجي
٩٠	المبحث الثاني: الإيحاء بالصورة الفنية في الخطاب النبوي
٩٠	المطلب الأول: الإيحاء في التشبيه
١٠٢	المطلب الثاني: الإيحاء في الاستعارة
١٠٨	المطلب الثالث: الإيحاء في الكناية
١١٥	المطلب الرابع: الإيحاء بالتعريض
١٢٢	المبحث الثالث: الإيحاء في الوسائل الخارجية الإيضاحية:
١٢٢	المطلب الأول: الإيحاء في لغة الجسد
١٢٩	المطلب الثاني: الإيحاء في الوسائل التوضيحية
١٣٢	الفصل الثالث: أثر دلالة الإيحاء في قوة التبليغ
١٣٤	المبحث الأول: حسن الإيجاز وتكثيف المعنى، وأهم أقسامه
١٣٤	المطلب الأول: مفهوم الإيجاز لغةً واصطلاحاً
١٣٧	المطلب الثاني: أنواع الإيجاز ومكانته عند العرب
١٣٩	المطلب الثالث: أثر الحذف في قوة الإيحاء بالمعنى
١٤٧	المبحث الثاني: التلطف والتعذيب في العبارة وأثرها الاجتماعي
١٤٧	المطلب الأول: تعريف التلطف في العبارة وحسن التعذيب:
١٤٨	المطلب الثاني: التلطف والتعذيب اللغوي في الخطاب النبوي:
١٥٣	الخاتمة:
١٥٥	المصادر والمراجع:
١٦٩	فهرس الآيات القرآنية
١٧١	فهرس الأحاديث النبوية

Suggestive Indication and its Manifestations in the Prophetic Speech

Prepared by: **Amina Al-Dous**

Supervised by: **Dr. Hind Sahloul**

Abstract:

This research aims to identify the revelation in the noble hadiths of the Prophet and an indication of its importance and role in denoting the meanings that is hidden behind some used linguistic methods, It also seeks to highlight the features of suggestive indication in different formulas, and emphasize on Showing the style of excitement and suspense that is reached by intensification in the pronunciation and phrase.

It also aims to know the types of Speech used by the Prophet ﷺ , And it shows that the main communication method of the Prophet was not only the direct language, but also the indirect method, and that is by presenting some examples of selected hadiths from the Prophet's Sunnah. It is a study that attempts to examine the components of the prophetic speech in light of the suggestive indication, And to achieve this goal, the research was divided into three chapters, The first chapter: the definition of Speech and the suggestive indication, The second chapter: the manifestations of suggestive indication in the hadith of the Prophet, The third chapter: The effect of the suggestive indication on the power of delivering the message.

The research adopted the descriptive analytical approach, and reached a number of results, the most important of which are: The methods of the prophetic Speech varied according to the requirements of the conditions of the context and the circumstances of speech, so it was direct declarative that depended on statement, or suggestive indirect that depended on insinuation, And that the suggestive method is the one that employs the expressive energies carried by the words, and motivates the power of the mind to highlight the element of suspense and excitement, as the suggestion intensifies and the statement shrinks.

Keywords: Suggestion, Speech, Phrase, Indication, Kindness, Mytify

Syrian Arab Republic

Ministry of Higher Education and scientific research

Damascus University

Faculty of Arts and Humanities Science

Department of Arabic Literature



Suggestive indication and its manifestations in the prophetic speech

A Thesis submitted to complete the requirements of obtaining the master's
degree

By
Amina Aldous

Supervised by
Dr. Hind Sahloul

2023